



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

تفسير القرآن الحكيم

وَقَيْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ

المجلد ١

١٤٢٥

دار التفسير والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تشيد المراجعات و تفنيد المكابرات

كاتب:

آيت الله على حسيني ميلاني

نشرت في الطباعه:

الحقايق

رقمي الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	تشبيد المراجعات و تفنيد المكابرات المجلد ١
١٠	اشاره
١١	اشاره
١٥	كلمه المؤلف
١٧	كلمه المركز
١٩	مقدمه المراجعات و الكلام حولها
١٩	اشاره
٢١	تمهيد:
٢٢	شخصيه السيد شرف الدين:
٢٣	أشهر مؤلفاته:
٢٤	كلام السيد في مقدمه المراجعات:
٢٩	إهداء السيد كتاب المراجعات:
٣٠	رجاء السيد من القراء:
٣٢	قال قائل منهم:
٤٠	السبب في تأخير طبع الكتاب:
٤٤	السبيل لتوحيد المسلمين:
٤٨	موجز الكلام على حديث كتاب الله و سنتي:
٥٥	مقدمات قبل الورود في تشبيد المراجعات و تفنيد المكابرات
٧٥	المراجعته (٤)
٧٥	قال السيد رحمه الله تعالى عليه:
٨٢	قال السيد رحمه الله:
٩١	المراجعته (٦)
٩١	اشاره

٩٧	شبهات حول نهج البلاغه:
١١٦	المراجعہ (٨)
١١٦	اشاره
١٤٠	حديث السفينه
١٦٤	المراجعہ (١٠)
١٦٤	اشاره
١٦٦	تحقيق أسانيد هذه الأحاديث
٢٠٨	المراجعہ (١٢) حجج الكتاب
٢٠٨	اشاره
٢٢١	آيه التطهير
٢٢١	اشاره
٢٢٤	الفصل الأول: في تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً و فعلاً المراد من «أهل البيت»
٢٢٤	اشاره
٢٢٤	من الصحابه الرواه لحديث الكساء:
٢٢٥	من الأئمه الرواه لحديث الكساء:
٢٢٦	من ألفاظ الحديث في الصحاح و المسانيد و غيرها:
٢٣٤	متمن نص على صحه الحديث:
٢٣٤	ما دلت عليه الأحاديث:
٢٣٧	الفصل الثاني: في سقوط القولين الآخرين
٢٣٧	اشاره
٢٣٨	ترجمه عكرمه:
٢٣٩	٣- كان كذاباً:
٢٤٠	ترجمه الضحاک:
٢٤١	الفصل الثالث: في دلالة الآية المباركه على عصمه أهل البيت
٢٤٣	الفصل الرابع: في تناقضات علماء السنه تجاه معنى الآية
٢٤٣	اشاره

- ٢٤٣ فمن الطائفة الاولى: -
- ٢٤٧ و من الطائفة الثانيه: -
- ٢٤٨ و من الطائفة الثالثه: -
- ٢٤٨ اعتراف ابن تيميه بصحة الحديث: -
- ٢٥١ سقوط كلمات ابن تيميه: -
- ٢٥٨ تناقض ابن تيميه: -
- ٢٦٢ خلاصه البحث: -
- ٢٦٧ آيه الموده -
- ٢٦٧ اشاره -
- ٢٧٠ الفصل الأول: في تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم المراد من «القربى» □ -
- ٢٧٠ اشاره -
- ٢٧١ ذكر من رواه من الصحابه و التابعين: -
- ٢٧٢ و مقن رواه من أئمه الحديث و التفسير: -
- ٢٧٧ نصوص الحديث في الكتب المعتمره: -
- ٢٩٥ الفصل الثاني: في تصحيح أسانيد هذه الأخبار -
- ٢٩٥ اشاره -
- ٢٩٩ ١- ترجمه يزيد بن أبي زياد: -
- ٣٠٥ ٢- ترجمه حسين الأشقر: -
- ٣٠٨ ٣- ترجمه قيس بن الربيع: -
- ٣١٠ ٤- ترجمه حرب بن حسن الطحان: -
- ٣١٤ الفصل الثالث: في دفع شبهات المخالفين -
- ٣١٤ اشاره -
- ٣١٨ ١- سورة الشورى مكيه و الحسنان غير موجودين: -
- ٣٢٢ ٢- الرسول لا يسأل أجراً: -
- ٣٢٤ ٣- لما ذا لم يقل: إنا الموده للقربى؟ -
- ٣٢٤ ٤- المعارضه: -

٣٢٧	الفصل الرابع:الأخبار و الأقوال
٣٢٧	اشاره
٣٢٧	أدله و شواهد أخرى للقول بنزول الآية في أهل البيت:
٣٣٣	الردّ على الأقوال الأخرى:
٣٣٥	الأولى:جهه السند:
٣٣٧	و الثانيه:جهه فقه الحديث:
٣٤٤	دلالة الآية سواء كان الإستثناء متصلاً أو منقطعاً:
٣٤٨	الفصل الخامس:دلالة الآية على الإمامه و الولاية
٣٤٨	اشاره
٣٤٨	١-القرابه النسبيه و الإمامه:
٣٥٨	٢-وجوب الموده يستلزم وجوب الطاعه:
٣٦٠	٣-وجوب المحبه المطلقه يستلزم الأفضليته:
٣٦٥	٤-وجوب المحبه المطلقه يستلزم العصمه:
٣٦٧	دحض الشبهات المثاره على دلالة الآية على الإمامه:
٣٧٧	خلاصه البحث
٣٨٠	آيه المباهله
٣٨٠	اشاره
٣٨٢	الفصل الأول:في نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام
٣٨٢	اشاره
٣٨٢	ذكر من رواه من الصحابه و التابعين:
٣٨٥	و من رواه من كبار الأئمه في الحديث و التفسير:
٣٩٠	من نصوص الحديث في الكتب المعتمره:
٤١٠	الفصل الثاني:في قصه المباهله
٤١٠	اشاره
٤٤٧	كتاب الصلح:
٤٤٧	القربات يوم المباهله:

- ٤٤٨ الفصل الثالث:محاولات يائسه و أكاذيب مدهشه
- ٤٤٨ اشاره
- ٤٤٨ ١-الإخفاء و التعنيم على أصل الخبر:
- ٤٤٩ ٢-الإخفاء و التعنيم على حديث المباهله:
- ٤٥٤ ٣-الإخفاء و التعنيم على اسم على !!
- ٤٥٧ ٥-التحريف بزياده«عائشه و حفصه»:
- ٤٥٨ ٦-التحريف بحذف«فاطمه»و زياده:«أبى بكر و ولده و عمر و ولده و عثمان و ولده»:
- ٤٤٣ الفصل الرابع:فى دلالة آيه المباهله على الإمامه
- ٤٤٣ اشاره
- ٤٤٥ *استدلال الإمام الرضا عليه السلام:
- ٤٧٨ الفصل الخامس:فى دفع شبهات المخالفين
- ٤٧٨ اشاره
- ٤٨٠ *و قال ابن تيميه
- ٤٩٠ *و قال أبو حنّان:
- ٤٩٢ *و قال القاضى الإيجى و شارحه الجرجانى:
- ٤٩٣ *و قال ابن روزبهان:
- ٤٩٤ *و قال عبد العزيز الدهلوى ما تعريبه:
- ٥٠١ *و الأكوسى:
- ٥٠١ *و قال الشيخ محمّد عبده:
- ٥١٤ تعريف مركز

سرشناسه : حسيني ميلاني، سيدعلي، ١٣٢٦ -

عنوان قراردادى : المراجعات. شرح.

عنوان و نام پديدآور : تشديد المراجعات و تفنيد المكابرات/تاليف على الحسيني الميلاني.

مشخصات نشر : قم: على الحسيني الميلاني، ١٤١٧ق.--١٣٧٥-

مشخصات ظاهري : ج ٤.

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتاب حاضر شرحى است بر "المراجعات" عبدالحسين شرف الدين.

يادداشت : كتاب حاضر شرحى است بر "المراجعات" عبدالحسين شرف الدين.

موضوع : شرف الدين، عبدالحسين، ١٨٧٣ - ١٩٥٨م. المراجعات -- نقد و تفسير.

موضوع : شيعه -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : كلام شيعه اماميه

موضوع : اهل سنت -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : امامت

شناسه افزوده : شرف الدين، عبدالحسين، ١٨٧٣ - ١٩٥٨م. المراجعات. شرح.

رده بندي كنگره : BP٢١٢/٥/ش٤م٢١٣ ٤٠٢١٣ ١٣٧٥

رده بندي ديويي : ٢٩٧/٤١٧

شماره كتابشناسى ملي : ٣٠٠٤٠٩٧

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولعنه الله على أعدائهم أجمعين، من الأولين و
الآخرين.

و بعد:

فهذه بحوث وضعتها تشييداً للمراجعات، بتوضيح أو تعليق أو تذييل، و تفنيدياً لما يكون حولها من مكابرات، عن تعصب أو جهل
أو تضليل، كتبها بدون إطناب ممل أو إجمال مخل، معتمداً على روايات أهل السنه في أشهر كتبهم و مستشهداً بكلمات أكبر
علمائهم، فجاءت معنونه بعنوان (تشييد المراجعات و تفنييد المكابرات)، و الله أسأل أن ينفع بها كما نفع بأصلها، و أن يجعلها وسيلة
لهدايه من كان أهلاً لها. إنه مجيب الدعاء.

ص: ٥

□
لا يخفى أنّ كتاب (المراجعات) للعلامة الأكبر و الفقيه الأجل آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين - طاب ثراه - يعدُّ في قمه البحوث المقارنه في مباحث الإمامه و الخلافه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) في القرن الحاضر، لجمعه بين القوّه في الإحتجاج و الرصانه في الاستدلال و النزاهه في التعبير و المتانه في الأسلوب، و قد هدى الله بسببه كثيراً من الباحثين، و دخل ببركته في مذهب أهل البيت الطاهرين أفواج من المسلمين... حتى نبغ في السنوات الأخيره شرذمه من الناس يزعمون أن بإمكانهم نقض ما أبرمه و هدم ما أحكمه، فجعلوا يجادلون الحق بالباطل و قالوا ما ليس تحته من طائل.

□
فانبرى سماحه الفقيه المحقق آية الله السيد الميلاني دام ظلّه لتشييد مطالب المراجعات و تفنيد ما أُثير حولها من شبهات، فانتشر الكتاب في أعداد مجلّه تراثنا في حلقات، ثم طبع منه آلاف النسخ في أربعة مجلّدات.

□
و هذه هي الطبعة الرابعه لكتاب (تشبيد المراجعات و تفنيد المكابرات) يقدّمها المركز محقّقه منقّحه للباحثين و المحققين، سائلين الله عزّ و جلّ أن يجعل أعمالنا خالصه لوجهه الكريم، و أن يتقبّلها بقبول حسنٍ إنه أكرم الأكرمين.

مركز الحقائق الإسلاميه

لا- ريب فى أنّ البحث و تبادل الآراء خير طريق لتبيين الواقع، و كشف الحقيقه، و تنوير الفكر، و نشر العقيدته... و قد كان السّينّه الجاريه لدى الأنبياء و الأولياء و سائر المصلحين و العقلاء... و له أصول و قواعد و آداب، كانوا و لا يزالون يلتزمون بها و يمشون عليها فى كافّه مجالات المناظره و الجدل.

و إنّ من أولى تلك القواعد و الأصول-بعد رعايه الأدب و اجتناب الهوى و التعصّب-هو التكلّم على ضوء الأدلّه المقبوله عند الطرفين، و استدلال كلّ منهما بما ورد عند الطرف المقابل و ما جاء عن طريقه و كان مقبولاً لديه... لأنّ هذا أقوى حجّه على الخصم، و أمتن استدلالاً فى العقل السليم و المنطق الصحيح.

و لقد دأب علماؤنا الأعلام منذ قديم الأيّام على اتّباع هذا الاسلوب فى مؤلّفاتهم و مناظراتهم، كما لا يخفى على الباحث الخبير، و كان ذلك من أهمّ عوامل تقدّم المذهب الحقّ و إقبال الأمم عليه، كما كان من أهمّ أسباب عجز الآخرين عن الجواب و الردّ، فما كان منهم إلّا التسليم و الإذعان، أو الكذب و الشتم و البهتان.

لينظر المنصف إلى استدلالات مشايخ الطائفه و أساطين المذهب، كالشيخ المفيد البغدادى، و السيّد المرتضى الموسوى، و الشيخ الطوسى، و العلّامه الحلّى... و نظرائهم... ليجد صدق التّيه، و نزاهه البحث، و متانه الاحتجاج القائم

على الأسس القويمه من الكتاب العزيز، و السُنّه الثابته، و العقل السليم...

و كانت هذه طريقه السيّد شرف الدين في آثاره الخالده...

شخصيّه السيّد شرف الدين:

و هو- كما هو معروف- علم من أعلام الأئمّه، و من كبار المجتهدين الأفاضل، كما تشهد بذلك آثاره في الفقه و الأصول و غيرهما.

و بطل من أبطال العلم، المرجوع إليهم في المسائل المختلفه في شتى العلوم الإسلاميه... من الفقه و الأصول و التفسير و الحديث و الكلام...

و زعيم من زعماء الإصلاح في المجتمع الإسلامى، كما تشهد بذلك مشاريعه الثقافيه و مؤسّساته الاجتماعيه، من مدارس و جوامع...

و قائد من قوّاد النضال و الكفاح ضدّ الاستعمار الأجنبي، حتّى أنّه شرّد عن وطنه بأهله و ذويه، ثمّ تفرّقوا في البلدان، و نزل هو دمشق ففلسطين فمصر، و صودر ثقله، و أحرقت مكتبته، في قضايا مفصله سجلها له التاريخ.

و أمّا آثاره فكثيره... لها المكانه المرموقه بين آثار علمائنا الأعلام في العصر الحاضر، جمعت الدقّه في البيان إلى المتانّه في الأسلوب و الاستيعاب الشامل، فما تطرّق إلى مسأله إلّا و أشبعها بحثاً و تحقيقاً، و ما تعرّض لمشكله إلّا و عالجها العلاج الناجع التامّ.

و تتجلّى عظمته و إحاطته في مؤلّفاته في المسائل الخلافيه، و في تحقيقاته التاريخيه و الرجاليه، و في ما كتبه في الدفاع عن الإسلام و مذهب أهل البيت عليهم السلام.

و قد قوبل هذا المحقّق العظيم بما قوبل به أسلافه، فأكثر المسلمين

يقعدّرون جهوده، و يقرءون كتبه، و يشكرون أياديّه، و يثمنون مساعيه، حتّى طبعت كتبه عشرات المرّات، و ترجمت إلى شتّى اللغات... و أقبلت عليها الجماهير من جميع الجهات. و من الناس من لا يتحمّل رواج تلك الكتب غير القابله للردّ، و تأثيرها في القلوب المستعدّه للهدايه و الرشاد، فحاولوا إطفاء ذلك النور بالسبّ و الشتم و الكذب و الزور...

أشهر مؤلفاته:

و من أشهر كتبه القيمه الجامعه بين الموضوعيه و الدقه، و الأناقه و الرقه، و العمق و الرفعه:

كتاب أبو هريره: و هو كتاب فريد في بابّه، تناول أبو هريره الدوسى و أحاديثه الكثيره المرويّه في كتابى البخارى و مسلم و غيرهما من أسفار أهل السنّه، بالبحث و التحقيق الموضوعى. و قد أثار بعض كتّاب القوم ضجّه شديدهً حوله، لأنّه في الحقيقه ينسف أهمّ أسسهم فى الأصول و الفروع، أعنى الأمرين المشهورين اللذين لا أصل لهما - و كم من مشهور لا أصل له - و هما: مسأله عداله الصحابه أجمعين، و مسأله صحّه أحاديث كتابى البخارى و مسلم، الموسومين بالصحّيحين.

و كتاب النصّ و الاجتهاد: و هو كتاب فقهي، أصولي، حديثي، كلامي، تاريخي... جمع فيه موارد كثيره من مفارقات و معارضات جماعه من الصحابه - الذين يقتدى بهم أهل السنّه فى الأصول و الفروع - للكتاب و السنّه الثابته، معتمداً على أوثق كتب القوم و أهمّ مصادرهم.

و كتاب الفصول المهمّه فى تأليف الأئمّه: و هو كتاب جليل من أحسن

الكتب الكلاميه، استعرض فيه بعض المسائل الخلافيه بين الشيعه و السنه، موضّحاً أن السنه هم الذين خالفوا في معتقداتهم ما تقتضيه الأدله و يقرره الكتاب و السنه، و أنه إذا ما رجعوا إلى الله و الرسول، و نبذوا اتباع غير من أمروا باتباعه، عادت الأئمه إلى الوئام و اتفقت كلمه أهل الإسلام.

□
و كتاب المراجعات: فقد كانت للسيد-رحمه الله- في سنه ١٣٢٩. رحله علميه إلى مصر، اجتمع خلالها برجالات العلم، و أصحاب الفضيله في تلك الديار، و عقدت بينه و بين شيخ الأزهر يومذاك الشيخ سليم البشرى المالكي اجتماعات متواليه، تداولوا فيها جوانب الحديث في أمهات المسائل الدينيه، و كان من نتاجها «المراجعات» و طبعت سنه ١٣٥٥.

كلام السيد في مقدمه المراجعات:

و يقول السيد في مقدمه هذا الكتاب:

«هذه صحف لم تكتب اليوم، و فكر لم تولد حديثاً، و إنما هي صحف انتظمت منذ زمن يربو على ربع قرن، و كادت يومئذ أن تبرز بروزها اليوم، لكن الحوادث و الكوارث كانت حواجز قويه عرقلت خطاها...

أما فكره الكتاب فقد سبقت مراجعاته سبقاً بعيداً، إذ كانت تلتهم في صدرى منذ شرح الشباب، التماع البرق في طيات السحاب، و تغلى في دمي غليان الغيره، تتطلع إلى سبيل سوى يوقف المسلمين على حد يقطع دابر الشغب بينهم...

ضقت ذرعاً بهذا، و امتلأت بحمله همماً، فهبطت مصر أواخر سنه ١٣٢٩ مؤملاً في «نيله» نيل الأمتيه التي أنشدها، و كنت ألهمت أنى موفق لبعض ما

أريد...

و هناك-على نعمى الحال،و رخاء البال،و ابتهاج النفس-جمعنى الحظّ السعيد بعلم من أعلامها المبرزين،بعقل واسع،و خلق و ادع،و فؤاد حىّ،و علم عيلم،و منزل رفيع،يتبوّأه بزعامته الدينيه،بحقّ و أهليه...

فكان ممّا اتفقنا عليه...أنّ أعظم خلافٍ وقع بين الأئمه:اختلافهم فى الإمامه...و لو أنّ كلّاً من الطائفتين نظرت فى بينات الأخرى- نظر المتفاهم لا نظر الساخط المخاصم-لحصحص الحقّ و ظهر الصبح لذى عينين.

و قد فرضنا على أنفسنا أن نعالج هذه المسأله،بالنظر فى أدله الطائفتين، فنفهمها فهماً صحيحاً،من حيث لا نحسّ إحساسنا المجلوب من المحيط و العاده و التقليد،بل نتعرّى من كلّ ما يحوطننا من العواطف و العصبّيات،و نقصد الحقيقه من طريقها المجمع على صحّته،فنلمسها لمساً،فلعلّ ذلك يلفت أذهان المسلمين،و يبعث الطمأنينه فى نفوسهم بما يتحرّر و يتقرّر عندنا من الحقّ، فيكون حدّاً ينتهى إليه إن شاء الله تعالى.

لذلك قررنا أن يتقدّم هو بالسؤال خطّاً عمّياً يريد،فأقدّم له الجواب بخطّى، على الشروط الصحيحه،مؤيِّداً بالعقل أو بالنقل الصحيح عند الفريقين.

و جرت بتوفيق الله عزّ و جلّ على هذا مراجعاتنا كلّها،و كنّا أردنا يومئذٍ طبعها لنتمتّع بنتيجه عملنا الخالص لوجه الله عزّ و جلّ،لكنّ الأيام الجائره، و الأقدار الغالبه اجتاحت العزم على ذلك،و لعلّ الذى أبطأ عنى هو خير لى.

و أنا لا أدعى أنّ هذه الصحف تقتصر على النصوص التى تألفت يومئذٍ بيننا،و لا أنّ شيئاً من ألفاظ هذه المراجعات خطّه غير قلمى،فإن الحوادث التى أحرّت طبعها فرقت و وضعها أيضاً كما قلنا.

ص: ١٥

غير أنّ المحاكمات فى المسائل التى جرت بيننا موجوده بين هاتين الدفتين بحذافيرها، مع زيادات اقتضتها الحال، و دعا إليها النصح و الإرشاد، و ربّما جرّ إليها السياق على نحو لا يخلّ بما كان بيننا من الاتفاق».

أقول:

و النقاط الأساسيه فى هذه المقدمه هى:

١- إنّ هذه المراجعات وقعت بين السيد و الشيخ، و أنّهما قرّرا أن يتقدّم الشيخ بالسؤال خطأً عمّا يريد، فيقدّم له السيد الجواب بخطّه، على الشروط الصحيحه المقرّره بينهما.

٢- إنّ هذه المراجعات كانت معدّه للطبع يومذاك، و كادت أن تبرز بروزها اليوم، لكنّ الحوادث و الكوارث هى التى حجّزت عن ذلك.

٣- إنّ الحوادث التى أخرت طبع هذه المراجعات فرّقت وضعها أيضاً، فألفاظها كلّها بقلم السيد، حاكيةً للمحاكمات التى جرت بينه و بين الشيخ بحذافيرها.

و ذكر قدّس سرّه سفره إلى مصر بترجمته لنفسه حين شرح أسفاره:

«فى مصر:

...كنت أحبّ-فيما أحبّ- أن ازور مصر و أقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم، و لأبلو ما يبلغنى عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل. و ظلّت هذه الأُمّيه كامنّه فى نفسى حتّى حفّزها خالى المرحوم السيد محمّد حسين فى أواخر سنه ١٣٢٩، حين زارنا فى عامله...

و قد بدأت هذه الجوله بالحضور فى دوره الشيخ سليم البشرى المالكي-

ص: ١٦

شيخ الأزهر يومذاك-و كان يشرف على طلابه من منبره و هو منطلق في درسه انطلاقاً يلحظ فيه توفّره و ضلّاعته فيما هو فيه.و كان يلقي درساً في مسند الإمام الشافعي...حضرت درسه لأوّل مرّه...و عرض لي أثناء الدرس ما يوجب المناقشه فناقشته، ثمّ علمت بعدئذٍ أن المناقشه وقت المحاضره ليس من الدرّاسه الأزهرية،فكنت بعدها أفضي إليه بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديره بالبحث و المذاكره.

و قد كانت مناقشتي الأولى-في كلّ حال-سبباً في اتّصال المودّه بيني و بينه،و سبباً إلى الاحترام المتبادل،ثمّ طالت الاجتماعات بيننا،و تشاجنت الأحاديث و تشعب البحث بما سجّلناه في كتابنا:المراجعات.و لو لم يكن من آثار هذه الزياره إلّا هذا الكتاب لكانت جديره بأن تكون خالده الأثر في حياتي على الأقلّ.

و لعلّ الكتاب يصوّر بعض الأجواء العلميه التي تفيّأناها يومئذٍ منطلقين في آفاقها،منطلقين من القيود الكثيره التي كانت توثق الأفكار آنذاك برجعيّات يضيق صدرها حتّى بالمناقشه البريئه و التفكير الصحيح.

و مهما يكن من أمر،فقد نعمنا بمصر في خدمه هذا الشيخ،و اتّصلنا بغيره من أعلام مصر المبرزين،إذ زارونا و زرناهم،أخصّ منهم العلّامتين:الشيخ محمّد السملوطي و الشيخ محمّد بخيت.و قد نجمت هذه الاجتماعات الكريمه عن فوائد جمّه...

و على كلّ حال،فقد غادرت مصر و أنا أحنّ إليها،و أتريد من اللبث فيها، و لم أغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثه-البشرى و بخيت و السملوطي- بإجازات مفصّله عامّه عن مشايخهم أجمع،بطرفهم كلّها المتّصله بجميع أرباب

الكتب و المصنّفات من أهل المذاهب الأربعة و غيرهم، في جميع العلوم، عقليه و نقليه، و لا سيّما الصحاح السنّه و موطأ مالك و مسند أحمد و مستدرک الحاكم، و سائر المسانيد، و كتب التفسير و الكلام و الفقه، و بقيه العلوم الإسلاميه مطلقاً.

و ممّن نعمنا بخدمته في مصر، و تبادلنا معه الزيارات، و كانت بيننا و بينه محاضرات و مناظرات، في مسائل فقهيه و أصوليه و كلاميه، دلّت على غزاره فضله و رسوخ قدمه في العلم و الفضيله: شيخنا الشيخ محمد عبد الحّي ابن الشيخ عبد الكريم الكتّاني الإدريسي الفاسي. و قد أجازني أيضاً إجازة عامّه و سّعت طرقى في الروايه و الحديث.

و أطردت المراسله بعد العوده إلى البلاد بيني و بين شيخنا البشري زمنّاً، ثمّ طغت عليها الشواغل و كوارث الحرب العامّه الأولى (١).

و كان رجوعنا من مصر في جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ (٢).

و قال شارحاً قصّه «المراجعات» حين ذكر مؤلفاته:

«كتاب المراجعات، أو: المناظرات الأزهرية و المباحثات المصرية.

مجلّد واحد، يثبت رأى الإماميّة في الإمامه و الخلافه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، ألّفناه في مصر، إذ أتيناها سنه ١٣٢٩، فجمعنا الحظّ السعيد بإمامها الوحيد: الشيخ سليم البشري المالكي، شيخ الجامع الأزهر في ذلك العهد، حضرت درسه، و أخذت عنه علماً جمّاً، و كان عيلم علم، و علم حلم، و كنت أختلف إلى منزله أخلّو به في البحث عمّا لا يسعنا البحث عنه إلّا في

ص: ١٨

١- ١) أُعلنت الحرب العالميه الأولى سنة ١٣٣٢، أي بعد رجوعه بسنتين فقط.

٢- ٢) موسوعه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ٣٤٢٧: ٧.

الخلوات، و كان جلّ بحثنا هذا في الإمامه، التي ما سلّ سيف في الإسلام على قاعده ديتيه مثل ما سلّ عليها، و قد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر في البحث عن أدلتها، متجرّدين عن كلّ عاطفه سوى انتجاع الحقيقه و الوصول اليها من طريقها المجمع على صحته.

و على هذا جرت مناظراتنا و مراجعاتنا، و كانت خطيئه تبادلنا بها المراسله إبراماً و نقضاً، فجتته بالحجج الساطعه لا تترك خليجه و لا تدع وليجه، فقابلها بالذود عن حياضه، لا يألو في ذلك جهداً و لا يدخر وسعاً. لكنّ الله عزّ و جلّ بهدايته و توفيقه يسر لي - و له الحمد - درء كلّ شبهه و دحض كلّ إشكال، حتّى ظهر الصبح لذي عينين...

و كنت أردت يومئذٍ طبع تلك المراجعات، و هي ١١٢ مراجعه، لكنّ الأقدار الغالبه أرجأت ذلك، فلمّا نكبنا في حوادث سنه ١٣٣٨ - كما سنفضّله في محله - انتهبت مع سائر مؤلّفاتى يوم صيح نهباً في دورنا.

□
و ما أن فرّج الله تعالى عنّا - بفضله و كرمه - حتّى استأنفت مضامينها بجميع مباحثاتها التي دارت بيننا، فإذا هي بحدّ إفيرها مدوّنه بين دفتي الكتاب، مع زيادات لا تخلّ بما كان بيننا من المحاكمات، على ما أوضحناه في مقدّمه الكتاب، و الحمد لله - باعث من في القبور - على بعث هذا السفر النافع و نشره» (١).

إهداء السيّد كتاب المراجعات:

□
ثمّ إنّ السيّد - رحمه الله - يهدى كتابه قائلاً:

ص: ١٩

«وإني لأهدى كتابي هذا إلى أولى الألباب، من كلِّ علّامه محقق، وبخّائه مدقق، لابس الحياه العلميه فمحصّ حقائقها، و من كلِّ حافظ محدّث جهبذ حجّه في السنن والآثار، و كلِّ فيلسوف متضلّع في علم الكلام، و كلِّ شابّ حَيّ مثقّف حرّ قد تحلّل من القيود و تملّص من الأغلال، ممّن تؤمّلهم للحياه الجديده و الحرّه.

فإن تقبله كلّ هؤلاء و استشعروا منه فائده في أنفسهم، فإنّي على خير و سعادته».

رجاء السيّد من القراء:

و ذكر السيّد كتاب «المراجعات» في المورد الأوّل من كتاب «النصّ و الاجتهاد» فقال:

«و من أراد التفصيل فعليه بكتابنا (المراجعات) إذ استقصينا البحث ثمّ عن تلك النصوص، و عن كلِّ ما هو حولها ممّا يقوله الفريقان في هذا الموضوع، تبادلنا ذلك مع شيخنا شيخ الإسلام، و مربّي العلماء الأعلام، الشيخ سليم البشرى المالكي، شيخ الجامع الأزهر يومئذٍ، رحمه الله تعالى، أيام كُنّا في خدمته، و كان إذ ذاك شيخ الأزهر، فعُني بي عنايته بحمله العلم عنه، و جرت بيننا و بينه حول الخلافه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و نصوصها مناظرات و مراجعات خطّيه، بذلنا الوسع فيها إيغالاً في البحث و التمحيص، و إمعاناً فيما يوجب الإنصاف و الاعتراف بالحقّ، فكانت تلك المراجعات -بيمن نقيبته الشيخ- ستّيراً من أنفع أسفار الحقّ، يتجلّى فيها الهدى بأجلى مظاهره، و الحمد لله على التوفيق.

و ها هي تلك منتشرة في طول البلاد و عرضها، تدعو إلى المناظره بصدر شرحه الله للبحث، و قلب واع لما يقوله الفريقان، و رأي جميع، و لب رصين، فلا تفوتنكم أيها الباحثون.

نعم، لى رجاء أنيطه بكم فلا تخيبيه، أمعنوا فى أهداف النبى صلى الله عليه و آله و سلم و مراميه فى أقواله و أفعاله، التى هى محلّ البحث بيننا و بين الجمهور، و لا- تغلبنكم العاطفه على أفهامكم و عقولكم، كاللذين عاملوها معاملة المجمل أو المتشابه من القول، لا يابهون بشى من صحتها، و لا من صراحتها، و الله تعالى يقول: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) (١) أيها المسلمون «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» (٢) (٣).

أقول:

لقد حقق أبناء الأئمة الإسلاميه رجاء السيد رحمه الله، و تقبله اللذين أهدى إليهم المراجعات بقبول حسن، و أقبلوا عليها خير إقبال، و استضاء بنورها الكثير منهم، و رجعوا ببركتها إلى الأصل الدينى المفروض عليهم.

و ها هي -و لا تزال- منتشرة فى طول البلاد و عرضها، تدعو إلى المناظره بصدر رحب شرحه الله للبحث، كل طالب للحق، باحث عن الحقيقة، يريد الخير و الصلاح و الفلاح لنفسه و للأئمة.

ص: ٢١

١-١) سورة التكوير ١٩:٨١-٢٦.

٢-٢) سورة التكوير ١٩:٨١-٢٦.

٣-٣) النصّ و الاجتهاد-الطبعة الثانية-:٥٤.

لكنّ «السنة» التي رسمها ابن تيمية في «منهاجه» لها أتباع في كلّ زمان، تعلّموا منه منطق السبّ و الشتم و البهتان-و إن خالفوها في بعض الجهات، و في بعض الأحيان- (١) و لم نجد في كلامهم- هنا- كلمة تستحق الإصغاء و الذكر، إلّا كلمة واحدة، و هي: ما هي الحوادث و الكوارث التي حالت دون نشر المراجعات في حياة الشيخ؟ لما ذا لم يذكر السيّد منها و لو واحدة؟ و هذا سؤال وجيه، و لكن ليتهم طرحوه بأدبٍ و وقار...

قال قائل منهم:

يقول قائلهم مفتتحاً ما كتبه بعد البسملة و الحمد له:

«و بعد، يعتبر كتاب المراجعات من أهمّ كتب الرافضة التي عرض فيها مؤلّفه: عبد الحسين الموسوي، مذهبه مذهب الرفض، بصوره توهم الكثير من أهل السنة بصدق ما جاء فيها، لا سيما أولئك الذين لم يسبق لهم معرفه عقيدة الرافضة و أصولهم، و أساليبهم الخبيثة الماكره، و التي تركز على الأدلّة الكاذبه الموضوعه، و التلاعب بالأدلّة الصحيحه، سواء بالزياده فيها أو الإنقاص منها، أو بتحميلها من المعاني ما لا- تحتمله، كلّ هذا يفعلونه نصرهً لمذهبهم، و تأييداً لباطلهم. و هذا ما درج عليه الموسوي في كتابه (المراجعات).

و لما كانت هذه المراجعات لا أصل لها من الصّحّه، بل هي محض كذب

ص: ٢٢

١- ١) أعتقد أنه لو كان ابن تيمية في هذا العصر، و انبرى للجواب عن «المراجعات» لأنكر قبل كلّ شيء سفر السيّد إلى مصر! و التقائه بالشيخ هناك! بل أنكر وجود السيّد و الشيخ في هذا العالم! و وجود مصر على وجه الأرض!

و افتراء، و لَمَّا مرَّ على ظهور هذا الكتاب قرابه الثلاثين عاماً (١)، و لم نجد أحداً من علماء السنَّة قد ردَّ على هذه المراجعات المكذوبه جملهُ و تفصيلاً.

و لَمَّا كان هذا الكتاب قد أثر في بسطاء المسلمين و عامتهم، جهلاً منهم بعقيدته الرافضه و أصولهم المخالفه لأصول الإسلام الثابته في الكتاب و السنَّة الصحيحه، و ظناً منهم بصدق هذه المراجعات، غير مدركين تدليس و كذب صاحبها، حيث أظهر موافقه شيخ الأزهر على كلِّ ما عرضه من أدلِّه مكذوبه، و في الوقت نفسه لم يجدوا من يكشف لهم كذب هذه المراجعات، و يبين لهم ما اشتملت عليه من زيغ و ضلال.

و لَمَّا كان تحذير المسلمين من عدوهم، و فضح كلِّ الطوائف و الفرق الخارجه على الإسلام أمراً واجباً على كلِّ داعيه، بل هو من أعظم القربات إلى الله حتَّى يميّزوا الخبيث من الطيب، و يبينوا سبيل المجرمين.

لهذا كلِّه نرى أنفسنا مضطربين للردِّ على كتاب المراجعات، سائلين الله أن يجعل هذا خالصاً لوجهه، و دفاعاً عن أوليائه، و نصره لدينه، و غيره على سنِّه نبيّه.»

أقول:

أولاً: أتنا عند ما ننقل هذه العبارات نرجو المعذره من كلِّ مسلم غيورٍ متأدّب بآداب الإسلام، بل من كلِّ إنسان متخلّق بالأخلاق الفاضله، و خاصّه من

ص: ٢٣

(١ - ١) المراجعات طبعت عام ١٣٥٥، فقد مرَّ على ظهورها حتَّى تاريخ ما كتبه هذا الرجل - و هو سنه ١٤٠٦ - قرابه الخمسين عاماً.

سيدنا «شرف الدين» قدس الله نفسه، فإننا إنما أوردناها:

١- ليّضح أنّ الذين يعادون الشيعة و التشيع إنّما يعادون المسلمين و الإسلام، و لا يفرّقون في الطعن بين أهل السنّة و الشيعة، و ذلك لأنّ هذا الأسلوب من الكلام يشوّه سمعه الدين و الإسلام لدى أبناء الأديان الأخرى، إذ يتوهّمون أنّ هذا هو الخلق الإسلامي المحمّدي، و أنّ المسلمين -سواء الشيعة أو السنّة- بمعزلٍ عن الآداب الإنسانيّة و الأخلاق الفاضله.

على أنّه في نفس الوقت الذي يتهجم فيه على الشيعة -يطعن في علماء مذهبه، و ينسبهم إلى التهاون في أمر الدين و الدفاع عن أولياء الله و سنّة الرسول، إذ لم يردّوا على هذا الكتاب الذي أثار في بسطاء المسلمين و عامّتهم -على حدّ تعبيره- و لم يكشفوا لهم كذب هذه المراجعات ! كما قال...

فهؤلاء -في الواقع- أناس يريدون الوقيعه بين المسلمين، و إيجاد التباغض بينهم، و ضرب بعضهم ببعض، حتّى يكون الأعداء في راحه... فكونوا على حذر من هؤلاء، و اتبهوا أيّها المسلمون !!

٢- للاستشهاد على ما ذكرنا من قبل، من أنّ في الناس من لا يروقه قول الحقّ و بيان الحقيقه، و حين لا يمكنه الردّ المتين المستند إلى العقل و الدين، يتفوّه بهذه الكلمات، اقتداءً بشيخ إسلامه ابن تيمّيه المشحون منهاجه بالأباطيل و الافتراءات.

٣- للعلم بأنّ فيمن ينسب نفسه إلى السنّة المحمّديه، و يزعم كونه «داعية» إليها «مدافعاً» عنها «غيوراً» عليها... أناساً غير متّصفين بأدنى شيء من آدابها، و ليقارن بين كتابات هؤلاء و بين كتابات الشيعة.

٤- للتنبيه على أنّ من يفتتح ما كتبه بالتكفير و الشتم و التضليل و غير ذلك

لطائفه من المسلمين... لا يستبعد منه الكذب و الخيانه و التدليس فى أثناء ما كتبه و خلال البحوث.

٥- و لأننا سوف نعرض عن التعرض بشيء لأمثال هذه العبارات- و ما أكثرها- فى الكتاب.

و ثانياً: إنَّ السَّيِّدَ من كبار فقهاء الأُمَّة الاسلاميه، و من أعظم علماء الطائفة الشيعيه، و كتابه «المراجعات» من المصادر المعتمده لدى المسلمين، حتَّى أنَّ بعض علماء السنَّه المحقِّقين ينقلون عنه و يعتمدون عليه، قال العلامه الشيخ محمود أبو ريّه- من كبار علماء الأزهر المشاهير المحقِّقين- فى كلام له حول بعض الروايات: «و إذا أردت الوقوف على هذه الروايات فارجع إلى كتاب المراجعات التى جرت بين العلامه شرف الدين الموسوى- رحمه الله- و بين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر سابقاً» (١).

و قد وصف الأستاذ عمر رضا كحاله السَّيِّد و مؤلفه بقوله:

«عبد الحسين شرف الدين الموسوى العاملى. عالم فقيه مجتهد. ولد بالمشهد الكاظمى مستهلَّ جمادى الآخره، و أخذ عن طائفه من علماء العراق، و قدم لبنان، و رحل إلى الحجاز و مصر و دمشق و إيران، و عاد إلى لبنان، فكان مرجع الطائفة الشيعيه، و أسَّس الكليَّه الجعفريه بصور، و توفَّى ببيروت فى ٨ جمادى الآخره سنه ١٣٧٧، و نقل جثمانه إلى العراق فدفن بالنجف.

من آثاره: المراجعات، و هى اسئله و جَهِها سليم البشرى إلى المترجم فأجاب عنها. أبو هريره. الشيعه و المنار. إلى المجمع العلمى العربى بدمشق.

ص: ٢٥

(١- ١) أضواء على السنَّه المحمّديه: ٤٠٥. منشورات مؤسسه الأعلمى، الطبعة الخامسه.

و الفصول المهمه فى تأليف الأمه» (١).

و ثالثاً: قد اعترف هذا القائل فى كلامه بأنّ أحداً من أهل السنّه لم يردّ على المراجعات، فلما ذا لم يردّوا؟! أمّا كانوا يرون وجوب «تحذير المسلمين من عدوّهم» على كلّ «داعيه»؟! أو لم يكونوا دعاه كما كان هذا القائل؟!!

و رابعاً: قد اعترف هذا القائل فى كلامه بأنّ هذا الكتاب قد أثر فى المسلمين، لكن قال: فى بسطاء المسلمين و عامّتهم!
و قال آخر:

«و فى عصرنا أيضاً نجد كتاباً يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت (٢). رأيت طبعته العشرين فى عام ١٤٠٢، و يوزّع على سبيل الهديه فى الغالب الأعمّ، و اسم الكتاب المراجعات. ذكر مؤلّفه شرف الدين هذا الحديث بالمتن الذى بيّنّا ضعف أسانيده (٣) و قال: بأنّه حديث متواتر. ثمّ نسب للشيخ سليم البشرى رحمه الله، شيخ الأزهر و المالكيه أنّه تلقّى هذا القول بالقبول و أنّه طلب المزيد...» (٤).

و قال فى كُتَيْبِ أسماء: «عقيدته الإمامه عند الشيعة الإماميه..دراسه فى

ص: ٢٦

١- ١) معجم المؤلفين ٨٧: ٥.

٢- ٢) بل إنّ أبناء «البيوت» يقبلون عليه و يسعون وراء الحصول عليه و جلبه إلى البيوت. و لا يخفى ما تدلّ عليه كلمه أبناء «البيوت» من معنى، منطوقاً و مفهوماً!

٣- ٣) يعنى: حديث الثقلين.. و قد بيّنّا فى ردّه صحّه قول السيّد و غيره بتواتره، فراجع كتابنا: «حديث الثقلين: تواتره..فقهه» كما سنبين ذلك هنا باختصار حين يأتى التعرّض له إن شاء الله، و قد بلغنى و قوف الدكتور على الكتاب المذكور، و لكن لم يصلنى حتّى الآن أىّ اعتراض عليه، لا منه و لا من غيره.

٤- ٤) حديث الثقلين و فقهه- للدكتور على أحمد السالوس-: ٢٨.

ضوء الكتاب و السنه هل كان شيخ الأزهر البشرى شيعياً؟! (١).

قال في مقدمته: «و قبل أن أختتم البحث رأيت أن أشير إلى الفريه الكبرى التي جاء بها الكاتب الشيعي شرف الدين الموسوي في كتابه «المراجعات» و أن أتبه إلى براهه الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر ممّا نسبه إليه هذا المؤلف».

ثمّ قال في الصفحه ١٧٠: «ممّا رزئنا به في عصرنا كتاب يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت، رأيت طبعته العشرين في عام ١٤٠٢...».

و قال في الخاتمه: «و من أكبر هذه المفتريات الكتاب المسمّى (المراجعات) الذي لم يكتف مؤلفه بجعل الأحاديث الموضوعه المكذوبه أحاديث ثابتة متواتره، بل نسب لشيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى رحمه الله أنّه سلّم بهذا و أيده. بل سلّم بعقيدته الشيعه الجعفرية، و رأى أن أتباع المذهب الشيعي الجعفري أولى بالاتباع من أيّ مذهب من المذاهب الأربعة».

و قال ثالث:

«و أمّا كتاب المراجعات فقد استحوذ على اهتمام دعاه التشيع، و جعلوه

ص: ٢٧

١-١) إسم ضخّم! و لكنّه في ١٨٠ صفحه من القطع الصغير! و قد جعل عليه عنوان «هل كان شيخ الأزهر البشرى شيعياً؟» ليوهم أنّه سيحقّق عن هذا الموضوع، و لكن عند ما تراجع لا تجد إلّا الاستبعاد! إلّا أنّ تشيع شيخ الأزهر دليل على تحقيقه و إنصافه، و هكذا يكون حال كلّ مسلم إن حقّق و أنصف! كما دعا إلى ذلك السيّد شرف الدين في كلّ ما حقّق و صنّف! بخلاف حضره الدكتور و أمثاله، المدافعين عن بنى أميّة اقتداءً ببن تيمية! و لسان حالهم «إنّا وجدنا آباءنا على أمّه و إنّا على آثارهم مقتدون» و الذي يؤكّد ما ذكرنا في خصوص الدكتور السالوس أنّه يحاول إيجاد ضجّه على الشيعه و أهل السنّه المحقّقين المنصفين-من علماء الأزهر و غيرهم-الدعاه إلى التقريب بين المسلمين، و ذلك بإصدار كراريس، أحدها في آيه التطهير، و الآخر في حديث الثقلين، و ثالث في عقيدته الإمامه عند الشيعه... و الحال أنّ كلّاً منها فصل من فصول كتابه الكبير الذي أسماه ب: «أثر الإمامه في الفقه الجعفري و أصوله» فلاحظ و تأمل!

أكبر وسائلهم التي يخدعون بها الناس. أو بعبارة أدق: يخدعون به أتباعهم و شيعتهم، لأن أهل السنّة لا يعلمون عن هذا الكتاب و لا- غيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض، اللهم إلا من له عناية و اهتمام خاصّ بمذهب الشيعة. و قد طبع هذا الكتاب أكثر من مائه مرّة، كما زعم ذلك بعض الروافض.

و الكتاب في زعم مؤلّفه واقعه من وقائع التقارب بين أهل السنّة و الشيعة، و هو عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشرى، و بين عبد الحسين هذا، انتهت بإقرار شيخ الأزهر بصحّة مذهب الروافض و بطلان مذهب أهل السنّة.

و الكتاب- لا شكّ- موضوع مكذوب على شيخ الأزهر، و براهين الكذب و الوضع له كثيره نعرض لبعض منها، و قبل ذلك نشير إلى أنّ الروافض من دأبهم وضع بعض المؤلّفات و نسبتها لبعض مشاهير أهل السنّة، كما وضعوا كتاب «سرّ العالمين» و نسبوه إلى حجّج الإسلام محمّد الغزالي.

أمّا مظاهر و أمارات الكذب و الوضع في هذا الكتاب فمنها:

أولاً: الكتاب عبارة عن مراسلات خطّية بين شيخ الأزهر سليم البشرى و بين هذا الرافضى، و مع ذلك جاء نشر الكتاب من جهة الرافضى وحده، و لم يصدر عن البشرى أيّ شيء يثبت ذلك.

و ثانياً: أنّ هذا الكتاب لم ينشره واضعه إلّا بعد عشرين سنة من وفاه البشرى، فالبشرى توفّي سنة ١٣٣٥، و أوّل طبعه لكتاب «المراجعات» هي سنة ١٣٥٥ في صيدا.

و ثالثاً: أنّ أسلوب هذه الرسائل واحد هو أسلوب الرافضى، و لا تحمل رساله واحده أسلوب البشرى.

و رابعاً: أمّا نصوص الكتاب فتحمل في طياتها الكثير و الكثير من أمارات

و الحقيقه المفجعه: أنّ هذا الافتراء يطبع عشرات المرّات باسم التقريب، و لا أحد من أهل السنّه يتبّه بهذا الأمر الخطير» (١).

أقول:

أولاً: إنّ كتاب «سرّ العالمين و كشف ما فى الدارين» لأبى حامد محمّد الغزّالى، صاحب إحياء العلوم. و قد نسبه-فيمن نسبه-إليه كبير الحفاظ و المؤرّخين المعتمدين من أهل السنّه، ألا و هو شمس الدين الذهبى-المتوفى سنة ٧٤٨-فى كتابه المعروف «ميزان الاعتدال» و اعتمد عليه و نقل منه، فلاحظ الكتاب المذكور (٢).

و على هذا الأساس نسبته الشيعة إليه، فلما ذا الافتراء؟! و لما ذا الانكار من هؤلاء الطلبة الأصغر المتأخرين لما يقرب به أكابر أئمتهم المعتمدين؟!!

و ثانياً: إنّ هذا الذى يعترف به-متفجعاً-من أقوى أدلّه صحّه

ص: ٢٩

□

١ - ١) مسأله التقريب بين أهل السنّه و الشيعة ٢١٣:٢-٢١٧ للدكتور ناصر بن عبد الله القفارى، و هو رساله لنيل درجه الماجستير، أجزت بتقدير ممتاز! نشر: دار طيبه فى الرياض سنة ١٤١٣ هـ فى جزءين كبيرين.

٢ - ٢) ميزان الاعتدال، ترجمه الحسن بن الصباح ٥٠٠:١. و ممّن نسب الكتاب إلى الغزّالى: الحافظ الواعظ سبط ابن الجوزى الحنفى-المتوفى سنة ٥٨١-صاحب التاريخ الشهير «مرآه الزمان» و غيره من المصنّفات، و له: «تذكره خواصّ الأمّه» الذى أورد فيه بعض ما يتعلّق بأئمّه أهل البيت عليهم السلام، بأسانيده إلى النبيّ عليه و آله الصلاه و السلام، و لأجله رموه بالترفض مع الثناء عليه و وصفه بالحفظ و الفقه كما لا يخفى على من لاحظ ترجمته فى «الجواهر المضيّه فى طبقات الحنفية» و «الفوائد البهيّه فى طبقات الحنفية» و غيرهما.

المراجعات، و اعتبار ما تحويه من استدلالات، وإلا فعلماء قومه مقصرون أمام الله و الرسول و مشايخ الصحابه المقتدي بهم في مذهبهم! رغم طبعها عشرات المرّات كما ذكره، و رغم أنّها تدعو إلى المناظره بصدر رحب... كما ذكر السيّد رحمه الله.

و ثالثاً: ما ذكره بعنوان «و بعبارة أدقّ...» يكذّبه قول زميله القائل: «قد أثر في بسطاء المسلمين و عامّتهم» و قول الآخر: «يسعى جاداً للدخول إلى كلّ بيت...» على حدّ تعبيرهما.

و رابعاً: المراجعات ليست موضوعه، كما مرّ و سيأتي.

و خامساً: إن الأمارات التي ذكرها، تعود الثلاثة الأولى منها إلى مطلب واحد سنجيب عنه في الجواب عن السؤال عن الكوارث التي منعت طبع الكتاب و ضيّعت نسخته. و الرابعه يظهر بطلانها من خلال ما سنوضّحه حول نصوص الكتاب.

السبب في تأخير طبع الكتاب:

ثمّ إنّه قد اعترض على كلام السيّد في المقدّمه بأنّه:

«ما ذا يعنى الموسوى بالحوادث و الكوارث التي أخّرت طبع هذه المراجعات أكثر من ربع قرن من الزمن؟ إنّه سؤال لا- جواب عليه، لأنّ الموسوى لم يقدم لنا حادثه أو كارثه واحده من هذه الحوادث و الكوارث، و إذا عدنا إلى كتب التاريخ التي أرّخت لهذه الحقبة من الزمن التي تمّت فيها هذه المراجعات المزعومه نقلّب صفحاتها فلا نجد فيها ما يمنع من نشرها».

أقول:

□
و هذا جهل أو تجاهل. لقد أشرنا من قبل إلى أنّ السيّد-رحمه الله- كان في طليعه الشخصيات الإسلاميه التي قاومت الاحتلال الفرنسي للبنان، فقد قاد شعبه في مواجهه الاحتلال، و استخدم كافة الأساليب لها، و وقف بصرامه يطالب خروج الفرنسيين من بلاده، و يدعو إلى الوحدة السوريّه المستقلّه، فأوعز المحتلون إلى عملائهم بالتخلّص من هذا القائد، و استغلّوا عميلاً عربياً يدعى:

(ابن الحلّاج جبران) من أهالي مدينه صور، و اقتحموا دار السيّد، و شهر العميل مسدّسه في وجه السيّد، فركله برجله فوق على ظهره و سقط المسدّس من يده، و تعالت الأصوات و صيحات النساء، ففرّ الفرنسيون من الدار، و توافدت الجموع إليها من كلّ جانبٍ تشتاط غضباً فأمرهم السيّد القائد بالهدوء.

□
قال رحمه الله في كلام له:

«و كان من ذلك أن عزم الفرنسيون، و عزمت ذيولهم، أن يتخلّصوا منّي عن طريق الاغتيال، لتنهيار هذه الجبهه إذا خلوت من الميدان، و في ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ، الموافق ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩ م، و الدار خاليه من الرجال، أقبل فتى من رجال الأمن العام الذين أملى لهم الفرنسيون أن يشتطوا على المسلمين و الأحرار من أهل الدين، و أقبل معه رجلاّن من الجند الفرنسي، و كانوا جميعاً مسلّحين، فاقتحموا الباب، ثمّ أحكموا أرتاجها، و دنا الفتى العربي ابن الحلّاج شاهراً مسدّسه، و هو يطلب أن أعطيه التفويض الذي كنّا أخذناه من وجوه البلاد و ثائق تخوّل الملك فيصل أن يتكلّم باسمنا في عصبه الأمم.

و حين أصبح على خطوه منّي ركلته في صدره ركله ألقته على ظهره

ص: ٣١

فسقط المسدّس من يده، و أتبعَتْ الركله بضرباتٍ عنيفه بالحذاء على رأسه و وجهه، و علت صيحه نساءنا في الدار، فملئت الطريق خلف الباب، فإذا الرهبه تتولّى هزيمه الجنديين و صاحبهما مخفقين، و قد كادت الأيدي و الأرجل أن تقضى عليهم....» (١).

ثم إنَّ السيّد دعا إلى مؤتمرٍ للتّحاور مع رجالات السياسة و الفكر، لآخذ القرارات المناسبه للاستمرار بالمواجهه و السيطرة على الموقف حتّى الوصول إلى الهدف، فعقد المؤتمر في منطقه (الحجير) و مثّل المؤتمرين في وفد إلى سوريا للاجتماع مع الملك فيصل، حتّى إذا رجع و ثب الفرنسيون بجيش جرّارٍ إلى جبل عامل توّجه نحو قريه (شحور) للإلقاء القبض على السيّد و قتله،...
□
قال رحمه الله:

«و مهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حمله جرّاره قدّرت بألف فارس مجهّزين بالمدافع الثقيله و الدبابات و المدرّعات، زحفت بقياده الكولونيل (نجير) إلى (شحور) و ما كاد الفجر يتضوّأ بأضوائه النديّه حتّى كانت المدافع الثقيله منصوبه على جبلي (الطور) و (سلطان) المشرفين على القريه، و هبط الجيش يتدفّق بين كروم التين، و يلتفّ حول القريه، في رهبه أوحشت سكينه الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى في مستهلّ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨، و كنت أهوم بعد صلاه الفجر بنعاس بعد تعب السفر و تعب السهر، و كانت وصيفتنا «الصالحه» «السعيده» تنهياً لصلاتها، فأشرفت على مدخل القريه - و هي تتبيّن الصبح - فراعها أن ترى أن آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في

ص: ٣٢

مثل هذا البكور، فأجفلت مذعوره، ورجعت توقظني من نومى.

نهضت مسرعا إلى أرديتى، وانسللت أتخطي الانزقه و المضايق، ثم خرجت من بين العسكر و هم لى منكرون، و تركتهم يتظنون، و انسحبت أهبط الوادى إلى غار على شاطئ الليطانى، كان لجأ إليه جدنا السيد صالح فى محنه الجزار.

أميا الجند فطفق يسأل عنى، و استوقف الصغار من أفاخى مع عمهم السيد محميد و خالهم السيد حسن، يستنطقهم و السيف مصلت فوق رؤوسهم، و لكنهم أجمعوا على أنى فى دمشق، و لميا استياسوا من العثور على تفرقوا فى القرية يأكلون و يشربون و يحطمون، و لم يغادروا (شحورا) قبل أن يحرقوا الدار...

فحكمت على بالنفى المؤيد مع مصادره ما أملك. و قد احتلوا دارنا فى صور بعد أن صيح نهبا فى حجراتها، فعظمت المصيبة و جلّت الرزية بنهب المكتبة الحافله بكتبها القيمة، و فيها من نفائس الكتب المخطوطه ما لا يكاد يوجد فى غيرها.

و كان لى فيها كتب استفرغت فى تأليفها زهره حياتى و أشرف أوقاتى، فإننا لله و إنا إليه راجعون» (١).

ثم إنه شرّد به -طاب ثراه- مع أهله و ذويه إلى دمشق، فبقى بها مدّة و انتقل منها إلى فلسطين، و منها إلى مصر، و هو فى جميع هذه الأحوال متنكّر وراء كوفتيه و عقال على نسق المألوف من الملابس الصحراويه اليوم، حتى إذا قصد الهجره إلى العراق أرسل إليه بأمان و طلب منه العوده إلى وطنه، و كانت العوده يوم الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٣٩.

ص: ٣٣

و الخلاصه: إنه لَمَّا يثست قوات الاحتلال من القبض عليه، عادت فسَلطت النار على داره فى (شحور) فتركتها هشيمًا تذروه الرياح، ثم احتلّت داره الكبرى الواقعه فى (صور) بعد أن أباحتها للأيدى الاثيمه تعيث فيها سلباً و نهباً، حتى لم تترك فيها غالباً و لا رخيصاً، و كان أوجع ما فى هذه النكبه تحريقهم مكتبته العامره بكلّ ما فيها من نفائس الكتب و أعلاقها، و منها مؤلفاته الكثيره القيمه التى كانت خطيّه فى ذلك الوقت، و المكاتيب و المراجعات.

فهذا موجز تلك الحوادث و الكوارث، كما فى مقدّمه «المراجعات» و غيرها من المؤلفات، و فى كتاب «الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين مصلحاً و مفكراً و أديباً» و غيره ممّا كتب بترجمه السيّد، و إن شئت التفصيل فراجع (البغيه) بقلمه الشريف، فقد ذكر فيها جميع تلك الكوارث و الحوادث بما لها من خصوصيات و جزئيات... و إليها أشار-رحمه الله- فى مقدّمه:

«المراجعات» ثم صرّح بأنّ الصحف التى ينشرها الآن كلّها بلفظه و خطّه...

لكنّ البعض لا يصدّقون السيّد-الصادق المصدّق- فيما يقول أو لا يرون ما لاقاه و قاساه-مع شعبه-كوارث! أو يريدون إنكار تلك الجهود، أو استنكار ذلك الجهاد ضدّ الاستعمار! فيذكرون للتأخير سبباً من عندهم، بوحى من ظنونهم السيئه الفاسده، و أغراضهم الباطله الكاسده، فيقول قائل منهم:

«و الذى دفع الموسوى إلى تأخير نشر و طباعه (المراجعات) إنّما هو حاجه فى نفسه، إذ أنّ الفتره التى كانت فيها المراجعات، و التى اعتبرها فتره غير ملائمّه لمثل هذا الأمر، إنّما تعنى أواخر الخلافه العثمانيه التى مهما قيل فيها فإنّها تظلّ خلافه تدين بالإسلام و تدفع عنه أعداءه و خصومه، و تناهض كلّ الفرق الضالّه التى اتّخذت من الإسلام ستاراً لضرب الإسلام و الكيد للمسلمين

كالرافضه و غيرهم، و الموسوى خشى على نفسه من نشر هذه المراجعات فى ظلّ هذه الخلافه، لما فيها من مخالفه للكتاب و السنه و عقيدته الأّمه، الأمر الذى قد لا تسمح الخلافه العثمانيه بنشره، لذا فإنه كان ينتظر فرصه مناسبه و مؤاتيه لنشر هذه الأباطيل...

و الأمر الثانى الذى دفعه إلى تأخير نشر مراجعاته: أنّها مراجعات لا أصل لها، فلا بدّ له من تأخيرها، إذ لو نشرها فى الوقت الذى تمّت فيه هذه المراجعات لتصدّى إلى تكذيبه العديد من العلماء، لا سيّما شيخ الأزهر الذى كذب عليه و قوله ما لم يقل، فلمّا مات شيخ الأزهر و مات بعض أقرانه، و نسى الأحياء منهم أمر هذه المراجعات، و ما كان فيها من وقائع و تفصيلات، و لمّا اطمأنّ الموسوى لهذا كلّه سارع عندئذ لنشر أباطيله».

أقول:

لقد ذكر أمرين هما السبب - بزعمه - فى تأخير نشر «المراجعات»:

أمّا الأوّل: فلا - يتفوّه به عاقل، إذ الخلافه العثمانيه كانت فى تلك الأيام على وشك الانهيار و الاضمحلال، و لم تعد قادره على حفظ كيانها، على أنّه كان بالإمكان طبع الكتاب - لو لا الحوادث و الكوارث - فى غير بلاد الخلافه العثمانيه...

و على الجملة، فهذا الأمر ممّا لا يصغى إليه، و تضحك التكلّى به، و لعلّه لذا لم نجده عند غير هذا المتقول.

و أمّا الأمر الثانى: فقد أشار إليه غيره أيضاً، و هو مردود بما ذكرناه فى بيان واقع الحال.

ص: ٣٥

على أنا نسأل هؤلاء عن السبب للحقيقه المفجعه، و هي عدم ردّ أحدٍ من علماء السنّه على هذه المراجعات، لا سيّما ممّن نشأ في ظلّ الخلافه العثمانيه التي كانت تناهض كلّ الفرق الضالّه على حدّ زعمه؟!!

و عن السبب لنشر مثل هذه التشكيكات و التكرييات، في مثل هذه الظروف و بعد نحو الخمسين عاماً على طبع المراجعات؟!!

و عن السبب في تأخير طبع ردّ أحدهم على كتاب «أبو هريره» مدّه ١٨ سنه، أي بعد وفاه السيّد بسنين (١)؟! ثمّ تبعه غيره، يأخذ اللاحق من السابق، فيكثرون المكرر (٢).

السييل لتوحيد المسلمين:

و هنا يقول القائل: «إنّ ما يسعى إليه الموسوى إنّما هو ضرب من المستحيل، إذ أنّه لو افترضنا الصدق فيها، فهي محاوله للتوفيق بين الحقّ و الباطل و بين الإسلام و الكفر!

إنّ السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين و لم شتاتهم و إزاله الفرقه بينهم، إنّما يكون بالعوده إلى الكتاب و السنّه، و فهم السلف الصالح لهما، كما أوضح ذلك الحقّ سبحانه و تعالى حيث قال: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ

ص: ٣٦

١ - ١) كتاب: أبو هريره راويه الإسلام، لمحمّد عجّاج الخطيب، ألفه ردّاً على كتاب: «أبو هريره» للسيّد شرف الدين، فردّ عليه الشيخ عبد الله السببتي بكتاب: «أبو هريره في التبار».

٢ - ٢) لاحظ: دفاع عن أبي هريره، لعبد المنعم صالح العلي، ثمّ: أبو هريره و أقلام الحاقدين، لعبد الرحمن عبد الله الزرعي، و هكذا...

كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١) و كما أوضح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ حيث قال: تركت فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلّوا: كتاب الله و سنتي. (أخرجه الإمام مالك و الترمذى و أحمد). فهل يستجيب الرفضه لله و رسوله؟ هيهات هيهات».

و يقول آخر: «مفهوم التقريب عند هذا الموسوى هو أخذ المسلمين بعقيدته الروافض، و هو فى سبيل ذلك يضع وقائع وهمية و حوادث لا حقيقه لها، و يزعم أنّها وقائع تقارب بين السنّه و الشيعة لتصفيه الخلاف، و لكن لم يكن لهذه المؤامرات من أثر إلّا عند طائفته» (٢).

أقول:

إنّ مفهوم التقريب لدى السيّد و طائفته هو التعريف بالشيعة، و بيان عقيدتها فى مسأله الإمامه-التي هى أعظم خلاف بين الأئمّه-و ذكر شواهدا و أدلتها فى كتب السنّه، و البحث و التحقيق حولها عن طريق الجدل الحقّ، ثمّ الأخذ بما اتّفق الكلّ على روايته و نقله فى الكتب المشهوره بين المسلمين، و على هذا الأساس استند السيّد فى «المراجعات» و غيرها من كتبه إلى ما جاء فى كتب السنّه من الأحاديث من طرفهم، و من هذا المنطلق يمكن التوفيق بين الطائفتين،... و لا استحاله... و بذلك يكون قد تحقّق ما أمر سبحانه و تعالى بقوله: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...» و إلّا فإنّ كلّ طائفه ترى الحقّ فيما ترويه

ص: ٣٧

١-١) سورة النساء ٥٩:٤.

٢-٢) مسأله التقريب ٢١٧:٢.

و تعتقده، و تحكم ببطلان ما تذهب إليه الطائفة الأخرى.

فالمراء من «الرد إلى الرسول» في الآيه الكريمة، و من «السنة» في الأحاديث الآمره بالرجوع إليها هو: الأخذ بما ثبت صدوره عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هو ما اتفق الكل على روايته بأسانيدهم.

و أمّا خصوص: «تركت فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا: كتاب الله و سنتي» فعزوه إلى أحمد و الترمذى كذب، إذ ليس هو من أحاديث مسند أحمد و صحيح الترمذى قطعاً.

موجز الكلام على حديث كتاب الله و سنتي:

بل لا يوجد في شيء من الصحاح و المسانيد أصلاً، نعم يوجد في (الموطأ) و (المستدرک) و بعض كتب المتأخرين، و نحن نكتفي بالبحث عن سنده في الكتابين المذكورين، لأنهما عمده الرواه له.

* أمّا (الموطأ) فقد جاء فيه ما نصّه: «و حدّثني عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما، كتاب الله و سنّه نيّه» (١).

و هو - كما ترى - لا سند له، فقال السيوطى بشرحه: «وصله ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه» (٢).

لكن يكفينا النظر في حال «كثير بن عبد الله» المذكور. قال ابن حجر:

ص: ٣٨

١ - ١) الموطأ ٣/٨٩٩: ٢.

٢ - ٢) تنوير الحوالك - شرح على موطأ مالك ٣: ٩٣.

قال أبو طالب عن أحمد: منكر الحديث، ليس بشيء.

□ □
وقال عبد الله بن أحمد: ضرب أبي علي حديث كثير بن عبد الله في المسند ولم يحدثنا عنه.

وقال أبو خيثمه: قال لي أحمد: لا تحدث عنه شيئاً.

وقال الدورى عن ابن معين: لجده صحبه، وهو ضعيف الحديث. وقال مرة: ليس بشيء.

وكذا قال الدارمى عنه.

وقال الأجرى: سئل أبو داود عنه فقال: أحد الكذابين.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعه عنه فقال: واهى الحديث.

وقال أبو حاتم: ليس بالمتين.

وقال النسائى: ليس بثقه.

وقال ابن عدى: عامه ما يرويه لا يتابع عليه.

وقال أبو نعيم: ضعفه على بن المدينى.

وقال ابن سعد: كان قليل الحديث، يستضعف.

وقال ابن حجر: ضعفه الساجى.

وقال ابن عبد البر: ضعيف، بل ذكر أنه مجمع على ضعفه.

هذا، والحديث عن أبيه عن جده، وقد قال ابن حبان:

روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعه لا يحل ذكرها فى الكتب ولا الروايه إلا على وجه التعجب.

وقال ابن السكن: يروى عن أبيه عن جده أحاديث فيها نظر.

و قال الحاكم: حدّث عن أبيه عن جدّه نسخهً فيها مناكير (١).

*و أمّا (المستدرک) فقد أخرج من طريق ابن أبي أویس عن عكرمه عن ابن عباس، ثم قال: «وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريره» فأخرجه عنه من طريق صالح بن موسى الطلحي (٢).

لكن يكفينا النظر في حال «إسماعيل بن أبي أویس» و«صالح بن موسى الطلحي الكوفي».
أمّا الأوّل، فهذه كلماتهم فيه:

قال معاوية بن صالح عن ابن معين: هو و أبوه ضعيفان.

و عنه أيضاً: ابن أبي أویس و أبوه يسرقان الحديث.

و عنه: مخطّط، يكذب، ليس بشي.

و قال النسائي: ضعيف.

و قال في موضع آخر: غير ثقة.

و قال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدّى إلى تركه، و لعلّه بان له ما لم يبين لغيره، لأنّ كلام هؤلاء كلّهم يؤول إلى أنّه ضعيف.

و قال ابن عدی: روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

و قال الدولابي في الضعفاء: سمعت النضر بن سلمه المروزي يقول: ابن أبي أویس كذاب.

و قال العقيلي في الضعفاء: ثنا أسامه الزفاف -بصرى- سمعت يحيى بن

ص : ٤٠

١- ١) تهذيب التهذيب ٣٧٧: ٨-٣٧٨.

٢- ٢) المستدرک علی الصحیحین ١: ٩٣.

معين يقول: ابن أبي أويس لا يسوى فلسين.

و قال الدارقطني: لا أختره فى الصحيح.

و قال ابن حزم فى المحلى قال أبو الفتح الأزدي: حدثنى سيف بن محمد:

أن ابن أبى أويس كان يضع الحديث.

قال سلمه بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أبى أويس يقول: ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة اذا اختلفوا فى شىء فيما بينهم (١).

و أمّا الثانى، فهذه كلماتهم فيه:

قال ابن معين: ليس بشى.

و قال أيضاً: صالح و إسحاق ابنا موسى ليسا بشى و لا يكتب حديثهما.

و قال هاشم بن مرثد عن ابن معين: ليس بثقه.

و قال الجوزجاني: ضعيف الحديث على حسنه.

و قال ابن أبى حاتم عن أبيه: ضعيف الحديث جداً، كثير المناكير عن الثقات. قلت: يكتب حديثه؟ قال: ليس يعجبني حديثه.

و قال البخارى: منكر الحديث عن سهل بن أبى صالح.

و قال النسائى: لا يكتب حديثه، ضعيف.

و قال فى موضع آخر: متروك الحديث.

و قال ابن عدى: عامّه ما يرويه لا يتابعه عليه أحد، و هو عندى ممّن لا يتعمّد الكذب، و ليس يشبهه عليه و يخطئ، و أكثر ما يرويه

عن جدّه من الفضائل ما لا يتابعه عليه أحد.

ص: ٤١

و قال الترمذى: تكلم فيه بعض أهل العلم.

□
و قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عنه فقال: ما أدري، كأنه لم يرضه.

و قال العقيلي: لا يتابع على شيء من حديثه.

و قال ابن حبان: كان يروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، حتى يشهد المستمع لها أنها معموله أو مقلوبه، لا يجوز الاحتجاج به.

و قال أبو نعيم: متروك، يروى المناكير (١).

أقول:

□ □
هذه أسانيده في أهم الكتب المخرجه له، وقد عرفت حالها. فظهر أنه ليس بحديث صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فلا يجوز الاحتجاج به فضلاً عن أن يقابل به مثل حديث الثقلين «الكتاب و العتره أهل البيت» وغيره من الاحاديث القطعيه.

هذا، و من أراد التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه (٢).

و الخلاصه: إن السيد يدعو إلى الوثام بين المسلمين عن طريق البحث الصحيح و الجدل الحق، في الحديث و السير و التاريخ و غير ذلك، لا عن طريق تناسى الماضى، لأن هذا لو أفاد فى برهه من الزمن فلا يكاد يجدى على المدى البعيد، و لا يعطى النتيجة المطلوبه، بل إن معنى ذلك بقاء الانطباعات عن القضايا فى النفوس و الأذهان، و هذا ما يؤدى -بطبيعته الحال- إلى مضاعفات لا تكاد

ص: ٤٢

١- ١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٥٤-٣٥٥.

٢- ٢) الرسائل العشر، الرسالة العاشره.

تقبل العلاج من أى طرفٍ كان.

و قد عرفت السيد إلى من أهدى كتابه ! و أى شىء ترجى منه !

هذا تمام الكلام حول المكابرات، المتعلقه بمقدمه المراجعات.

ص: ٤٣

مقدمات قبل الورود فى تشييد المراجعات و تنفيذ المكابرات

ص: ٤٥

و كتاب المراجعات يحتوى على مبحثين:

الأول: فى إمامه المذهب.

و الثانى: فى الإمامه، و هى الخلافه عن رسول الله ﷺ و آله و سلم.

و يشتمل كل منهما على مراجعات...

و لا بدّ قبل الورود فيها من مقدمات:

«إنّ التشييع» مذهب كسائر المذاهب، له أصوله و قواعده فى الأصول و الفروع، و الشيعة الإماميه الاثنا عشرية غير محتاجه- فى إثبات حقيته ما تذهب إليه- إلى روايات الآخرين و أخبارهم، و لا إلى ما قاله علماء الفرق الأخرى فى كتبهم و أسفارهم..

فلا يتوهّم أحد أنّهم- لاستدلالهم بشيءٍ خارج عن نطاق أدلتهم و حججهم- يفقدون فى ذلك المورد المستدلّ عليه، الدليل المتقن على رأيهم، فيلجأون إلى قول من غيرهم، أو إلى خبر من غير طرقهم...

إلّا أنّهم لمّا كانوا واقعيين فى بحوثهم، منصفين فى مناظراتهم مع أتباع كلّ فرقٍ من الفرق، يستندون إلى ما جاء فى كتب تلك الفرقه و على لسان علمائها المعتمدين فيها، و هذا ما تفرضه طبيعه المناظره، و تقتضيه آدابها و قواعدها المقرّره.

فاستدلال الشيعة بخبرٍ من كتابٍ.. أو استشهادهم بكلامٍ عالمٍ... لفرقه من الفرق.. لا يعنى القبول بكلِّ ما جاء فى ذلك الكتاب، أو على لسان ذاك العالم..

و إنّما هو احتجاج على الطرف الآخر بما لا مناص له من الالتزام به، بعد الإقرار بذلك الكتاب، و يكون ذلك العالم من علماء مذهبه...

و يكفى للاحتجاج أن يكون ذلك الخبر المستدلّ به مقبولاً لدى رواته، و فى نظر المحدّث الذى أورده فى كتابه، و لا يشترط أن يكون معتبراً عند جميع علماء تلك الطائفة، و ذلك:

لأدّن الغرض إثبات أنّ الذى تذهب إليه الشيعة مروى من طرق الخصم و موجود فى كتبه، و أنّ الراوى له موثوق به عنده و لو على بعض الآراء، فيكون الخبر متفقاً عليه، و المتفق عليه بين الطرفين فى مقام المناظره- لا ريب فيه.

و لأنّ الخبر أو الراوى المقبول المعتمد لدى كلّ علماء تلك الطائفة نادر جدّاً.

نعم، إذا كان ضعيفاً عند أكثرهم لم يتم الاستدلال و الاحتجاج به عليهم.

* و على الجملة، فإنّه يكفى لصحّ الاستدلال بكتابٍ أو بخبرٍ أو بكلامٍ عالمٍ.. ألّا يكون معرضاً عنه لدى أكثر أئمّه الفرقة المقابله؛ و أمّا أن يردّ الاحتجاج- بما رواه الراوى الموثق من قبل بعضهم- بجرح البعض.. فهذا ممّا لا يسمع، و إلّا يلزم سقوط أخبار حتّى مثل «البخارى» و «مسلم» فى كتابيهما المعروفين ب«الصحيحين» لوجود الطعن فيهما و فى كتابيهما، من غير واحدٍ من كبار الأئمّه الحفّاظ (1).

ص: ٤٨

١ - ١) هذا حال البخارى إمامهم فى الحديث، و سنشير إلى حال إمامهم فى العقائد و هو: أبو الحسن الأشعري. و لعلنا نتعرّض لحال أئمّتهم فى الفقه و هم: الأئمّه الأربعة! و إمامهم فى التفسير هو: الفخر الرازى... فى المواضع المناسبه. إن شاء الله تعالى.

فقد ذكر كبار الحفاظ امتناع الإمامين الجليلين: أبي زرعه و أبي حاتم الرازيين عن الروايه عن «محمّد بن إسماعيل البخارى» لأجل انحرافه فى العقيدته فى نظرهما، وقال الحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم: كان أبو زرعه ترك الروايه عن البخارى من أجل ما كان منه فى المحنه.

و لأجل هذا، فقد أورد ابن أبى حاتم الرازى البخارىّ فى كتابه فى «الجرح و التعديل» (١).

و لأجل تكلم أبى زرعه و أبى حاتم، و ما صنعه ابن أبى حاتم.. فقد أورد الحافظ الذهبىّ البخارىّ فى كتابه «المغنى فى الضعفاء» فقال: «حجّه إمام، و لا عبره بترك أبى زرعه و أبى حاتم له من أجل اللفظ» (٢).

و أضاف الحافظ الذهبى بترجمه البخارى تكلم الإمام الكبير محمّد بن يحيى الذهلى فيه، و أنّه كان يقول: «من ذهب بعد هذا إلى محمّد بن إسماعيل البخارى فاتهموه، فإنّه لا يحضر مجلسه إلّا من كان على مثل مذهبه» (٣).

بل ذكر الذهبى أنّ الإمام الذهلى أخرج البخارىّ و مسلماً من مدينه نيسابور (٤).

و قال بترجمه الذهلى: «كان الذهلى شديد التمسك بالسنة، قام على

ص: ٤٩

١- ١) و ذكر ذلك الذهبى فى: سير أعلام النبلاء ١٢:٤٦٢.

٢- ٢) المغنى فى الضعفاء ٢:٢٦٨ رقم ٥٣١٢.

٣- ٣) سير أعلام النبلاء ١٢:٤٥٦.

٤- ٤) سير أعلام النبلاء ١٢:٤٦٠.

محمّد بن إسماعيل، لكونه أشار في مسأله خلق أفعال العباد إلى أنّ تلفظ القارى بالقرآن مخلوق... و سافر ابن إسماعيل مختفياً من نيسابور و تألم من فعل محمّد ابن يحيى» (١).

و قد تألم غير واحدٍ من أعلام القوم من موقف الذهبى من البخارى حين أورده فى كتاب «الضعفاء».

قال السبكي: «و ممّا ينبغى أن يتفقّد عند الجرح: حال العقائد و اختلافها بالنسبه إلى الجرح و المجروح، فرّبما خالف الجرح المجروح فى العقيدته فجرحه لذلك.

و إليه أشار الرافعى بقوله: و ينبغى أن يكون المزكّون برآء من الشحناء و العصبيّه فى المذهب، خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدلٍ أو تزكيه فاسق، و قد وقع هذا لكثير من الأئمّه، جرحوا بناءً على معتقدهم، و هم المخطئون و المجروح مصيب.

و قد أشار شيخ الإسلام سيّد المتأخّرين: تقى الدين ابن دقيق العيد فى كتابه (الاقتراح) إلى هذا و قال: أعراض المسلمين حفره من حفر النار، و وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون و الحكّام.

قلت: و من أمثله ما قدمنا قول بعضهم فى البخارى: تركه أبو زرعه و أبو حاتم، من أجل مسأله اللفظ.

□
فيا لله و المسلمين ! أ يجوز لأحدٍ أن يقول: البخارى متروك؟! و هو حامل

ص : ٥٠

لواء الصنّاعه، و مقدّم أهل السنّه و الجماعه» (١).

فهذه عباره السبكي، و لم يصرّح باسم القائل بذلك و هو الذهبي، لكنّ المتأوى صرّح باسمه، و اتّهمه بالغيّض و الغرض من أهل السنّه، و كأنّه ليس الذهبي من أهل السنّه !! فقال بترجمه البخاري:

«زين الأئمّه، افتخار الأئمّه، صاحب أصحّ الكتب بعد القرآن، صاحب ذيل الفضل على مرّ الزمان، الذي قال فيه إمام الأئمّه ابن خزيّمه: ما تحت أديم السماء أعلم منه. و قال بعضهم: إنّه آيه من آيات الله يمشى على وجه الأرض.

قال الذهبي: كان من أفراد العالم، مع الدين و الورع و المتانّه. هذا كلامه في الكاشف.

و مع ذلك غلب عليه الغيّض من أهل السنّه فقال في (كتاب الضعفاء و المتروكين): ما سلم من الكلام لأجل مسأله اللفظ، تركه لأجلها الرازيان.

هذه عبارته، و أستغفر الله تعالى. نسأل الله السلامه، و نعوذ به الخذلان» (٢).

*و نستفيد من هذه القضيّه أموراً:

١- ما ذكرناه سابقاً من أنّه لو اشترط في صحّحه استدلالنا بأخبار القوم و أقوالهم - كون الخبر معتبراً عند جميعهم، أو كون راويه موثقاً عند كلّهم.. لانسدّ باب البحث، لعدم وجود هكذا خبرٍ أو راوٍ فيما بينهم.

٢- إنّ البخاري و مسلماً مجروحان عند جماعه من الأئمّه، فتكون

ص: ٥١

١- (١) طبقات الشافعيه ١٢:٢.

٢- (٢) فيض القدير ٢٤:١.

روايتهما في كتابيهما كسائر الكتب و الروايات-خاضعه لموازين الجرح و التعديل..إن لم نقل بأن مقتضى الطعن المذكور فيهما سقوط رواياتهما عن الاعتبار رأساً..و هناك أحاديث كثيره في الكتابين قد نصّ العلماء المحققون الكبار على بطلانها، يطول بنا المقام لو أردنا ذكرها،فراجع بعض مؤلفاتنا (١).

٣-إنّ الذهبي-و هو من أكابر أئمة القوم في الجرح و التعديل-له مجازفات في تعديلاته و تجريحاته..فليس كلّ ما يقوله الذهبي في حقّ الرجال حقاً،و إلّا كان ما قاله و فعله في حقّ «البخارى» صحيحاً مقبولاً،و قد قال المئاوى بعد نقله:«نسأل الله السلامه و نعوذ به من الخذلان».

٤-إنّه ينبغي أن يتفقد حال العقائد و اختلافها بالنسبه إلى الجارح و المجروح،و أن يكون المزكّون و الجارحون برآء من الشحناء و العصبية في المذهب.و هذا ما أكّده الحافظ ابن حجر العسقلاني أيضاً،حين قال:

«و ممّن ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح:من كان بينه و بين من جرحه عداوه سببها الاختلاف في الاعتقاد،فإنّ الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب،و ذلك لشده انحرافه في النصب و شهره أهلها بالتشيع،فتراه لا يتوقّف في جرح من ذكره منهم،بلسانٍ ذلقه و عبارته طلقه،حتّى أنّه أخذ يلين مثل الأعمش و أبي نعيم و عبيد الله بن موسى و أساطين الحديث و اركان الروايه.فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ضعّفه قبل التوثيق...» (٢).

*و قد تبع الجوزجاني بعض من كان على مسلكه من المتأخرين،

ص: ٥٢

١-١) التحقيق في نفى التحريف عن القرآن الشريف:٢٩٣-٣٣٦.

٢-٢) لسان الميزان ١:١٦.

فأخذوا يطعنون في الراوى بمجرد روايته ما يدل على فضيله لعلى و أهل البيت عليهم السلام، أو ما يدل على قبح في واحد من مناوئهم، و يقولون عنه «شيعى» «رافضى» و نحو ذلك، و الحال أن التشيع - كما يقول الحافظ ابن حجر - : «محبته على و تقديمه على الصحابه» (١).

و الذين يقدمون علناً عليه السلام على غيره من الصحابه كثيرون حتى في الصحابه.. قال الحافظ ابن عبد البر: «و روى عن سلمان و أبى ذرّ و المقداد و خباب و جابر و أبى سعيد الخدرى و زيد بن أرقم: إن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أول من أسلم. و فضله هؤلاء على غيره» (٢).

فالتشيع لا يضرّ بالوثاقه عندهم و لا يمنع من الاعتماد. قال ابن حجر بترجمه «خالد بن مخلد القطوانى الكوفى» و هو من رجال البخارى:

«من كبار شيوخ البخارى، روى عنه و روى عن واحدٍ عنه. قال العجلي:

ثقه و فيه تشيع. و قال ابن سعد: كان متشيعاً مفرطاً. و قال صالح جزره: ثقه إلا أنه يتشيع. و قال أبو حاتم، يكتب حديثه و لا يحتجّ.

قلت: أما التشيع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ و الأداء لا يضرّه، لا سيما و لم يكن داعية إلى رأيه» (٣).

و قال ابن حجر بترجمه «عباد بن يعقوب الرواجنى» من رجال البخارى:

«رافضى مشهور، إلا أنه كان صدوقاً، و ثقه أبو حاتم، و قال الحاكم: كان ابن خزيمة إذا حدّث عنه يقول: حدّثنا الثقة فى روايته المتّهم فى رأيه: عباد بن

ص: ٥٣

١-١) مقدمه فتح البارى: ٤٦٠.

٢-٢) الاستيعاب ١٠٩٠: ٣.

٣-٣) مقدمه فتح البارى: ٣٩٨.

يعقوب. و قال ابن حبان: كان رافضياً داعيةً. و قال صالح بن محمّد: كان يشتم عثمان رضى الله عنه.

قلت: روى عنه البخارى فى كتاب التوحيد حديثاً واحداً مقروناً، و هو حديث ابن مسعود: أى العمل أفضل؟ و له عند البخارى طرق أخرى من روايه غيره» (١).

و قال الذهبى بترجمه «أبان بن تغلب»:

«شيعى جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه و عليه بدعته، و قد وثّقه أحمد بن حنبل و ابن معين و أبو حاتم. و أورده ابن عدى و قال: كان غالباً فى التشيع. و قال السعدى: زائع مجاهر.

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، و حدُّ الثقة العداله و الإتيان؟! فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعه؟!!

و جوابه: إنّ البدعه على ضربين، فبدعه صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلوّ و لا تحرف؛ فهذا كثير فى التابعين و تابعيهم، مع الدين و الورع و الصدق؛ فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويه، و هذه مفسده بينه» (٢).

أقول:

و على هذا الأساس أيضاً تسقط مناقشات بعض الكتاب فى أسانيد الأحاديث التى يستدلّ بها الشيعة الاثنا عشرية من كتب أهل السنّه.. لكنّ بعض

ص: ٥٤

١-١) مقدمه فتح البارى: ٤١٠.

٢-٢) ميزان الاعتدال ٥: ١.

المتعصبين يقدح في الرجل إذا كان شيعياً-أى يفضل علياً عليه السلام على غيره من الصحابه-و يكره الروايه عنه،حتى و إن كان من الصحابه،مع أنّ المشهور فيما بين أهل السنّه عداله الصحابه أجمعين! قال الحافظ ابن حجر بترجمه «عامر بن وائله أبو الطفيل الليثي المكي»:

«قال ابن عدى: كان الخوارج يرمونه بأتصاله بعليّ و قوله بفضله و فضل أهل بيته، و ليس بحديثه بأس. و قال ابن المديني: قلت لجرير: أكان مغيره يكره الروايه عن أبي الطفيل؟ قال: نعم. و قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: مكى ثقه. و كذا قال ابن سعد و زاد: كان متشيعاً.

قلت: أساء أبو محمّد بن حزم فضّعف أحاديث أبي الطفيل و قال: كان صاحب رايه المختار الكذاب. و أبو الطفيل صحابي لا شكّ فيه، لا يؤثّر فيه قول أحد، و لا سيّما بالعصبيّه و الهوى» (١).

قلت:

□
فالحمد لله الذي أجرى على لسان مثل ابن حجر العسقلاني أنّ ابن حزم يتكلّم «بالعصبيّه و الهوى» و قد حطّ على هذا الرجل أبو بكر ابن العربي.

و قال أبو العباس ابن العريف الصالح الزاهد: «لسان ابن حزم و سيف الحجّاج شقيقان».

و قال مؤرّخ الأندلس أبو مروان ابن حبان: «و ممّا يزيد في بغض الناس له تعصّبه لبنى أميّه، ماضيهم و باقيهم، و اعتقاده بصحّه إمامتهم، حتىّ نسب إلى

ص: ٥٥

النصب».

و قال ابن خلكان: «كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكاد يسلم أحد من لسانه. قال ابن العريف: كان لسان ابن حزم و سيف الحجاج شقيقين. قاله لكثرة وقوعه في الأئمة، فنفرت عنه القلوب، و استهدف لفقهاء وقته، فتمالوا على بغضه، و ردوا قوله، و أجمعوا على تضليله...».

و وصفه الآلوسى عند ذكره ب«الضالّ المضلّ».

انظر: لسان الميزان ٤:١٩٨، وفيات الأعيان ٣:٣٢٥، تفسير الآلوسى ٢١:٧٦.

قلت:

□ و ممّا يشهد بنصبه قوله في المحلّي ١٠:٤٨٤: «و لا خلاف بين أحد من الأئمة في أنّ عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليّاً رضي الله عنه إلّا متأولاً مجتهداً مقدراً أنّه عليّ صواب، و في ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفرية...».

و قد كان عليّ شاكلة ابن حزم في القول بالعصبيّة و الهوى:

* أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، فقد أفرط هذا الرجل في كتبه لا سيّما في كتابيه «العلل المتناهيّة» و «الموضوعات» حتّى ردّ عليه كبار المحقّقين، فنصّوا عليّ بطلان كثير من أقواله و آرائه.

قال الحافظ النووي: «و قد أكثر جامع الموضوعات في نحو المجلّدين، أعنى أبا الفرج بن الجوزي، فذكر كثيراً ممّا لا دليل عليّ وضعه...».

و قال الحافظ السيوطي: «فذكر في كتابه كثيراً ممّا لا دليل عليّ وضعه، بل هو ضعيف، بل و فيه الحسن و الصحيح، و أغرب من ذلك: أنّ فيها حديثاً من

ص: ٥٦

قال الذهبي: ربّما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسناً قويّة.

قال: و نقلت من خطّ السيّد أحمد بن أبي المجد قال: صنّف ابن الجوزي كتاب (الموضوعات) فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل و العقل. و ما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث، بكلام بعض الناس في أحد رواياتها، كقوله: فلان ضعيف أو: ليس بالقوى أو: لئین، و ليس ذلك الحديث ممّا يشهد القلب بطلانه، و لا- فيه مخالفه و لا- معارضه لكتاب و لا سنّه و لا إجماع، و لا حجّه بأنّه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في راويه. و هذا عدوان و مجازفه» (١).

و قال ابن عَرّاق: «و للإمام الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي فيها كتاب جامع، إلّا أنّ عليه مؤاخذات و مناقشات...» (٢).

و قد أورد ابن الجوزي في كتابه «العلل المتناهيه في الأحاديث الواهيه» حديث: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي» فاعترضه بشدّه كبار المحدثين المتأخرين عنه:

قال السخاوي: «و تعجبت من إيراد ابن الجوزي له في (العلل المتناهيه) بل أعجب من ذلك قوله: إنّه حديث لا يصحّ مع ما سيأتى من طرقه التي بعضها في صحيح مسلم» (٣).

و قال السمهودي: «و من العجيب ذكر ابن الجوزي له في (العلل المتناهيه)

١- ١) تدريب الراوي ٣٢٩: ١.

٢- ٢) تنزيه الشريعة المرفوعه ٣: ١.

٣- ٣) استجلاب ارتقاء الغرف ٣٣٨: ١.

فَيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ. وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَحْضِرْهُ حِينَئِذٍ» (١).

وَقَالَ الْمَنَّاوِيُّ: «وَوَهْمٌ مِنْ زَعْمٍ وَضَعَهُ كَابْنِ الْجَوْزِيِّ» (٢).

بَلْ هُنَاكَ كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْحَطِّ عَلَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ نَفْسِهِ:

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِي شَهْرِ رَمَضَانَ - تُوُفِّيَ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَوْزِيِّ الْحَنْبَلِيُّ، الْوَاعِظُ بِبَغْدَادٍ، وَتَصَانِيفُهُ مَشْهُورَةٌ، وَكَانَ كَثِيرَ الْوَقِيعَةِ فِي النَّاسِ، لَا سِيَّمَا فِي الْعُلَمَاءِ الْمَخَالِفِينَ لِمَذْهَبِهِ» (٣).

وَقَالَ أَبُو الْفَدَاءِ: «كَانَ كَثِيرَ الْوَقِيعَةِ فِي الْعُلَمَاءِ» (٤).

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «لَهُ وَهْمٌ كَثِيرٌ فِي تَوَالِيفِهِ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ الدَّاخِلُ مِنَ الْعَجَلِ وَالتَّحَوُّلُ إِلَى مُصَنِّفٍ آخَرَ، وَمِنْ أَنْ جَلَّ عِلْمُهُ مِنْ كِتَابٍ وَصَحَّفَ مَا مَارَسَ فِيهِ أَرْبَابَ الْعِلْمِ كَمَا يَنْبَغِي» (٥).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرَ: «...دَلَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَلَى أَنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ حَاطَبٌ لَيْلٍ لَا يَنْقُدُ مَا يَحْدُثُ بِهِ» (٦).

وَقَالَ السِّيُوطِيُّ: «قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ: لَا يَوْصَفُ ابْنَ الْجَوْزِيِّ بِالْحَفِظِ عِنْدَنَا بِاعْتِبَارِ الصَّنْعَةِ، بَلْ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ إِطْلَاعِهِ وَجَمْعِهِ» (٧).

وَقَالَ الْيَافِعِيُّ: «وَفِيهَا أُخْرِجَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مِنْ سَجْنٍ وَاسِطٍ وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ،

ص: ٥٨

١-١) جواهر العقدين ١:٧٣.

٢-٢) فيض القدير ٣:١٥.

٣-٣) الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٩٧.

٤-٤) المختصر في أخبار البشر - حوادث سنة ٥٩٧.

٥-٥) تذكره الحفاظ ٤:١٣٤٧.

٦-٦) لسان الميزان ٢:٨٤، ترجمه ثمامه بن أشرس.

٧-٧) طبقات الحفاظ: ٤٨٠.

و بقى فى المظموره خمس سنين، كذا ذكره الذهبى...» (١).

*و أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه الحرانى، فقد طعن فى كثير من الرجال و فى كثير من الأحاديث و الأخبار، و فى كثير من مصنفات أهل السنه، لروايتها ما يتمسك به الإماميه.. و لقد تمادى هذا الرجل فى غيه حتى انبرى كبار علماء أهل السنه من أهل المذاهب الأربعة للفتوى ضده، ثم أمر بأن ينادى بالحط عليه و المنع من أتباعه، ثم حبس، حتى مات فى الحبس.

*و شمس الدين الذهبى، صاحب المؤلفات الكثيره و تلميذ ابن تيميه الحرانى و الملازم له (٢) فقد حكم على كثير من الأحاديث الصحيحه بالوضع، و طعن فى كثير من الرجال و أسقط رواياتهم عن درجه الاعتبار.. و قد فعل ذلك بالنسبه إلى كثير من أئمه أهل السنه و محدثيهم المشاهير فى كتابيه «ميزان الاعتدال» و «المغنى فى الضعفاء» حتى أدرج فى الثانى «محمّد بن إسماعيل البخارى» كما تقدّم.

و قال السبكى بترجمته: «كان شديد الميل إلى آراء الحنابله، كثير الإزراء بأهل السنه، الذين إذا حضروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدّم القافله، فلذلك لا ينصفهم فى التراجم، و لا يصفهم بخير إلّا و قد رغم منه أنف الراغم. صنّف (التاريخ الكبير) و ما أحسنه لو لا تعصب فيه، و أكمله لو لا نقص فيه و أى نقص يعتريه» (٣).

□
و قال: «و أمّا تاريخ شيخنا الذهبى غفر الله له، فإنّه -على حسنه و جمعه-

ص: ٥٩

١-١) مرآه الجنان-حوادث سنه ٥٩٥.

٢-٢) و كم لقى الذهبى من الأذى و العنت لهذه العلاقه بابن تيميه. قاله محقق كتاب «العبر» فى مقدمه.

٣-٣) طبقات الشافعيه ١٠٣:٩.

مشحون بالتعصب المفرط، لا و اخذه الله. فلقد أكثر الوقيعه فى أهل الدين، أعنى الفقراء الذين هم صفوه الخلق، و استطال بلسانه على كثير من أئمه الشافعيين و الحنفيين، و مال فأفرط على الأشاعره، و مدح فرادى فى المجسّمه. هذا و هو الحافظ المدره، و الإمام المبيجل، فما ظنك بعوامّ المؤرخين» (١).

و عن تلميذه صلاح الدين العلائى: «الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى، لا أشكّ فى دينه و ورعه و تحريه فيما يقوله الناس، و لكنّه غلب عليه مذهب الإثبات، و منافره التأويل، و الغفله عن التنزيه، حتّى أثر ذلك فى طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه، و ميلاً قوياً إلى أهل الإثبات. فإذا ترجم و اجداً منهم يطنب فى وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، و يبالغ فى وصفه، و يتغافل عن غلطاته و يتأول له ما أمكن، و إذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين و الغزالى و نحوهما لا يبالغ فى وصفه، و يكثر من قول من طعن فيه، و يعيد ذلك و يبيديه، و يعتقد ديناً و هو لا يشعر، و يعرض عن محاسنهم الطافحه فلا يستوعبها، و إذا ظفر لأحدٍ منهم بغلطه ذكرها...» (٢).

قال السبكي: «و الذى أدركنا عليه المشايخ: النهى عن النظر فى كلامه و عدم اعتبار قوله، و لم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخيه إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه» (٣).

قال: «كان يغضب عند ترجمته لواحدٍ من علماء الحنفيه و المالكيه و الشافعيه غضباً شديداً، ثم يقرطم الكلام و يمزقه، ثم هو مع ذلك غير خبير

ص: ٦٠

١-١) طبقات الشافعيه ٢:٢٢.

٢-٢) طبقات الشافعيه ٢:١٣.

٣-٣) طبقات الشافعيه ٢:١٤.

بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فرّبما ذكر لفظه من الذمّ لو عقل معناها لما نطق بها» (١).

أقول:

عجيب! ابن الجوزى سجن، ابن تيمية سجن حتى مات في السجن، ابن حزم مزق كتبه و أحرقت و نفي حتى مات في المنفى، و الذهبى ينهى عن النظر فى كلامه، و لا يعتمد قوله، و يلاقى الأذى...

هذا حال هؤلاء فى أهل السنّه... و قد أصبحوا أئمة يقتدى بهم المتأخرون من الكتاب و يستندون إلى أقوالهم !!

و أيضاً: إذا كان هؤلاء مشهورين بالتعصب و بالوقيعه فى العلماء- إذا لم يكونوا على مذاهبهم- فى أقوالهم فى السّير و التواريخ و غيرها، فكيف يرتجى منهم الإنصاف و الإقرار بالحقّ مع الشيعة و أئمتهم و رجالهم...؟! !!

ص: ٦١

١-١) طبقات الشافعية ١٤:٢.

❖ قال السيد رحمه الله تعالى عليه:

۱- إنَّ تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصب، ولا للريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب، ولا لعدم عدالتهم و أمانتهم و نزاهتهم و جلالتهم علماً و عملاً. لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوة و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و مهبط الوحي و التنزيل.

أقول:

❖ الأشعري هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل.. من ذريته أبي برده ابن أبي موسى الأشعري. قال الذهبي: «مات ببغداد سنة ۳۲۴. حط عليه جماعه من الحنابلة و العلماء، و كلّ أحد فيؤخذ من قوله و يترك، إلّا من عصم الله تعالى. اللهم اهدنا و ارحمنا» (۱).

قال: «و قد ألف الأهوازي جزءاً في مثالب ابن أبي بشر، فيه أكاذيب،

ص: ۶۵

و جمع أبو القاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضاً غير صحيح» (١).

قال: «فقيل: إنَّ الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمّد البربهاري فجعل يقول: رددت على الجبائي، رددت على المجوس، و على النصارى. فقال أبو محمّد: لا أدري ما تقول، و لا نعرف إلّا ما قاله الإمام أحمد. فخرج و صنّف الإبانة، فلم يقبل منه» (٢).

□
*و الأدلّة الشرعيّة من الكتاب و السنّة مذكوره في كتبنا المعدّه لهذا الشأن، و سيأتي ذكر بعض ما هو المتفق عليه منها، إن شاء الله تعالى. فإنّ مفادها و جوب اتّباع الأئمّه من أهل البيت في جميع الشؤون، و المنع عن اتّباع غيرهم مطلقاً.

كما أنّ وصف الأئمّه عليهم السلام بالأوصاف التي وصفوا بها في عباره السيّد موجود في كتبنا، و في كتب القوم. و سنذكر الحديث الوارد من طرقهم في ذلك.

قيل:

كلامه في هذه المراجعة يوحي بأنّ أئمّه المذاهب الأربعة يناصرون أئمّه أهل البيت العداء، و يسيرون على غير مذهبهم، و يشير إلى أن أهل السنّه قد خالفوا الأئمّه من آل محمّد.

ص: ٦٦

١-١) سير أعلام النبلاء ١٥:٨٩.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ١٥:٩٠.

أقول:

أمّا أنّ كلام السيّد يوحى بأنّ «أئمّة المذاهب الأربعة» يناصرون العداء لأئمّة أهل البيت. فإنّ كان المراد خصوص «الأئمّة الأربعة» فكلام السيّد لا يوحى بذلك، وإن كان مالك بن أنس معدوداً في الخوارج - كما في بعض المصادر (١) -، وهم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام. وإن كان المراد سائر أئمّة المذاهب الأربعة فقد كان بينهم من يناصر العداء لآل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و أمّا أنّ كلامه يوحى بأنّ «الأئمّة الأربعة» يسيرون على غير مذهب أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأنّه يشير إلى أنّ أهل السُنّة قد خالفوا الأئمّة... فهذا واضح جدّاً ولا سبيل إلى إنكاره. لأنّ أئمّة المذاهب يدعون لأنفسهم الاجتهاد في الدين، فيفتون و يعملون بما يرتأون، فهم يسيرون على مذاهبهم، وهي مغايرة لمذهب أهل البيت في كثير من المسائل، و يتبعهم جمهور أهل السُنّة لكونهم - في الأغلب - مقلّدين لهم...

قال ابن تيميّه: «و أمّا الكتاب المنقول عن عليّ ففيه أشياء لم يأخذ بها أحد من العلماء» (٢).

قال: «وقد جمع الشافعي و محمّد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً في ما لم يأخذ به المسلمون من قول عليّ، لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب

ص: ٦٧

١ - ١) الكامل - للمبرّد - ١١٣٧: ٣.

٢ - ٢) منهاج السُنّة ٢٧٩: ٨.

و السنّه !!» (١).

وقال السبكي بترجمه المروزي نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي: «و صنّف كتاباً في ما خالف فيه أبو حنيفه علياً و عبد الله رضى الله عنهما» (٢).

فهذا بالنسبه إلى مخالفه الأئمه و أتباعهم لأهل البيت عليهم السلام.

لكن في القوم من بقايا بنى أميه و أشياعهم من يتفوه بأشياء واضحه الدلاله على النصب و العدا، «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ» (٣).

*و إلا فما معنى قول أحدهم:

«إنّ الغايه من الخلافه هي إصلاح الأئمه و هدايتها، و خلافه المرتضى لم تحقّق هذه الغايه، و لم يكن من واجب الأئمه أن تناضل تحت رايته كما كانت مأموره بذلك في عصر من سبقه. و لقد وجدنا- كما دلّت الأحاديث- انقطاع العنايه الربانيه عن الأئمه في عصره بعد استمرارها في عصرهم...»!!

«و إنّ من أعظم أنواع الورع ترك المقاتلات بين المسلمين كما كان من الشيخين، بخلاف المرتضى»!!

«و إنّ النبيّ إنّما شرف المرتضى بشرف الأخوه، لحزنه، و بكائه، لا لشيء آخر»!! (٤).

*و ما معنى قول الآخر في سيّد شباب أهل الجنّه الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام:

ص: ٦٨

١- ١) منهاج السنّه ٢٨١: ٨.

٢- ٢) طبقات الشافعيه ٢٤٧: ٢.

٣- ٣) سوره آل عمران ١١٨: ٣.

٤- ٤) قرّه العينين- لشاه وليّ الله-: ١٥٠-١٥٢.

«قتل بسيف جدّه»!!

قال العلامة المّناوى: «و قد غلب على ابن العربى الغضّ من أهل البيت حتّى قال: قتله بسيف جدّه» (١).

و ما معنى قول ثالث فى الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام:

«فى نفسى منه شىء»!! (٢).

*و ما معنى قول رابع فى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«يحتجّ بحديثه من غير روايه أولاده عنه» (٣).

*و ما معنى قوله فى الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام:

«يروى عن أبية العجائب» (٤).

*و ما معنى قول خامس فى الإمام الحسن العسكرى عليه السلام:

«ليس بشىء» (٥).

ففى القوم من يقول-أو يرتضى أن يقال-مثل هذه الأشياء فى أئمه أهل البيت عليهم السلام، و مع ذلك يدعى بعضهم أنّهم هم المقتدون بأهل البيت و المتمسكون بحبل و دادهم.

لكنّهم إذا ما نقل الشيعى عن تاريخ ابن خلكان و غيره: أنّ مالكا-أحد الأئمة الأربعة-بقى فى بطن امّه ثلاث سنين...قالوا: لما ذا نقل هذا؟! و ما ذا

ص: ٦٩

١-١ (١) فيض القدير ٢٠٥:١.

٢-٢ (٢) الكاشف ١٣٠:١ رقم ٨٠٧، عن القطان.

٣-٣ (٣) تهذيب التهذيب ٢:٨٩، عن ابن حبان.

٤-٤ (٤) تهذيب التهذيب ٧:٣٣٩، عن ابن حبان.

٥-٥ (٥) اللآلى المصنوعه ١:٣٩٦، الموضوعات ١:٤١٥.

قصد؟! و إذا كان الناقلون لهذه القضية: قاضى القضاء ابن خلّكان الشافعى، و حافظ المغرب ابن عبد البرّ المالكى، و المؤرّخ الشهير ابن قتيبه.. و أمثالهم، فما ذنب الشيعى إذا نقلها عنهم؟! بل لقد حكى الحافظ الذهبى ذلك و لم يتعقّب به شىء، فقال:

«قال معن و الواقدى و محمّد بن الضحّاك: حملت أمّ مالك بمالك ثلاث سنين. و عن الواقدى قال: حملت به ستين» (١).

و قال: «قال معن القزّاز و جماعه: حملت بمالك أمّه ثلاث سنين» (٢).

□
و قال الحافظ المالكى القاضى عياض فى كتابه المؤلّف فى فضائل مالك و علماء مذهبه: «باب فى مولد مالك - رحمه الله تعالى - و الحمل به و مدّه حياته و وقت وفاته»: «و اختلف فى حمل أمّه به، فقال ابن نافع الصائغ و الواقدى و معن و محمّد بن الضحّاك: حملت به أمّه ثلاث سنين. و قال نحوه بكّار بن عبد الله الزبيرى و قال: أنضجته - و الله - الرحم. و أنشد الطرمّاح: تظن بحملنا الأرحام حتّى تنضجنا بطون الحملات

قال ابن المنذر: و هو المعروف.

و روى عن الواقدى أيضاً: «إن حمل أمّه به ستان. قاله عطف بن خالد» (٣).

هذه كلمات أئمّه القوم، و فيهم رؤساء أتباع مالك، كالقاضى عياض و ابن عبد البرّ.

ص: ٧٠

١-١) سير أعلام النبلاء ١٣٢: ٨.

٢-٢) العبر فى خبر من غبر ٢١٠: ١.

٣-٣) ترتيب المدارك ١١١: ١.

و السيد رحمه الله لم يقل إلما: «ذكر ابن خلكان في أحوال مالك من وفيات الأعيان: إن مالكا بقي جيناً في بطن أمه ثلاث سنوات. و نص على ذلك ابن قتيبه حيث ذكر مالكا في أصحاب الرأي من كتابه (المعارف) ص ٤٩٨، و حيث أورد جماعه زعم أنهم قد حملت بهم أمهاتهم أكثر من وقت الحمل، صفحه ٥٤٩ من (المعارف) أيضاً».

ف قيل:

«ليس في وفيات الأعيان في ترجمه مالك ما ادعى المؤلف، بل فيه:

و قال ابن السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمه الأصبحي: إنه ولد في سنة ثلاث أو أربعة و تسعين. و الله أعلم بالصواب».

أقول:

جاء في «وفيات الأعيان» بترجمه مالك: «و كانت ولادته في سنة خمس و تسعين للهجرة، و حمل به ثلاث سنين.

و توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع و سبعين و مائه، رضى الله عنه، فعاش أربعاً و ثمانين سنة. و قال الواقدي: مات و له تسعون سنة. و قال ابن الفرات في تاريخه المرتب على السنين: و توفي مالك بن أنس الأصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة تسع و سبعين و مائه. و قيل: إنه توفي سنة ثمان و سبعين و مائه. و قيل: إن مولده سنة تسعين للهجرة. و قال السمعاني في كتاب (الأنساب) في ترجمه الأصبحي: إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع و تسعين.

ص: ٧١

و الله أعلم بالصواب» (١).

فلما ذا التكذيب و الإنكار؟!

❖ قال السيد رحمه الله:

٢- على أنه لا دليل للجمهور على رجحان شيء من مذاهبهم فضلاً عن وجوبها... و ما أظنّ أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم- في علمٍ أو عملٍ- على أئمتنا، و هم أئمة العتره الطاهره...

أقول:

مضافاً إلى:

١- أن الأئمة الأربعة تنتهي علومهم إلى أئمة العتره.

٢- أن تفضيلهم على غيرهم من أئمة المذاهب الستة غير معلوم.

٣- أنه قد وقع الكلام فيما بين أهل السنّة أنفسهم حول الأئمة الأربعة علماء و عملاً.

❖ قال السيد:

٣- على أن أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً..

و الشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت- و أهل البيت أدري بالذي

ص: ٧٢

١- (١) وفيات الأعيان ١٣٧: ٤.

فيه-و غير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابه و التابعين...

قيل:

□
«قوله:و أهل البيت أدرى بالذى فيه حجر على عباد الله و تضيق عليهم أن يعلموا...».

أقول:

أما أنّ أهل البيت أدرى بالذى فيه،فلا يمتري فيه أحد،لأنه مقتضى كونهم «أهل البيت».و مقتضى كونهم «أدرى»أن يكونوا الأولى بالافتداء و الاتباع لمن يريد الوصول إلى «الذى فيه»و إلّا لزم ترجيح المفضل،و هو قبيح عند ذوى الالباب و العقول.

و قد نصّ الأئمه الشارحون للحديث على هذا المعنى،و نكتفى بعبارة القارى إذ قال فى شرحه فى «المرقاه فى شرح المشكاه»:«الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت و أحواله...»و ستأتى عبارته كامله.

و أما أنّ غير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابه و التابعين،فهذا ما لا يخفى على من راجع سير الصحابه و التابعين و أخبارهم،و لاحظ كتب غير الشيعة و أسفارهم..و قد أورد السيد-رحمه الله-موارد كثيره من تلك المذاهب، و بين كيفيه مخالفتها للنصوص الشرعيه الواجب العمل بها..فى كتابه «النص و الاجتهاد»المطبوع غير مرّه،المنتشر فى سائر البلاد...

ص: ٧٣

*قال السيد:

٤- وما الذى أرتج باب الاجتهاد فى وجوه المسلمين بعد أن كان فى القرون الثلاثه مفتوحاً على مصراعيه..؟!.

قيل:

«نرى المؤلف فى هذه الفقرة قد خرج عن القضية الأساسيه فى النقاش، و أثار قضايا فرعيه مثل قضيه فتح باب الاجتهاد، و هى قضيه خلافيه ليس بين السنه و الشيعه، بل بين أهل السنه أنفسهم...».

أقول:

لم يجب الرجل عن سؤال السيد! أما أن أهل السنه عادوا فى هذه العصور يدعون إلى فتح باب الاجتهاد فذاك ردّ قطعى على أئمتهم السابقين الذين غلقوه، و إن كان فى القرون الماضيه فيهم من يردّ على سدّ باب الاجتهاد بشده، حتى ألف الحافظ السيوطى رساله: «الردّ على من أخلد إلى الأرض و جهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض».

هذا، و قد ثبت تاريخياً أن الحكم فى القرن السابع بسدّ باب الاجتهاد و انحصار المذاهب فى الأربعة المعروفه إنما كان استجاباً لأمر الحكام الذين ارتأوا ذلك لأغراض سياسيه، و للتفصيل فى هذه القضية مجال آخر.

*قال السيد:

٥- هلّم بنا إلى المهمه التى نبهتنا إليها من لمّ شعث المسلمين...

ص: ٧٤

أقول:

ذكر السيد في جواب الشيخ نقطتين مهمتين للوصول إلى تلك المهمّة:

الأولى: إنّ لمّ شعث المسلمين ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم، ولا على عدول السنّة عن مذهبهم.

وفي هذا ردّ على بعض الكُتّاب المعاصرين من أهل السنّة، وقول بعضهم بأنّ المهمّة لا تتحقّق إلّا بعدول الشيعة عن مذهبهم، وقول البعض الآخر: بأنّ الشيعة يريدون من أهل السنّة العدول عن مذهبهم بحجّه تحقيق لمّ شعث المسلمين.

والتانيه: إنّ تكليف الشيخ وغيره الشيعة بالأخذ بمذاهب الجمهور، و عدولهم عن مذهبهم - لو دار الأمر بين عدولهم و عدول الجمهور - في غير محلّه، لأنّ توجيه التكليف بذلك في الفرض المذكور - إلى أحدهما دون الآخر يحتاج إلى مرجح، و تكليف الشيعة دون غيرهم ترجيح بلا مرجح، بل ترجيح للمرجوح، بل تكليف بغير المقدور.

نعم، لا ريب في أنّ أهل السنّة أكثر عدداً من الشيعة، و لكنّ الأكثرية العددية لا تكون دليلاً على الحقيه فضلاً عن الأحقيّة، و إلّا لزم أن يكون الحقّ مع غير المسلمين، لأنهم أكثر عدداً منهم في العالم، و هذا باطل، مضافاً إلى الأدلّه و الشواهد من الكتاب و السنّة.

قيل:

«و لم لا تكون المقابله كامله، فيكون تكليف أهل السنّة بذلك ترجيح (1)»

ص: ٧٥

(١ - ١) كذا.

بلا مرجح، بل ترجيح للمرجوح».

أقول:

و هذا كلام فى غير محلّه، لأنّ الهدف هو لمّ شعث المسلمين، وقد قال السيّد: «الذى أراه أنّ ذلك ليس موقوفاً على عدول الشيعة عن مذهبهم، ولا على عدول أهل السنيّة عن مذهبهم» فهو لا يكلفهم بالعدول لتحقق لمّ الشعث حتّى يكون ترجيحاً بلا مرجح أو مع المرجح. لكنّ الشيخ هو الذى كلف الشيعة بالعدول عن مذهبهم، فأجاب السيّد بما أوضحناه.

على أنّ تكليف أهل السنّة بالعدول عن مذهبهم ترجيح مع المرجح، وذلك للأدلة التى سيقمها السيّد بالتفصيل. و خلاصه الكلام فى ذلك: أنّه لو دار الأمر بين أتباع أحد المذاهب الأربعة و أتباع مذهب أهل البيت فلا يشكّ المسلم، بل العاقل الخبير، فى تقدّم مذهب أهل البيت على المذاهب الأربعة المشكوك فى تقدّمها على سائر مذاهب السنّة.

«قال السيّد:

«نعم يلّم الشعث و ينتظم عقد الاجتماع بتحريك مذهب أهل البيت، و اعتباركم إياه أحد مذاهبكم، حتّى يكون نظر كلّ من الشافعيّة و الحنفيّة و المالكيّة و الحنبليّة، إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم كنظر بعضهم إلى بعض. و بهذا يجتمع شمل المسلمين فينتظم عقد اجتماعهم».

قيل:

[بعد السبّ و الشتم]: «و إنّ من أبسط ما يردّ به عليه: إنّ الأئمة الذين يزرى

ص: ٧٦

بهم و باتباعهم كل منهم يجعل الآخر، و يعترف بعلمه و فضله، فالشافعي أخذ عن مالك، و أخذ عن محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة، و أحمد أخذ عن الشافعي.

و لم يزل المسلمون يأخذون بعضهم عن بعض، المالكي عن الشافعي، و الحنفي عن المالكي، و الحنبلي عن الشافعي. و كل منهم عن آخر، فهل نظره هذا المفترى و أمثاله إلى هؤلاء و أتباعهم هي نظره بعضهم إلى بعض؟».

أقول:

كأنَّ الرجل لا يفهم مراد السيّد! أو لا يريد أن يفهمه! إنّ السيّد يقول: لينظر كل من أصحاب المذاهب الأربعة إلى شيعه آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم كنظر بعضهم إلى بعض. أى: فكما يرى الشافعيه أنّ مذهب الحنفيه مذهب من مذاهب المسلمين، و يرى الحنفيه المالكيه كذلك... و هكذا... فلينظروا إلى مذهب شيعه آل محمد كذلك، فإذا نظروا إليهم بهذه النظرة، و كانت المذاهب كلّها من دين الاسلام اجتمع شمل المسلمين و انتظم عقد اجماعهم، لأنّه حين يرى شيعه آل محمد أنّ أرباب المذاهب الأربعة ينظرون إليهم كنظر بعضهم إلى بعض، فإنّهم أيضاً سينظرون إليهم بتلك النظرة.

□

و قد اوضح السيّد-رحمه الله- مقصوده من «النظر» في عباراته اللّاحقه فقال فيها: «فإذا جاز أن تكون المذاهب أربعه، فلما ذا لا يجوز أن تكون خمسّه؟!».

و تلخّص: أنّ تحقّق «المهمّه» ليس موقوفاً على عدول أحد الجانبين إلى الآخر، بل يكفي لتحققها قبول أهل السنيّه لأنّ تكون المذاهب خمسّه.

و حينئذ، فلو تباحث في هذا الظرف شيعي و سني على أصل من الأصول،

ص: ٧٧

أو فرع من الفروع، فافتنع أحدهم بما يقوله الآخر و انتقل إلى مذهبه، كان كانتقال الحنفى إلى الشافعيه أو بالعكس، وهكذا... و ما أكثره فى تراجم الرجال و كتب السير (١).

ص: ٧٨

١ - ١) و من أطرف ما رأيتة فى الباب ما ذكره الذهبى، و أنقله بنصّه: «محمّد بن حمد بن خلف أبو بكر البندنجى حنفى، الفقيه، تحنبل ثم تحنف ثم تشفع. فلذا لقب حنفى. ولد سنة ٤٥٣ و سمع الصيرفينى و ابن النقور و أبا على بن البناء، و تلاه عليه. و عنه: السمعانى، و ابن عساكر، و ابن سكينه. قال أحمد بن صالح الختلى: كان يتهاون بالشرائع، و يعطل، و يستخف بالحديث و أهله و يلعنهم. و قال السمعانى: كان يخل بالصلوات. توفى سنة ٥٣٨» ميزان الاعتدال ٣: ٥٢٨ أقول: كأن هذا الفقيه!! علم أنه لن يفلح بالعمل بمذهب ابن حنبل فالتجأ إلى مذهب أبى حنيفه، ثم إلى مذهب الشافعى، فلم ير شيئاً من هذه المذاهب بمبرئ للذمه، و لم يجد فيها ضالته، و هو يحسب أن لا مذهب سواها! فخرج عن الدين و ضل!! أمياً التهاون و الإخلال بالصلوات... فهو موجود فى أئمتهم فى الفقه و الحديث... نكتفى بذكر واحد منهم، و هو: الشيخ زاهر بن طاهر النيسابورى الشحامى المستملى - المتوفى سنة ٥٣٣ - الموصوف فى كلمات القوم بالشيخ العالم، المحدث، المفيد، المعمر، مسند خراسان!! الشاهد! العمده فى مجلس الحكم!! و الذى حدث عنه فى خلق كثير - غير واحد من أئمتهم كأبى موسى المدينى، و السمعانى، و ابن عساكر... فقد ذكروا بترجمته أنه كان يخل بالصلاح إخلالاً - ظاهراً، حتى أن أخاه منعه من الخروج إلى أصبهان لئلا يفتضح، لكنّه سافر إلى هناك و ظهر الأمر كما قال أخوه، و عرف أهل أصبهان ذلك، فترك الروايه عنه غير واحد من الحفاظ تورّعاً، و كابر و تجاسر آخرون كما قال الذهبى. و من هنا ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢: ٦٤، بل أدرجه فى الضعفاء ١: ٣٦٠، و ابن حجر فى لسان الميزان ٢: ٤٧٠، و راجع ترجمته أيضاً فى سير أعلام النبلاء ٩: ٢٠، و العبر ٢: ٤٤٥. و قال الذهبى بترجمه أخيه المشار إليه: «أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمّد الشحامى، أخو زاهر... كان خيراً متواضعاً متعبداً لا كأخيه». و هل ينفعه - بعد شهاده السمعانى و الذهبى و غيرهم - الاعتذار له بشى من المعاذير؟! و لو شئت أن أذكر المزيد لذكرت!!

و أما قوله: «إِنَّ الْأئِمَّةَ الَّذِينَ يَزْرِي بِهِمْ وَ بِأَتْبَاعِهِمْ كُلِّ يَجَلُّ الْآخِرُ وَ يَعْتَرَفُ بِعِلْمِهِ وَ فَضْلِهِ» ففيه:

أولاً: إنا لم نجد في كلمات السيد إزرأء بأحد.

و ثانياً: إن ما في كتب تراجم علمائهم و سير رجالهم ممّا يكذب دعوى «كلّ يجلل الآخـر...» كثير... و لو شئت أن أذكر لذكرت، لكن يطول بنا المقام، و يكفيك إن تعلم أن مالكا كان يتكلم في أبي حنيفة كما ذكره الحافظ الخطيب في عداد من كان يتكلم فيه و يردّ عليه (تاريخ بغداد ١٣:٤٠٠) و أنّ مالكا نفسه تكلم فيه أحمد بن حنبل (العلل و معرفه الرجال ١:٥١١) و آخرون أيضاً (كما في تاريخ بغداد ١:٢٢٤ و جامع بيان العلم-للحافظ ابن عبد البر المالكي ٢:

٣٩٥) و كان من الفقهاء من يتكلم في الحنابلة، و يبالغ في ذمهم، فدسّ الحنابلة عليه سماً، فمات هو و زوجته و ولد له صغير!! (العبر ٣:٥٢، شذرات الذهب ٤:

٢٢٤، الوافي بالوفيات ١:٢٨٠ رقم ١٨٢) و منهم من كان يقول: لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعيه (لسان الميزان ٥:٤٠٢).

*قال السيد:

في آخر المراجعه مخاطباً الشيخ: «ما هكذا الظنّ بكم و لا المعروف من مودّتكم في القربى».

ص: ٧٩

قيل:

«ثم إن قوله: ما هكذا الظن بكم ولا- المعروف من مودتكم في القربى» تناقض منه، فإذا كان أهل السُّنَّة يحفظون المودَّة في القربى، فلما ذا يجهد الشيعة في اتِّهام أهل السُّنَّة بأنهم لم يودّوا ذوى القربى، بل ظلموهم و غصبوهم حقّهم؟».

أقول:

لقد لمس السيّد من الشيخ-لدى اجتماعه به- كما نصّ عليه في «بغية الراغبين» و كذا في مقدّمه «المراجعات» المودَّة في القربى، فهذا الخطاب للشيخ لا لكلّ أهل السُّنَّة، فأين التناقض؟! أمّا أهل السُّنَّة فإنّ كثيرين منهم لم يحفظوا المودَّة في القربى، وقد أوردنا فيما تقدّم كلمات بعضهم في حقّ ذوى القربى، تلك الكلمات التي أورثت جراحات لا- تقلّ ألماً و أثراً عن جراحات السيوف و الأسنّة لأسلافهم في ذوى القربى و أشياعهم، على مدى القرون المتماديه...

ص : ٨٠

*قال السيد:

۱- ولذا قرنہم بمحکم الكتاب و جعلہم قدوہ...

أقول:

هذا إشارة إلى عدہ من الأحاديث النبويہ الأمره باتباع العتره و التمسك بهم و الأخذ عنهم، و الناهية عن تعليمهم و التقدم عليهم و التخلّف عنهم... و سيتعرّض لها بالتفصيل.

□

قال رحمه الله:

۲- و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فأين تذهبون ! و أنى تؤفكون !...».

و قال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم...».

و قال عليه السلام: «عترته خير العتر...».

و قال عليه السلام: «نحن الشعار و الأصحاب...».

و قال عليه السلام: «واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد...».

و قال عليه السلام: «بنا اهتديتم فى الظلماء...».

هذه نصوص رواياتٍ وارده عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في كتاب «نهج البلاغه» فهنا مطالب:

١- إن هذه الأوصاف التي نقلها السيّد عن نهج البلاغه عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يشكّ مسلم في كونها حقّاً و حقيقة واقعه، سواء كانت أسانيد هذه الكلمات معتبرة أو لا، و سواء كانت في «نهج البلاغه» أو غيره من الكتب، و سواء كان «نهج البلاغه» للشريف الرضى أو لأخيه أو غيرهما... و بالجمله، فإنّ متونها تشهد بصدقها!

فهل تشكّون-أيّها المسلمون-في أنّ أهل بيت النبوه «لن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردى»؟! و أنّهم يصلحون لأن يكونوا قدوةً لكم «فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلّوا، و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا»!؟

□
و هل يشكّ عاقل فاهم في جلاله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أنّ «عترته خير العتر، و أسرته خير الأسر، و شجرته خير الشجر...»؟! فإن لم يكونوا كذلك، فأىّ عتره خير العتر؟! و أىّ اسره خير الأسر؟! و أىّ شجره خير الشجر؟! آل فلان؟! أم فلان؟! أم بنو أميّة؟!؟

أليس أهل بيته «شجره النبوه، و محطّ الرساله، و مختلف الملائكه...»؟!؟

و من ينكر قوله «ناظرنا و محبنا ينتظر الرحمه، و عدونا و مبغضنا ينتظر السطوه» إلّا العدوّ و المبغض؟!؟

و من المخالف في أنّ المخالفين لأهل البيت «آثروا عاجلاً و أخروا آجلاً...»؟!؟

و تلخص: أن هذه حقائق ثابتة، لا شك فيها كي تحتاج إلى سند أو برهان...

□
٢- على أن السيد-رحمه الله- إنما استدلل بما جاء في «نهج البلاغه» باعتبار أن هذا الكتاب من الكتب المتفق عليها، لأن الكثيرين من العلماء المحققين من غير الشيعة الإمامية تلقوه بالقبول، و تناولوه بالشرح و التفسير و التعليق.

و على الجملة، فإن أحداً لم يشك في أن ما في «نهج البلاغه» من كلام الإمام علي عليه السلام.

نعم، قال بعضهم: «أكثره» من كلامه... لوجود (الخطبه الشقشقيه) فيه، كما سنشير.

و لو لا صحه إسناده الكتاب إلى الإمام علي عليه السلام لما تكلم بعضهم في جامعه، كابن خلكان حين شكك في أنه الرضى أو المرتضى، و كالذهبي حين اختلف كلامه... كما سيأتى.

و لو لا صحه إسناده لما شكك آخرون استناداً إلى شبهات واهيه كاشتمال الكتاب على «دقه الوصف» و «التنميق اللفظي» و نحو ذلك... مما ستأتى الإشارة إليه.

و من هنا:

قيل:

«و العجب كل العجب من الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، فإنه لما ساق حجج المتشككين في نسبه نهج البلاغه إلى علي-رضي الله عنه- لم

ص: ٨٣

يتعرّض لقضيّته السند أبدأ، مع أنّه كان ينبغي أن يتعرّض لهذه القضيّته أوّلاً فإذا صحّ السند نظرنا في المتن».

أقول:

كأنّ هذا القائل لم ير بعينه كلمه هذا الشيخ الصريحه في أنّ أحداً لم يشكّ في أنّ أكثر ما تضمّنه نهج البلاغه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام... وستأتى عبارته، مع التنبيه على السبب في تعبيره ب«الأكثر».

و على كلّ حال، فإنّ ذكر هذا الشيخ وغيره الأوهام المشكّكه في «نهج البلاغه» من تلك الجهات، هو من خير الأدلّه على ثبوت الكتاب و صحّه نسبتّه، لأنّهم يعلمون أنّ التطرّق إلى هذه الأمور إنّما يكون بعد الفراغ من البحث السندی.

٣- وإنّ ما حواه كتاب «نهج البلاغه» قد ثبت و تحقّق وجوده في كتب العلماء المتقدّمين على مؤلّفه، من شيعه و سنّه (١).

٤- نعم، يصعب عليهم قبول (الخطبه الشقشقيّه).. و الظنّ الغالب أنّه لو لا وجودها في نهج البلاغه لما شكّك المتشكّكون منهم في نسبة شيء من الخطب و الكتب و الكلمات المرويّه فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

قيل:

«و من قرأ خطبته المعروفه بالشقشقيّه جزم أنّه لا- يمكن لمن هو في مثل مقام عليّ -رضى الله عنه- أن يقول ذلك، فإنّ هذا ممّا يتعارض مع ما صحّ عنه من

ص: ٨٤

(١-١) يراجع بهذا الصدد كتاب: «مصادر نهج البلاغه».

أكثر من طريقٍ من تفضيل أبي بكر و عمر -رضى الله عنهما- و الثناء عليهما. و هذه الخطبه المنسوبه زوراً و بهتاناً إليه -رضى الله عنه- تنطوي على أسوأ الإزراء بكبار الصحابه الكرام: أبي بكر و عمر و عثمان، و باقى العشره، بل فيها سب صراح، و اتهام بخيانه الأُمّه، و سخرية لا تصدر إلّا عن أمثال الرافضه الذين يجلّ علىّ و يسمو عن مثل ما يقولون.

ففى الصحيحين: عن ابن عباس، قال: وضع عمر على سريره، فتكفّفه الناس يدعون و يثنون و يصلّون عليه قبل أن يرفع، و أنا فيهم، فلم يرعنى إلّا رجل قد أخذ بمنكبى من ورائى، فالتفت فإذا هو علىّ، و ترخّم على عمر، و قال:

ما خلّفت أحداً أحبّ إلىّ أن ألقى الله عزّ و جلّ بمثل عمله منك، و أيم الله إن كنت لأظنّ أن يجعلك الله مع صاحبك، و ذاك أنّى كنت كثيراً أسمع النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول: جئت أنا و أبو بكر و عمر.. و دخلت أنا و أبو بكر و عمر.. و خرجت أنا و أبو بكر و عمر.. فإن كنت لأرجو أو أظنّ أن يجعلك الله معهما.

البخارى ٣٦٨٥/٥٢٧، و مسلم ٢٣٨٩/١٩٨: ٤.

أقول:

و لعلّ وجود هذه الخطبه فى «نهج البلاغه» هو السبب فى قول بعضهم بأنّ أكثره من كلام الإمام عليه السلام، فهم من جهه لا يتمكّنون من إنكار أصل الكتاب، و من جهه أخرى لا- يتمكّنون من تصديق الخطبه الشقشقيه، لأنّها فى الحقيقه- تهدم أساس المذهب الذى هم عليه:

يقول الشيخ محمّد محيى الدين عبد الحميد: «و ليس من شكّ عند أحدٍ من أدباء هذا العصر، و لا عند أحدٍ ممّن تقدّمهم، فى أنّ أكثر ما تضمّنه نهج البلاغه

ص: ٨٥

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام. نعم ليس من شك عند أحدٍ في ذلك...» (١).

لكنّ الدليل على كونها من كلامه هو التعرّض لها أو ذكرها في كلمات العلماء السابقين على الشريف الرضى و المتأخرين عنه، من إماميه و معتزله و سنّه، و إن شئت التفصيل فراجع (٢).

و أمّا أنّها تتناقض و ما رواه القوم عن الإمام عليه السلام في الثناء على الشيخين و غيرهما، فالجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ الخطبه مرويه عند الشيعة و غيرهم، فهي متفق عليها، و ما رووه عن أمير المؤمنين عليه السلام من الثناء عليهم متفرّدون بروايته، و لا تعارض بين المتفرّد به و المتفق عليه.

و ثانياً: إنّ شرط التعارض هو الحجّيه في طرفي التعارض كليهما، و حجّيه الخطبه ثابتة دون أخبارهم المشار إليها، كما لا يخفى على من نظر في أسانيدها.

و ثالثاً: إنّ عمده أخبارهم في ثناء الإمام عليه السلام على القوم هو الخبر الذي أورده عن كتابي البخارى و مسلم المعروفين بالصحيحين. لكنك إذا لاحظت سنده -بغض النظر عن البخارى و مسلم، المجروحين لدى كبار أئمّه القوم من السابقين و اللاحقين- رأيتّه ينتهى في جميع طرقه إلى «ابن أبى مليكه»:

و هو رجل لا يجوز الاعتماد على روايته مطلقاً، لا سيّما في مثل هذه الأمور! لأنّه تيمّى من عشيره أبى بكر، و لأنّه كان من مناوئى أمير المؤمنين عليه

ص: ٨٦

١- ١) لاحظ مقدّمه شرحه على «نهج البلاغه».

٢- ٢) مصادر نهج البلاغه أسانيد.

السلام، ولأنه كان قاضي عبد الله بن الزبير في مكة! ولأنه كان مؤذن عبد الله بن الزبير!

و له قوادح غير ما ذكر، فراجع ترجمته (١).

على أنا نكذب كل خير جاء فيه أسماء الخلفاء الأربعة على ترتيب الخلافة، وقد حقت ذلك في رساله مفرده (٢).

شبهات حول نهج البلاغه:

٥- و بقيت شبهات ذكرها المعترض، و هي: إن في نهج البلاغه:

أ- التعريض بالصحابه.

ب- التتميق اللفظي.

ج- دقه الوصف.

د- عبارات يستشّم منها ريح ادعاء صاحبها علم الغيب.

أقول:

لكنّ الشبهات أكثر من هذه الأربعة... و لعلّ المعترض ملتفت إلى سقوط البقيه فلم يتعرّض لها، لكنّها مذكوره في كلمات غيره.

و قد أوردتها كلّها مؤلف كتاب «مصادر نهج البلاغه و أسانيده» تحت عنوان: «شبهات حول النهج» و أجاب عنها بالتفصيل، فراجع.

ص: ٨٧

١- ١) تهذيب التهذيب ٥: ٢٦٨.

٢- ٢) الرسائل العشر، الرساله التاسعه.

٦- وأما أن «نهج البلاغه» هو للسيد شريف الرضى، فهذا هو الثابت الواقع، بالأدلة المتينه و الشواهد القويمه، و باعتراف السابقين و اللاحقين من العلماء من مختلف فرق المسلمين.

و أول من شكك في المقام هو: قاضى القضاء ابن خلكان، صاحب «وفيات الأعيان» و تبعه بعض المتأخرين عنه كالذهبي و الصفدى و أمثالهما.

قيل:

«و أمّا المتهّم -عند المحدّثين- بوضع النهج فهو أخوه علىّ.

قال فى الميزان: علىّ بن الحسين العلوى الشريف المرتضى المتكلم الرافضى المعتزلى، صاحب التصانيف، حدّث عن سهل الديباجى و المرزبانى و غيرهما. و ولى نقابه العلويّه. و مات سنه ٤٣٦ عن ٨١ سنه، و هو المتهّم بوضع نهج البلاغه، و له مشاركه قويّه فى العلوم. و من طالع كتابه نهج البلاغه جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه، ففيه السبّ الصراح و الحطّ على السيدين: أبى بكر و عمر، رضى الله عنهما. و فيه من التناقض و الأشياء الركيكه و العبارات التى من له معرفه بنفس القرشيين الصحابه و بنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين، جزم بأنّ الكتاب أكثره باطل. رياض الجنّه لمقبل الوداعى ١٦٢ - ١٦٣».

أقول:

أمّا مقبل الوداعى فلا أعرفه، و ما أدرى لما ذا نقل عباره الميزان بواسطته.

و(الميزان) هو: «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» للحافظ الذهبي،

ص: ٨٨

لكن فى «العبر» للحافظ الذهبى، أثنى على الشريف المرتضى، و لم يتعرض لكتاب نهج البلاغه، فقال فى سنة ٤٣٦: «و الشريف المرتضى نقيب الطالبين و شيخ الشيعة و رئيسهم بالعراق، أبو طالب: على بن الحسين بن موسى الحسينى الموسوى، و له ٨١ سنة، و كان إماماً فى التشيع و الكلام و الشعر و البلاغه، كثير التصانيف متبحراً فى فنون العلم. أخذ عن الشيخ المفيد، و روى الحديث عن سهل الديباجى الكذاب، و ولى النقباه بعده ابن أخيه عدنان ابن الشريف الرضى» (١).

و فى «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبى أيضاً، ترجم له فقال: «هو جامع كتاب نهج البلاغه» ثم قال: «و قيل: بل جمع أخيه الشريف الرضى» (٢) فعلق عليه الناشر له: «و هذا هو المشهور».

و هذه الاضطرابات فى التشكيكات تكشف عن أنّ الغايه منها ليس إلاّ تضعيف الكتاب بكلّ وسيله، و ليس إلاّ لأنهم منزعون من الخطبه الشقشقيه..

و لذا تراه يقول فى «الميزان» موضحاً علمه الجزم بكون الكتاب مكدوباً: «ففيه السبّ الصراح...» و يقول فى «سير أعلام النبلاء»: «المنسوبه ألفاظه إلى الإمام على رضى الله عنه، و لا أسانيد لذلك، و بعضها باطل، و فيه حقّ، و لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها».

و لا يخفى الفرق بين العبارتين فى الكتابين حول الكتاب، و هذا دليل آخر

١-١) العبر فى خبر من غير ٢٧٢:٢.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ٥٨٩:١٧.

على الاضطراب.

و على كل حال، فقد حَقَّق هذه القضية غير واحدٍ من المحقِّقين، و جزموا بكون الكتاب للشريف الرضى محمَّد بن الحسين.

و قال الشيخ محمَّد عبده: «ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضى -رحمه الله- من كلام سيدنا و مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، جمع متفرقة و سمّاه هذا الاسم: نهج البلاغه...» (١).

و قال الأستاذ محمَّد كرد علي، في مقالٍ نشرته مجلّة المجمع العلمي السورى: «و نهج البلاغه الذى جمعه الشريف الرضى من كلامه...» (٢).

و قال الشيخ محمَّد محيي الدين عبد الحميد: «نهج البلاغه هو ما اختاره الشريف الرضى...» (٣).

و إن شئت الوقوف على حقيقة كتاب «نهج البلاغه» و مصادره، و ما قيل فيه، و نصوص العلماء و المحقِّقين على أنّه خطب و كتب و كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، و أنّه من تأليف الشريف الرضى، فراجع كتاب «مصادر نهج البلاغه و أسانيده».

*قال السيد:

و قوله عليه السلام: «نحن شجرة النبوة، و محطّ الرساله، و مختلف

ص: ٩٠

١-١ شرح نهج البلاغه-المقدّمه.

٢-٢ تراثنا، العدد ٣٤، ص ١٠٠-١٠١، محرّم-ربيع الأول ١٤١٤ هـ.

٣-٣ شرح نهج البلاغه-المقدّمه.

الملائكة، و معادن العلم، و ينابيع الحكم (١)...» (٢).

و أضاف في الهامش: «و قال ابن عباس: نحن أهل البيت، شجرة النبوة، و مختلف الملائكة، و أهل البيت الرسالة، و أهل بيت الرحمة، و معدن العلم» (قال): نقل هذه الكلمة عنه جماعه من أثبات السنه، و هى موجوده فى آخر باب خصوصياتهم صفحه ١٤٢ من الصواعق المحرقة لابن حجر».

أقول:

و أخرج الحافظ أبو القاسم الطبرانى بإسناده عن جابر بن عبد الله و عبد الله ابن عباس فى خبر هبوط ملك الموت لقبض روح النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أنه وقف بالباب فقال: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة...» (٣).

و روى الحموى عن طريق الحافظ أبى نعيم، عن الحافظ الطبرانى، بإسناده عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «نحن أهل البيت مفاتيح الرحمة، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و معدن العلم...» (٤).

و قد ذكرنا من قبل: أن مضمون هذا الكلام حقيقه لا تحتاج إلى إثبات، و هو بالإضافة إلى كونه مروياً عن ملك الموت مخاطباً النبى صلى الله عليه و آله

ص: ٩١

١-١) نهج البلاغه: ١٦٢/الخطبه ١٠٩.

٢-٢) المراجعات: ١١.

٣-٣) المعجم الكبير ٢٦٧٦/٥٨: ٣.

٤-٤) فرائد السمطين ١: ٤٤.

و سلّم و أهل بيته، كما فى روايه الطبرانى و غيره، و عن أمير المؤمنين عليه السلام، كما فى (النهج) مروى عن ابن عباس كما ذكر السيد فى الهامش.

قيل:

«لم يبين لنا المؤلف من هم الأثبات الذين نقلوا هذه العبارة؟ و مع أنه نقلها عن الصواعق لكن أمانته دفعته إلى أن يتغاضى عن قول ابن حجر الهيتمى عند ما نقلها فقال: و جاء عن ابن عباس بسندٍ ضعيف أنه قال: نحن...»

و قول ابن عباس -على فرض صحته- يدل على خلاف ما تذهب إليه الرافضه من أن أهل البيت هم: على و فاطمه و أبناؤهما فقط. لكن أهل السنه عمدتهم فى تحديد من هم أهل البيت على الكتاب و السنه الصحيحه، لا على أقوالٍ ضعيفه أو موضوعه.

أقول:

يقول السيد: «نقل هذه الكلمه عنه جماعه من أثبات السنه» و هذا هو محل الاستدلال، إذ المقصود -كما قلنا سابقاً- روايه أثبات أهل السنه فى كتبهم المعروفه، لما يدل على ما تذهب عليه الشيعه، فيكون المطلب متفقاً عليه، أمّا أن أولئك الأثبات يروون الأخبار الضعيفه و الموضوعات مع علمهم بكونها كذلك فيكونون من الكاذبين، فما ذنب الشيعه؟!

و من روايته: ابن الأثير، حيث رواه بسند له يشتمل على بعض الحفاظ المشاهير، قائلاً: «أخبرنا أبو ياسر بن أبى حبه و غير واحد -إجازه- قالوا:

أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا

ص: ٩٢

المخلص، حدّثنا يحيى بن محمّد بن صاعد، حدّثنا يوسف بن محمّد بن سابق، حدّثنا أبو مالك الجنبى، عن جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عيّاس، قال: نحن أهل البيت شجرة النبوّه، ومختلف الملائكّه، وأهل بيت الرسالّه، وأهل بيت الرحمه، ومعدن العلم» (١).

و أمّا الاستدلال بخصوص «الصواعق المحرقة» فلاّن هذا الكتاب إنّما ألّف للردّ على الشيعة و الصدّد عن انتشار التشيع، يقول ابن حجر فى خطبته:

«سئلت قديماً فى تأليف كتاب يبيّن حقّيه خلافة الصديق و إماره ابن الخطّاب، فأجبت إلى ذلك مسارعاً فى خدمه هذا الجناب... ثمّ سئلت فى إقرائه فى رمضان سنه ٩٥٠ بالمسجد الحرام، لكثره الشيعة و الرافضه و نحوهما الآن بمكّه المكرّمه، أشرف بلاد الإسلام، فأجبت إلى ذلك، رجاءً لهدايه بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسالك» (٢).

و بما ذكرنا يظهر الوجه فى عدم الاعتناء بتضعيفه.

على أنّه إذا كان ابن حجر ممّن يعتمد على آرائه، كان تصحيحه أيضاً معتبراً، لكنّ هذا القائل لا يعتنى به متى صحّ حديثاً من أحاديث الفضائل و يقول بأنّ ابن حجر ليس من علماء الحديث. و الحال أنّه من كبار أئمّه الفقهه و الحديث.

بل السبب فى توهين ابن حجر، هو كونه ممّن أفتى بصراحه بضلاله ابن تيميه الذى هو شيخ إسلام نواصب هذا العصر...!!

و أمّا أنّ «أهل البيت» فى «آيه التطهير» و «أحاديث الثقلين» و نحوها هم

ص: ٩٣

١- ١) أسد الغابه ١٨٧: ٣.

٢- ٢) الصواعق المحرقة: ٩.

«علی و فاطمه و الحسنان» فسیاتی توضیحه علی أساس الكتاب و السنّه الصحیحه، فانتظر.

قال السید:

«و قوله علیه السلام: نحن النجباء، و أفرطنا أفرط الأنبياء، و حزبنا حزب الله عزّ و جلّ، و الفئه الباغيه حزب الشيطان، و من سوى بيننا و بين عدوّنا فليس منّا» (١).

قال في الهامش: «نقل هذه الكلمه عنه جماعه كثيرون، أحدهم ابن حجر، في آخر باب خصوصياتهم من آخر الصواعق، صفحه ٣٥٤ و قد أرجف فأجحف».

أقول:

جاء هذا في كتاب «فضائل الصحابه» و هذا نصّه:

«فيما كتب إلينا محمّد بن عبید الله بن سليمان يذكر أن موسى بن زياد حدّثهم، قال:

ثنا يحيى بن يعلى، عن بسام الصيرفي، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن رشيد بن أبي راشد، عن حبه - و هو العرنى -، عن عليّ، قال:

نحن النجباء، و أفرطنا أفرط الأنبياء، و حزبنا حزب الله، و حزب الفئه

ص: ٩٤

الباغيه حزب الشيطان، و من سوّى بيننا و بين عدوّنا فليس منّا» (١).

و أخرجه الحافظ ابن عساكر بترجمه أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

□
«أخبرنا أبو القاسم السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين ابن النقور، أنبأنا أبو طاهر المخلص، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن يوسف، أنبأنا عمر بن شيبه، أنبأنا أبو أحمد الزبيرى، أنبأنا الحسن بن صالح، عن الحسن بن عمرو، عن رشيد، عن حبه، قال:

□
سمعت عليّاً يقول: نحن النجباء، و أفرطنا أفراط الأنبياء، و حزبنا حزب الله، و الفئه الباغيه حزب الشيطان، و من سوّى بيننا و بين عدوّنا فليس منّا» (٢).

و أخرجه الحافظ السخاوى فى «استجلاب ارتقاء الغرف» (٣).

و ابن حجر المكي فى «الصواعق المحرقة» فى باب «خصوصياتهم الدالّه على أعظم كراماتهم» (٤).

هذا، و لا يخفى اعتبار سند هذا الحديث، و صحّه الاحتجاج به، لأنّ رواته أئمه فى الحديث، و فطاحل ثقات، لا يظنّ بهم أن يعتمدوا روايه خبر مكذوب و هم يعلمون!

أنظر إلى سنده فى «تاريخ دمشق» (٥):

*فابن عساكر حافظ ثقة جليل، غنى عن التعريف.

ص: ٩٥

١-١ فضائل الصحابه لأحمد بن حنبل ١١٦٠/٦٧٩:٢.

٢-٢ تاريخ مدينه دمشق ٤٢:٤٥٩.

٣-٣ استجلاب ارتقاء الغرف ٢:٢٩٨/٥٦١.

٤-٤ الصواعق المحرقة: ٣٥٤.

٥-٥ نكتفى فى الترجمة بقدر الضروره اختصاراً.

*و أبو القاسم السمرقندي، قال الذهبي: «الشيخ الإمام المحدث، المفيد المسند، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد...» ثم نقل ثقته عن غير واحد، و أَرخ وفاته بسنه ٥٣٦ (١).

*و أبو الحسين ابن النور، قال الذهبي: «الشيخ الجليل الصدوق، مسند العراق، أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد...» ثم نقل ثقته عن جماعه، و أَرخ وفاته بسنه ٤٧٠ (٢).

*و أبو طاهر المخلص، قال الذهبي: «الشيخ المحدث المعمر الصدوق، أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن...» ثم نقل ثقته عن جماعه، و أَرخ وفاته بسنه ٣٩٣ (٣).

□
*و أحمد بن عبد الله بن سيف السجستاني، ترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٣١٦، و الخطيب في تاريخه ٤:٢٢٥، و الأسنوى في طبقات الشافعية ١:٣١٧، و ابن قاضي شبهه ١:٨٩، و قد أثنى عليه جميعهم.

*و عمر بن شبة، قال الذهبي: «عمر بن شبة بن عبده بن زيد بن رائطة العلّامة الأخباري، الحافظ الحجّة، صاحب التصانيف...» و نقل ثقته عن جماعه، و أَرخ وفاته بسنه ٢٦٢، عن ٨٩ سنة إلّا أياماً (٤).

*و أبو أحمد الزبيرى، قال الذهبي: «أبو أحمد الزبيرى، محمد بن عبد الله ابن الزبير بن عمر بن درهم، الحافظ الكبير المجود...» ثم نقل ثقته و الثناء عليه،

ص: ٩٦

١-١) سير أعلام النبلاء ٢٨:٢٠.

٢-٢) سير أعلام النبلاء ٣٧٢:١٨.

٣-٣) سير أعلام النبلاء ٤٧٨:١٦.

٤-٤) سير أعلام النبلاء ٣٦٩:١٢.

و أَرخ وفاته بسنه ٢٠٣ (١).

□
*و الحسن بن صالح، قال الذهبي: «الإمام الكبير، أحد الأعلام، أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي، الفقيه العابد...» ثم أطنب في ترجمته، و نقل الكلمات في حقه، و أَرخ وفاته بسنه ١٦٩ (٢). و قال ابن حجر: «ثقه، فقيه عابد، رمى بالتشيع» (٣).

*و الحسن بن عمرو الفقيمي، قال ابن حجر: «ثقه ثبت، من السادسة، مات سنه ١٤٢» و جعل عليه علامه روايه: البخارى و أبى داود و النسائى و ابن ماجه، عنه (٤).

*و رشيد، و هو الهجرى، من أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يكفى لوثاقته روايه هؤلاء الأئمة لهذا الحديث عنه، إلّا أنّهم نقموا عليه تشييعه للإمام عليه السلام، و روايته لفضائله و مناقبه كما لا يخفى على من نظر في ترجمته في «لسان الميزان» و غيره، فهم لا ينفون وثاقته و لا - يرمونه بالكذب، إلّا أنّهم يقولون - كما في «الأنساب» - «كان يؤمن بالرجعه» و ينقلون عن يحيى ابن معين - مثلاً - أنّه قال في جواب من سأله عنه: «ليس برشيد و لا أبوه».

*و حبه العرنى، قال ابن حجر: «صدوق، له أغلاط، و كان غالباً في التشيع، من الثانية، و أخطأ من زعم أنّ له صحبه» (٥).

ص: ٩٧

- ١-١) سير أعلام النبلاء ٥٢٩:٩.
- ٢-٢) سير أعلام النبلاء ٣٦١:٧.
- ٣-٣) تقريب التهذيب ١٦٧:١.
- ٤-٤) تقريب التهذيب ١٦٩:١.
- ٥-٥) تقريب التهذيب ١٤٨:١.

أقول:

و قد قصدنا بيان اعتبار سند هذا الحديث الشريف-على أساس كتب القوم-أموراً:

الأول: إنَّ هذا الحديث معتبر سنداً على ضوء كتبهم و آراء علمائهم، و حينئذٍ يكون هذا الكلام القول الفصل، و إنَّ على الذين يدعون التمسك بالسنة الكريمة، و السير على هدى الإسلام، و الاتباع للأحاديث الصحيحة...الالتزام بهذا الحديث و بلوازمه...

□

و الثانى: إنَّ السيد-رحمه الله-يذكر بعض المصادر و يشير إلى سائرهما بقوله:«رواه جماعة»اختصاراً، فلو كان أراد التفصيل لأورد أسماء رواة و دَلَّل على اعتبار سنده و صحَّحه الاحتجاج به، لكنَّ الشيخ البشرى-و هو المخاطب له أولاً و بالذات-مطلع على ما يقوله السيد، فتكفى الإشارة.

و الثالث: إنَّ الحقَّ مع السيد فى قوله عن ابن حجر المكي:«و قد أرجف فأجحف»لأنَّه قال:«و جاء عن ابن عباس بسندٍ ضعيف...» إذ قد عرفت اعتبار السند و صحَّحه الاحتجاج لنا به.

قيل:

«قوله:(و نقل هذه الكلمه عنه جماعه كثيرون، أحدهم ابن حجر...لا- يغنى عنه شيئاً، فهل يتحوّل الكذب إلى صدق إذا كثر ناقلوه؟)».

أقول:

هذا كلام باطل، لأنَّ الكذب لا يتحوّل إلى صدقٍ إذا كثر ناقلوه، لكنَّ هذا

ص: ٩٨

الحديث حقّ و صدق لا «كذب» على أنّه لو كان كذباً لم يخل حال ناقله عن أحد حالين:

إمّا أن يكونوا جاهلين بكونه كذباً... وهذا لا يلتزم به هذا القائل و لا غيره، و كيف يلتزم بجهل نقله هذا الحديث بحاله، و هم أئمة الحديث المرجوع إليهم في روايته و معرفته؟! إذ فيهم:

محمّد بن سليمان المطيّن.

□
و عبد الله بن أحمد بن حنبل.

و الحسن بن عمر الفقيمي.

و الحسن بن صالح بن حي.

و أبو أحمد الزبيرى الحبال.

و عمر بن شبة.

و أبو طاهر المخلص.

و ابن السمرقندى.

و ابن عساكر.

و السخاوى...

و إمّا أن يكونوا عالمين بكونه كذباً.. وهذا أيضاً لا يلتزم به القائل و لا غيره، لأنّ معناه أن يتعمّد هؤلاء الأئمة الثقات الفطاحل نقل حديث كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيسقطون عن العدالة و الوثاقه، و يعدّون في جملة من تعمّد الكذب عليه، و من كذب على الرسول الأمين فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين!

«وخطب الإمام المجتبي أبو محمد الحسن السبط سيد شباب أهل الجَنَّة فقال: اتَّقُوا اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا أَمْرَاؤُكُمْ» (١).

قال في الهامش: «فراجعها في أواخر باب وصية النبي بهم، من الصواعق المحرقة لابن حجر، صفحته ٣٤٣».

قيل:

«راجعناها في الصواعق ٢٢٩، فوجدنا المؤلف الموسوي قد سلخها من كلام الحسن لأمر ما. يقول ابن حجر: وقد صرح الحسن رضى الله عنه بذلك، فإنه حين استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد قطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغاً، ولذا عاش بعده عشر سنين فقال: يا أهل العراق، اتَّقُوا اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّا أَمْرَاؤُكُمْ وَضَيْفَانُكُمْ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢)(٣). قالوا: ولأنتم هم؟ قال:

نعم (٤).

و يكفى هذا الكلام ضعفاً أن رواه الثعلبي في تفسيره كما صرح بذلك في الصواعق».

ص: ١٠٠

١-١) المراجعات: ١٢.

٢-٢) سورة الاحزاب ٣٣:٣٣.

٣-٣) الصواعق المحرقة: ٢١٤.

٤-٤) ما بعد الآيه الشريفه لم يرد في الصواعق و انما هي روايه اخرى عن على بن الحسين (ع) في الشام. راجع: جامع البيان للطبري ٧:٢٢، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٦:٤.

أقول:

أولاً: راجعناها في الصواعق، فوجدنا هذا المفترى قد أضاف إلى رواياتها جملة «قالوا...» وهذا المورد من جملة تحريفاته للروايات و العبارات !

و ثانياً: يكفى وروده في كتب أهل السُّنَّة، إذ يكون بذلك مورد اتفاق المسلمين، ولا ريب في وجوب الأخذ بكلِّ أمرٍ حقٍّ وقع الاتفاق عليه.

و ثالثاً: هذا الكلام رواه الحافظ الطبراني، و نصَّ الحافظ نور الدين الهيثمي في كتابه الذي اعتمد عليه المعترض في مواضع! -
على أن «رجاله ثقات». و هذا نصُّ الرواية في باب فضل أهل البيت رضي الله عنهم:

«و عن أبي جميله: إنَّ الحسن بن عليّ حين قتل عليّ استخلف، فبينما هو يصلى بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فتمرّض منها أشهراً. ثمّ قام فخطب على المنبر فقال:

يا أهل العراق، اتقوا الله فينا فإننا أمراؤكم و ضيفانكم، و نحن أهل البيت الذين قال الله عزّ و جلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فما زال يومئذٍ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلّا باكياً.

رواه الطبراني. و رجاله ثقات» (١).

و فيه فوائد:

١- قوله عليه السلام: «إتقوا الله فينا». ثمّ علل أمره بتقوى الله فيهم بقوله «فإننا أمراؤكم».

٢- قوله عليه السلام: «و نحن أهل البيت الذين...» يفيد بكلِّ وضوح

ص: ١٠١

حصر الآيه الكريمه فيه و فى والديه و أخيه.

٣- ليس فى هذه الروايه الصحيحه-باعتراف الحافظ الهيثمى-جمله:

«لأنتم هم؟ قال: نعم». و عدمها فى هذه الروايه الصحيحه دليل على:

١- إذعان المسلمين بكون «أهل البيت» فى الآيه و نحوها هم: الحسان و والداهما، دون غيرهم، و كون هذا المعنى مسلماً مفروغاً عنه بينهم.

٢- إن بعض النواصب لما رأوا دلاله هذا الحديث على ما ذكرنا زادوا فيه تلك الجملة، لتفيد جهل المسلمين أو شكهم فيما قاله الإمام عليه السلام و استدللّ به.

و ثالثاً: قوله: «يكفى هذا الكلام ضعفاً أن رواه الثعلبى فى تفسيره كما صرح بذلك فى الصواعق» مردود بوجوه:

١- قد ظهر أن الكلام صحيح لا ضعيف.

٢- قد ظهر أن روايته غير منحصره بالثعلبى فى تفسيره.

٣- إن روايه الثعلبى لفضيله من فضائل أهل البيت عليهم السلام كافيه لشيعتهم فى مقام الاستدلال، و ذلك:

أ- لأن مجرد وجودها فى كتب القوم كاف.

ب- لأن الروايه إذا صح سندها يجب الأخذ بها فى أى كتاب من كتبهم كانت، و هذا ما نصّ عليه المعترض.

ج- و لأن الثعلبى موصوف عندهم بصفات جليله، و تفسيره «الكشف و البيان» من التفاسير المعتمده عندهم، كما لا يخفى على من راجع ترجمته فى المصادر التاليه:

ص: ١٠٢

وفيات الأعيان ١:٧٩، الوافي بالوفيات ٧:٣٠٧، العبر ٢:٢٥٥، مرآة الجنان ٣:٣٦، تتمه المختصر ١:٣٣٢، بغية الوعاة ١:٣٥٦، طبقات المفسرين ١:٦٦، طبقات الشافعية-للسبكي ٤:٥٨، طبقات الشافعية-للأسنوي-١:

١٥٩، وغيرها.

قال السبكي: «و كان أوحـد زمانه فى علم القرآن...»

و قال الأسنوي: «ذكره ابن الصلاح و النووى من الفقهاء الشافعية، و كان إماماً فى اللغة و النحو...».

و قال الداودى: «كان أوحـد أهل زمانه فى علم القرآن، حافظاً للغة، بارعاً فى العربية، واعظاً، موثقاً».

لكنّ الثعلبى لمّا أكثر من نقل روايات فضائل العتره و أخبار نزول الآيات فيهم...رماه ابن تيمية و أتباعه بالتساهل فى النقل، و حاولوا إسقاط رواياته المسنده عن الإعتبار.

بقى: قوله: «قد سلخها من كلام الحسن لأمرٍ ما».

و لا- يخفى: أنّه كلام جاهل أو متجاهل، إذ المهمّ هو الإستشهاد بكلام الإمام عليه السلام الثابت بالسند الصحيح..أما أنّه فى أى مناسبة قاله؟ و ما كان المورد له؟ فهذا لا علاقه له بالبحث، و لا يخصّص مدلول الكلام ألبتّه.

*قال السيد:

«و كان الإمام أبو محمّد على بن الحسين زين العابدين و سيّد الساجدين إذا تلا- قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ» (١) يدعو الله

ص: ١٠٣

عَزَّ وَجَلَّ دَعَاءً طَوِيلًا...» (١).

قال فى الهامش: «فراجعه فى صفحه ٢٣٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر، فى تفسير الآيه الخامسه: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» من الآيات التى أوردها فى الفصل الأول من الباب ١١».

أقول:

لم يتقوّل المعترض بشى حول هذا الكلام المنقول عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

وفى هذه الروايه فوائد:

١- إشاره إلى نزول قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (٢) فيهم عليهم السلام.

٢- إشاره إلى نزول قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٣) فيهم عليهم السلام.

٣- إشاره إلى نزول قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٤) فيهم عليهم السلام.

٤- إشاره إلى قوله النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتى أَهْلَ بَيْتى...».

ص: ١٠٤

١- ١) المراجعات: ١٢.

٢- ٢) سورة التوبه ١١٩: ٩.

٣- ٣) سورة الاحزاب ٣٣: ٣٣.

٤- ٤) سورة الشورى ٢٣: ٤٢.

٥- تصريح بانحصار «الموثوق به على إبلاغ الحجّ و تأويل الحكم» فيهم.

٦- تصريح بأنهم «الذين احتجّ الله بهم على عباده و لم يدع الخلق سدىً من غير حجّه».

و سكوت الرجل عن هذه الروايه-و هو فى مقام الردّ-دليل على إقراره بصحّه سندها، و لا- مناص له من قبولها و الالتزام بمضامينها.

و لا- يخفى أنّ ذكر ابن حجر المكي هذه الروايه بتفسير قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (١) شاهد على أنّ المراد من «حبل الله» فيها هم الأئمه من العتره النبويه، و هو مروى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام (٢)، و به قال بعض المفسرين (٣).

ص: ١٠٥

١-١) سورة آل عمران ١٠٣:٣.

٢-٢) الكشف و البيان ١٦٣:٣.

٣-٣) منهم: الثعلبى الذى أشرنا إلى ترجمته قريباً، نقل ذلك عنه جماعه منهم ابن حجر فى «الصواعق».

□
*قال السيد رحمه الله:

□
«حيث قلنا إنه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قرنهم بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوه لأولى الألباب، وسفن النجاه، وأمان الأمة، وباب حطه: إشاره إلى المأثور في هذه المضامين من السنن الصحيحه والنصوص الصريحه...» (۱).

قيل:

□
«نحن مع تسليمنا بصحة بعض الأخبار الواردة في مناقب عليّ -رضي الله عنه- وفي بنيه، لكننا لا نقرّ أنّ هذه الأخبار فيها حصر وجوب الاتّباع لهم.

و لذلك، فإنّ تضيق مدلولات هذه الأخبار وقصرها على فئة من الصحابه دون فئة ممّا ياباه منطوق هذه النصوص، فضلاً عن أنّ صريح الكتاب والسنة وعمل الصحابه على غير ذلك. و معلوم أنّ كثيراً من احتجاجات الرافضه لا تخلو من أحد خطأين: إمّا خطأً في الدليل، وإمّا خطأً من المدلول، وقد يجتمع فيها الخطآن معاً. أمّا خطؤهم في الدليل فمن مثل احتجاجهم على أهل السنيته بأحاديث ضعيفه و هالكه، من أجل إقامه الحجّه عليهم. و أمّا خطؤهم في المدلول فكاحتجاجهم بآيات قرآنيه و أحاديث صحيحه ليس فيها دليل على ما

ص: ۱۰۶

يُثِرُونَهُ مِنْ قَضَايَا. وَقَدْ يَحْتَجُّونَ بِأَحَادِيثٍ ضَعِيفَةٍ أَوْ مَوْضُوعَةٍ عَلَى قَضَايَا غَيْرِ صَحِيحَةٍ».

أقول:

هذا كلامه ! ثم استشهد بكلامٍ لشيخٍ إسلامه ابن تيمية يفيد نفس الذي قاله، فلم يأت بشئ جديد.

وَمَنْ الْمُرَادُ بِكَلِمَةِ «نَحْنُ» فِي أَوَّلِ هَذَا الْكَلَامِ؟!

إن كان المراد: علماء أهل السنة المحققين الشارحين للأحاديث النبوية، و الميئين لما تدلّ عليه السنّة المحمّديّة، و الذين عليهم الاعتماد و إليهم الاستناد في هذا الباب، فسننقل أقريرهم في دلاله تلك الأخبار المعتره على حصر و جوب الاتّباع بأمر المؤمنين و الأئمّه من ولده عليهم السلام.

و إن كان المراد-من «نحن»- هو المتكلم نفسه... فقد وجدنا سكوتة في قبال بعض الأدله- و منها الروايه المتقدّمه قريباً عن الإمام السجّاد عليه السلام- و سكوتة في هكذا مواضع إقرار.

على أنّه إذا لم يقترّ في موضعٍ فهو محجوج بإقرار أئمّه مذهبه، و لا أظنّ أن يدعى هذا الرجل كونه أعلم و أفهم للأخبار من كبار علماء طائفته !

*قال السيد:

«٣- و إليك بيان ما أشرنا إليه من كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلّم، إذ أهاب في الجاهلين، و صرخ في الغافلين، فنادى:

□
* يا أيها الناس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله،

ص: ١٠٧

و عترتى أهل بيتى».

قال فى الهامش: «أخرجه الترمذى و النسائى عن جابر، و نقله عنهما الممتقى الهندى فى أول باب الاعتصام بالكتاب و السنه من كنز العمال، ص ١٧٢ من جزئه الأول».

□
*«و قال صلى الله عليه و آله و سلم:

□
إنى تركت فىكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الارض، و عترتى أهل بيتى، و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فىهما» (١).

قال فى الهامش: «أخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم، و هو الحديث ٨٧٣ من أحاديث كنز العمال، فى ص ١٧٣ من جزئه الأول».

□
*«و قال صلى الله عليه و آله و سلم:

□
إنى تارك فىكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء و الأرض - أو: ما بين السماء إلى الأرض - و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

قال فى الهامش: «أخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت، بطريقتين صحيحين، أحدهما فى أول صفحه ٢٣٢ ح ٢١٠٦٨، و الثانى فى آخر صفحه ٢٤٤ ح ٢١١٤٥ من الجزء السادس. أيضاً: ابن أبى شيبه و أبو يعلى و ابن سعد عن أبى سعيد. و هو الحديث ٩٤٧ من أحاديث الكنز، فى ص ١٨٦ من جزئه الأول».

ص: ١٠٨

*«و قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم:

□
إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

قال في الهامش: «أخرجه الحاكم في ص ١٤٨ من الجزء الثالث من المستدرک، ثمّ قال:

هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه. و أخرجه الذهبي في تلخيص المستدرک معترفاً بصحّته على شرط الشيخين».

□
*«و قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم:

□
□
إِنِّي أوشك أن أدعى فأجيب، و إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ و جلّ، و عترتي، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي أهل بيتي، و إنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

قال في الهامش: «أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري من طريقين، أحدهما في آخر ص ٣٩٣ ح ١٠٧٤٧ و الثاني في آخر ص ٤٠٨ ح ١٠٨٢٧ من الجزء الثالث من مسنده. و أخرجه أيضاً: ابن أبي شيبه و أبو يعلى و ابن سعد عن أبي سعيد ٩٤٤. و هو الحديث ٩٤٤ من أحاديث الكنز في ص ١٨٥ من جزئه الأوّل».

□
*«و لَمَّا رجع صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم من حجّه الوداع و نزل غدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، فقال:

كأني دعيت فأجبت، إِنِّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر:

□
كتاب الله تعالى، و عترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتّى

ص: ١٠٩

يردا على الحوض.

ثم قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ.

ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه». الحديث بطوله.

قال في الهامش: «أخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم مرفوعاً في صفحه ١٠٩ من الجزء الثالث من المستدرک، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بطوله. و أخرجه من طريق آخر عن زيد بن أرقم في ص ٥٣٣ من الجزء الثالث من المستدرک، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

قلت: و أورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته».

«و عن عبد الله بن حنطب، قال: خطبنا رسول الله بالجحفة فقال:

أ لست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فأني سائلكم عن اثنين: القرآن و عترتي».

قال في الهامش: «أخرجه الطبراني كما في الأربعين للنبهاني. و في إحياء الميت للسيوطي.

و أنت تعلم أن خطبته صلى الله عليه و آله و سلم يومئذ لم تكن مقصورة على هذه الكلمة، فإنه لا يقال عمّن اقتصر عليها: إنه خطبنا. لكن السياسة كم اعتقلت ألسن المحذّثين، و حبست أقلام الكاتبين! و مع ذلك فإن هذه القطره من ذلك البحر و الشذره من ذلك البذر، كافيه و آفيه. و الحمد لله» (١).

ص: ١١٠

أقول:

□
أولاً: إنّ طرق و ألفاظ حديث الثقلين كثيره و مختلفه، ممّا يشهد بأنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال هذا الكلام في مناسبات و مواضع متعدّده. و ذلك لأنّه كان ينتهز كلّ فرصه للوصيّه بثقلية و الأمر باتّباعهما و الأخذ منهما. و يؤيّد ذلك كلام ابن حجر المكيّ الذي أورده السيد.

و ثانياً: إنّ اللّذين نقل عنهم السيّد حديث الثقلين هم أعظم و أكبر حفّاظ و أئمّه أهل السنّه في الحديث، بحيث لو يكون الحديث-الذي اتّفق على إخراجّه هؤلاء- كذباً، لم تجد عندهم حديثاً صحيحاً أبداً! إنّ اللّذين نقل عنهم حديث الثقلين هم:

١- أبو بكر بن أبي شيبه، و هو شيخ البخارى.

٢- أحمد بن حنبل، و هو أحد الأئمّه الأربعة، و كتاب «المسند» من أوثق كتبهم الحديثيه.

٣- محمّد بن سعد، صاحب كتاب «الطبقات الكبرى» و أحد أئمّه الحديث و رجال الجرح و التعديل.

٤- محمّد بن عيسى الترمذى، صاحب «الجامع الصحيح» أحد الصحاح السنّه عندهم.

٥- أحمد بن شعيب النسائى، صاحب «السنن» أحد الصحاح السنّه عندهم.

٦- أبو يعلى الموصلى، صاحب «المسند» و هو من أعاضم حفّاظهم.

٧- الحاكم النيسابورى، صاحب «المستدرک» إمام المحدثين عندهم.

٨- شمس الدين الذهبى، صاحب «تلخيص المستدرک» و غيره من

ص: ١١١

الكتب الكثيره و المصنّفات الشهيره، فى الحديث و الرجال و السّير، و المعتمد عند المتأخّرين، فى هذه الفنون، و هو الذى طالما استند إليه أتباع ابن تيمّيه فى المكابره مع الشيعة.

و ثالثاً: إنّ رواه هذا الحديث من نظراء أولئك الأئمّه فَمَنْ دونهم أكثر و أكثر، بحيث لو أردنا ذكر أسماء من وقفنا على روايتهم له لضاق بنا المجال، و قد ألّفت لجمع طرقه و ألفاظه كتب مفرده من علماء الشيعة و السنّه، و من أشهر علماء القوم المؤلّفين فيه:

الحافظ محمّد بن طاهر المقدسى - المتوفّى سنة ٥٠٧هـ - صاحب كتاب «الجمع بين رجال الصحيحين».

و رابعاً: إنّ المذنبين نصّوا على صحّ حديث الثقلين من القدماء و المتأخّرين، أو أخرجوه فى كتبهم التى التزموا فيها بالصّحّه من مشاهير أهل السنّه كثيرون كذلك. و نحن نكتفى بذكر بعضهم:

١- إمام الأئمّه ابن خزيّمه، صاحب «الصحيح».

٢- الإمام الحافظ أبو عوانه الاسفرائنى، صاحب «الصحيح».

٣- الحافظ المحاملى، صاحب «الأمالى».

٤- الحافظ البغوى الملقّب ب «محيى السنّه»، صاحب «مصاييح السنّه».

٥- الحافظ ضياء الدين المقدسى فى «المختاره» الملتزم فيها بالصّحّه.

٦- الحافظ سراج الدين الفرغانى فى «نصاب الأخبار» الملتزم فيه بالصّحّه.

٧- الحافظ المزّى، صاحب «تحفه الأشراف بمعرفه الأطراف».

٨- الحافظ ابن كثير الدمشقى، صاحب «التفسير» المعروف.

٩-الحافظ الهيثمي، صاحب «مجمع الزوائد».

١٠-الحافظ السيوطي، صاحب «الجامع الصغير» وغيره.

١١-الحافظ السخاوي، صاحب «استجلاب ارتقاء الغرف».

١٢-الحافظ السمهودي، صاحب «جواهر العقدين».

و خامساً: إنّه يكفي للاحتجاج سند واحد من أسانيد واحدٍ من ألفاظه، لكنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواتره قطعاً، إذ رواه عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر من ثلاثين من صحابته، و رواه من الأئمّه و الحفاظ و المحدّثين عبر القرون كثيرين جداً (١).

و سادساً: إنّ دلالة حديث الثقلين على ما تذهب إليه الشيعة- و هو حصر وجوب الاتّباع في الأئمّه من أهل البيت عليهم السلام- واضحة جداً على من له أدنى معرفه بألفاظ اللغه العربيّه و أساليبها... لأنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قرّنهم بمحكم الكتاب العزيز، فكما يجب الأخذ و الاتّباع لما في الكتاب و لا يجوز تقديم غيره عليه، كذلك الأئمّه.

و لا بأس بإيراد نصوص عبارات بعض المحقّقين من أهل السنّه في الاعتراف بما قلناه:

قال الزرقاني: قال الحكيم الترمذي: «حُضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهِمْ، لِأَنَّ الْأَمْرَ لَهُمْ مَعَايِنُهُ، فَهَمُّ أُبْعَدَ عَنِ الْمَحْنَةِ» (٢).

و قال النووي: «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] وَسَلَّمَ: و أنا تارك فيكم ثقلين،

ص: ١١٣

١- ١) انظر: الأجزاء الثلاثة من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار» المختصّه بحديث الثقلين.

٢- ٢) شرح المواهب اللدّيّه ٥: ٧.

فذكر كتاب الله و أهل بيته. قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما و كبير شأنهما، و قيل لثقل العمل بهما» (١).

□

و قال ابن الأثير: «فيه (٢): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي؛ سمأهما ثقلين لأن الأخذ بهما و العمل بهما ثقل. و يقال لكل خطير نفيس: ثقل، فسمأهما ثقلين إعظاماً لقدرهما و تفخيماً لشأنهما» (٣).

و قال القارى: «و المراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبتهم، و محافظه حرمتهم، و العمل بروايتهم، و الاعتماد على مقاتلتهم» (٤).

و قال شهاب الدين الخفاجي: «أى: تمسكتم و عملتم و اتبعتموه» (٥).

و قال المناوى: «إني تارك فيكم بعد وفاتي خليفتين. زاد فى روايه:

□
أحدهما أكبر من الآخر. و فى روايه بدل خليفتين: ثقلين، سمأهما به لعظم شأنهما: كتاب الله القرآن، حبل، أى: هو حبل ممدود ما بين السماء و الأرض.

قيل: اراد به عهده، و قيل: السبب الموصل إلى رضاه. و عترتي - بمثناه فوقيه -:

□
أهل بيتى. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً، و هم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» (٦).

و بعد، فلننظر إلى ما قيل فى قبال الاستدلال بحديث الثقلين:

ص: ١١٤

١- (١) المنهاج فى شرح صحيح مسلم ١٨٠: ١٥.

٢- (٢) أى: فى الحديث.

٣- (٣) النهايه ٢١٦: ١.

٤- (٤) مرقاه المفاتيح ٦٠٠: ٥.

٥- (٥) نسيم الرياض فى شرح الشفا للقاضى عياض ٤١٠: ٣.

٦- (٦) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ١٤: ٣.

قيل:

تعليقاً على الحديث الأول عن الترمذى و النسائى عن جابر:

«هذا الحديث تفرد به زيد بن الحسن الأنماطى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. و الأنماطى قال فيه أبو حاتم: منكر الحديث.

و اعلم أنّ المؤلف -لأمرٍ يريده- تجاهل عمداً روايه مسلم التى فيها التصريح بأن أهل بيته ليسوا مقصورين على: على و فاطمه و الحسن و الحسين.

و إنما يدخل فيهم جميع آل على و آل عقيل و آل جعفر و آل عباس.

ثمّ إنه قد كثر سياق هذا الحديث الوارد فى عددٍ من كتب الحديث ليوهم القارئ أنّها أحاديث متعدّده، لإثبات موضوع واحد. مع أنّه حديث واحد روى برواياتٍ متعدّده. و أصحّ رواياته روايه مسلم التى لا تخدم وجهه نظره فتجاهلها.

□
هذا، و لكنّ حديث المؤاخاه قد رواه الترمذى و أحمد فى مسنده عن النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أنّه قال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه. و أمّا الزيادة و هى: اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه. فلا ريب أنّه كذب».

أقول:

هذا كلامه، فنقول:

□
١- كلمه: «التى فيها التصريح» هذا التصريح ليس من النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، ليكون حجّة، بل هو من «زيد بن أرقم» لكنّ الرجل أبهم لكى يوهم القارئ (١)!

ص: ١١٥

١- ١) و أيضاً: لكيلا يراجع القارئ نصّ الكلام فى مصادر المعتمده، ففى (صحيح مسلم ٢١٧/٨/٢٤٠٨: ٤) و غيره أنّه سئل: نساؤه من أهل بيته؟ قال: «لا، و أيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها و قومها» فزوجات النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لسن من «أهل البيت» عند «زيد بن أرقم»!!

٢- كلمه: «الوارد فى عدد من كتب الحديث» وحقّ الكلمه: «الوارد فى أكثر كتب الحديث بما فيها الصحاح و المسانيد».

٣- قوله: «لكنّ حديث المؤاخاه» تبع فى تسميه حديث: «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه» ب «حديث المؤاخاه» بعض أسلافه، فقد وجدت فى كلام الذهبى: «و عملت الرافضه عيد الغدير، يعنى يوم المؤاخاه...» (١) و لعلمهم يريدون أنّ هذا الحديث لا- يفيد إلّا «المؤاخاه»!!

٤- جملة: «اللهمّ وال من والاه...» سيظهر أنّها ليست بكذب، و أنّ رميها بذلك هو الكذب.

٥- لم يكرّر السيّد سياق هذا الحديث، و إنّما تكرر صدوره عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قد أذعن بذلك جماعه ممّن تقدّم منهم و تأخر، كصاحب «الصواعق» ابن حجر...

فالإشكال الذى يستحقّ النظر فيه- لكونه فى الظاهر علمياً- هو الإشكال السندى بالنسبه إلى الحديث الأوّل... فنقول:

أولاً: يكفينا الأحاديث الأخرى التى سلّم بصحّتها.

و ثانياً: إنّ الحديث الذى ناقش فى سنده من أحاديث «الجامع الصحيح» للترمذى، و «السنن» للنسائى.. و هذان الكتابان من الصحاح السنّه عندهم.

و ثالثاً: إنّّه لم يناقش فى سنده إلّا من جهه (زيد بن الحسن الأنماطى)

ص: ١١٦

١-١) سير أعلام النبلاء ١٢٩: ١٥.

و استناداً إلى كلمه أبي حاتم. لكن هذه المناقشه مردوده:

قال ابن حجر: «ت-الترمذى. زيد بن الحسن القرشى أبو الحسين الكوفى، صاحب الأنماط. روى عن: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين و معروف بن خربوذ، و علي بن المبارك الهنائى.

و عنه: إسحاق بن راهويه، و سعيد بن سليمان الواسطى، و علي بن المدينى و نصر بن عبد الرحمن الوشاء، و نصر بن مزاحم.

قال أبو حاتم: كوفى قدم بغداد، منكر الحديث. و ذكره ابن حبان فى الثقات. روى له الترمذى حديثاً واحداً فى الحجّ (1).

فقد ذكر ابن حجر أسماء جماعه من الأئمة رووا عن زيد بن الحسن، و أنّ ابن حبان ذكره فى الثقات.

و يبقى قول أبي حاتم «منكر الحديث» و هو غير مسموع:

أمّا أولاً: فلاّنه لو كان منكر الحديث لما أخرج عنه هؤلاء كابن راهويه و ابن المدينى و سعيد بن سليمان و الترمذى.

و أمّا ثانياً: فلاّناً «أبا حاتم» متعنّت فى الرجال، و لا يُبنى على تجريحه، كما نصّ عليه الحافظ الذهبى بترجمته إذ قال:

«إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله، فإنّه لا يوثق إلّا رجلاً صحيح الحديث. و إذا لئى رجلاً أو قال فيه: لا يحتجّ به، فلا، توقّف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد فلا تبى على تجريح أبي حاتم، فإنّه متعنّت فى الرجال،

ص: ١١٧

قد قال في طائفه من رجال الصحاح: ليس بحجّه، ليس بقوى، أو نحو ذلك» (١).

تنبيه:

قد توهم هذا الرجل أنّ حديث الثقلين في (صحيح مسلم) لا يدلّ على ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة من وجوب اتّباع أهل البيت و التمسك بهم و الأخذ عنهم...

و قد سبقه في هذا التّوهم غيره، قال الدكتور عليّ أحمد السالوس: «فرق كبير بين التذكير بأهل البيت و التمسك بهم. فالعطف على الصغير، و رعايه اليتيم، و الأخذ بيد الجاهل، غير الأخذ من العالم العابد العامل بكتاب الله تعالى و سنّه رسوله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم».

و قد دفعنا هذا الوهم في ردّنا على الدكتور المذكور، و بيّنا عدم الفرق بين روايه مسلم و روايه أحمد و الترمذى و غيرهما، فالحديث هو الحديث، و المدلول واحد، و النتيجة واحده... فراجعته بالتفصيل (٢).

*قال السيّد:

في هامش الحديث الأخير من أحاديث الثقلين التي استدلّ بها: «و أنت تعلم...» و قد تقدّمت عبارته.

ص: ١١٨

١-١) سير أعلام النبلاء ١٣:٢٦٠.

٢-٢) حديث الثقلين.. تواتره، فقهه كما في كتب السنّه - ط ١٤١٣ هـ.

فقل:

«إنَّ المؤلّف لا يكفيه أن يبنى قصوراً على أوهام، و لا أن يستشهد بالباطل على ما يريد، بل يذهب أبعد من ذلك، فيتخرّص -رجماً بالغيب- و يتّهم نقله الأحاديث و روايتها من أهل السُّنّة: بأنهم خانوا الأمانه، و اختصروا كثيراً من رواياتهم، خوفاً من حاكم. و يقصد أنّهم زوّروا الحقائق، و حذفوا ما يتعلّق بالوصيّة لعليّ بالخلافه ! و كأنّه مقرّر- في قراره نفسه- أنّ كلّ ما يستشهد به على هذه القضيّه لا- يكفى و لا يشفى غليلاً، فمشى خطوهً أخرى فيما وراء النصوص، و هى مكذوبه، و تقوّل من غير دليل، و اتّهم من غير حجّه، و ادّعى أنّ هذه النصوص حذف أكثرها، و ألصقتها تعلقاً بالمسأله !!».

أقول:

أما السبّ فلا نقابله فيه بالمثل !

و الحقّ مع السيّد -رحمه الله- فيما قال، لأنّ المستفاد من تتبع ألفاظ حديث الغدير في كتب أهل السُّنّة -و يساعده الاعتبار و شواهد الأحوال- هو أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم قد خطبهم:-

ففي «المسند»: «فخطبنا» (١).

و في «المستدرک علی الصحیحین»: «قام خطيباً، فحمد الله و أثنى عليه و ذكّر و وعظ، فقال ما شاء الله أن يقول» (٢).

ص: ١١٩

١- (١) مسند أحمد ٥٠١/١٨٨٣٨: ٥.

٢- (٢) المستدرک علی الصحیحین ١١٠: ٣.

و في «مجمع الزوائد»: «فو الله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلا قد أخبرنا به يومئذٍ. ثم قال: أيها الناس...» (١).

فأين النص الكامل لتلك الخطبه؟!

و لما ذالم يرووا مواظ الرسول و إرشاداته؟!

و إذا كان قد أخبر صلى الله عليه و آله و سلم بكل شيء يكون إلى يوم الساعة، و بين وظيفه الأمة، فما الذي حملهم على إخفائه عن الأمة؟!

لقد حرموا الأمة من هدى الرسول و تعاليمه و إرشاداته، بدلاً من أن ينقلوها و يكونوا دعاءً إليها و ناشرين لها...

و إن الذي حملهم على كتم خطبه النبي هذه هو ما حملهم على كتم كثير من الحقائق! و إن الذي منعهم من نقلها هو نفس ما منعهم من أن يقربوا إليه دواءً و قرطاساً ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده!

*قال السيد:

«٤- و الصحاح الحاكمه بوجوب التمسك بالثقلين متواتره، و طرقها عن بضع و عشرين صحابياً متضافره، و قد صدع بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في مواقف له شتى: تارة يوم غدیر خم كما سمعت، و تارة يوم عرفه في حجة الوداع، و تارة بعد انصرافه من الطائف، و مره على منبره في المدينة، و أخرى في حجرتة المباركه في مرضه و الحجره غاصه بأصحابه، إذ قال: أيها

ص: ١٢٠:

الناس يوشك أن أقبض...» (١).

قال في الهامش: «راجع في أواخر الفصل ٢ من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر، بعد الأربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة في ذلك الفصل، ص ١٩٤».

قيل:

«يكفى أن يعلم أنّ هذا الذى ساقه على أنه قاله صلى الله عليه [و آله] و سلم فى مرضه و الحجره غاصّه بأصحابه، ليس فى كتاب من كتب الحديث المعتبره، و قد أوردته من غير سند، فالاحتجاج به ساقط حتى تثبت قضيتان:

سنده أولاً، ثم صدق هذا السند.

و هيهات له أن يثبت هاتين القضيتين، و ليس ذكره لكتاب الصواعق لابن حجر المكي بمصحح هذا الحديث، و لا بدليل على صحه الاحتجاج به. فابن حجر هذا ليس من علماء الحديث، و لا له فى هذه الصناعات باع و لا ذراع. و من تأمل كتابه (الصواعق) و ما حشاه به من الأحاديث الضعيفه و الموضوعه يتيقن أنّ كتابه لا يابه به إلا أمثال المؤلف و بنى جلدته. على أنّ ابن حجر لم يسلم حتى من هجوم المؤلف عبد الحسين، و جازاه جزاء سئمار».

أقول:

ص: ١٢١

١-١) المراجعات: ١٥-١٦.

عدم اعتراضه إلا على حديث صدوره في مرضه في الحجره، ظاهر في موافقته على صدور حديث الثقلين يوم غدیر خمّ، و يوم عرفه في حجّه الوداع، و بعد انصرافه من الطائف، و على منبره في المدينه، و وجود ذلك في كتب الحديث المعبره، و عليه، يكون موافقاً على صدور الحديث في مواقف متعدده، فيناقض إنكاره ذلك في كلماته السابقه.

و أما روايه أنه قاله في مرض موته فقد جاء في «الصواعق» بعد ما روى الحديث بعد انصرافه من الطائف عن ابن أبي شيبه: «و في روايه...».

فابن حجر لم يعز هذا الحديث إلى كتاب، لكن بالتأمل في كلامه يظهر تصحيحه له، لأنه بعد ما أورد الحديث السابق عن ابن أبي شيبه عن عبد الرحمن ابن عوف، قال: «و فيه رجل اختلف في تضعيفه، و بقيه رجاله ثقات» (١). ثم أورد هذا الحديث و لم يتكلم على سنده بشيء... و نحن تكفينا روايه ابن حجر لهذا الحديث لا- سيما مع سكوته عن سنده، لأنه من كبار علماء أهل السنيّه المدافعين عن الخلفاء و معاويه و حكومه الطلقاء، كما لا يخفى على من راجع «الصواعق» و «تطهير الجنان» و غيرهما مما كتبه في هذا الشأن.

و مع ذلك... نذكر واحداً من رواه هذا الحديث، المتقدمين على ابن حجر المكي... ألا و هو الحافظ السمهودي (٢)، فإنه نصّ على أنّ النبيّ صلّى الله عليه

ص: ١٢٢

١- (١) الصواعق المحرقة: ١٩٤.

٢- (٢) هو: الحافظ نور الدين عليّ بن عبد الله السمهودي، المتوفى سنه ٩١١. قال الحافظ السخاوي بترجمته بعد كلام له: «و بالجمله، فهو إنسان فاضل متفنن متميز في الفقه و الأصلين، مديم للعمل و الجمع و التأليف، متوجه للعباده و للمباحثه و المناظره، قوى الجلاذه على ذلك، طلق العبارة فيه، مغرم به، مع قوه نفس و تكلف، خصوصاً في مناقشات لشيخنا في الحديث و نحوه». الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣: ٢٤٧.

و آله و سلم قال ذلك في مرضه الذي قبض فيه و قد امتلأت الحجرة من أصحابه، كما في روايه لأم سلمه.

و لا بأس بنقل متن عبارته في التنبيه الخامس من تنبيهات حديث الثقلين:

«خامسها: قد تضمنت الأحاديث المتقدمه، الحثّ البليغ على التمسك بأهل البيت النبوي و حفظهم و احترامهم و الوصيه بهم، لقيامه صلى الله عليه [و آله] و سلم بذلك خطيباً يوم غدیر خم، كما في أكثر الروايات المتقدمه، مع ذكره لذلك في خطبته يوم عرفه على ناقته، كما في روايه الترمذی عن جابر، و في خطبته لما قام خطيباً بعد انصرافه من حصار الطائف، كما في روايه عبد الرحمن بن عوف رضی الله عنه، و في مرضه الذي قبض فيه و قد امتلأت الحجرة من أصحابه، كما في روايه لأم سلمه.

بل سبق قول ابن عمر-رضی الله عنهما-: آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم: اخلفوني في أهل بيتي...

مع قوله صلى الله عليه [و آله] و سلم: انظروا كيف تخلفوني فيهما.

و قوله: ألا و إني سائلكم حين تردون عن الثقلين فانظروا...الحديث.

و قوله: و الله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه و أهل بيتي.

و قوله: ناصرهما لي ناصر و خاذلهما لي خاذل.

و: أوصيكم بعترتي خيراً.

و: أذكركم الله في أهل بيتي.

على اختلاف الألفاظ في الروايات المتقدمه.

مع قوله-في روايه عبد الله بن زيد عن أبيه-: فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره، و ورد على يوم القيامه مسوداً وجهه.

و في الحديث الآخر: فإنني أخاصمكم عنهم غداً، و من أكن خصيمه

أخصمه، و من أخصمه دخل النار.

و في الآخر: من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً. □

مع ما اشتملت عليه ألفاظ الأحاديث المتقدمه على اختلاف طرقها، و ما سبق ممّا أوصى به أمته و أهل بيته.

فأى حثّ أبلغ من هذا و أكد منه؟!

فجزى الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه [و آله] و سلّم عن أمته و أهل بيته أفضل ما جرى أحداً من أنبيائه و رسله عليهم السلام» □ □
(١).

*قال السيد:

«٥- على أنّ المفهوم من قوله: (إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله و عترتي): إنّما هو ضلال من لم يتمسك بهما معاً كما لا يخفى. □

و يؤيد ذلك قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم في حديث الثقلين عند الطبراني: (فلا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تقصّروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم). □

قال ابن حجر: و في قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: فلا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تقصّروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم: دليل على أنّ من تأهل منهم للمراتب العليّه و الوظائف الدينيه كان مقدّماً على غيره» (٢) إلى آخر كلامه (٣).

ص: ١٢٤

١- ١) جواهر العقدين ق ٢ ج ١١٥: ١-١١٦.

٢- ٢) الصواعق المحرقة: ٣٤٢.

٣- ٣) المراجعات: ١٦.

قيل:

فى الاعتراض على الحديث عن الطبرانى:

«هذا جزء من حديث رواه الطبرانى عن زيد بن أرقم. و فى هذا السند:

حكيم بن جبير. و هو ضعيف. و رمى بالتشيع كما قال المباركفورى. مجمع الزوائد ٩:١٦٣.

على أن هذا الحديث- لو صح- فإن دلالة تشمل بنى هاشم جميعاً و هم عشيرته صلى الله عليه [و آله] و سلم، لا أبناء على و فاطمه فقط.

و مع غض النظر عن مناقشه ابن حجر المكي فيما استنبطه من حكم من هذا الحديث الضعيف، هل يصح هذا الحديث دليلاً على هذا الحكم؟ ثم أليس فى هذا دليل على عدم أصالة آراء ابن حجر و ضعفه الفاضح فى الحديث و استنباطه الأحكام؟».

أقول:

*أما المفهوم من حديث الثقلين- كما ذكره السيد- فلا ينكره أحد.

*و أما الحديث المؤيد فهذا سنده:

«حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا جعفر بن حميد (ح) حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا النضر بن سعيد أبو صهيب، قال- ثنا عبد الله بكير، عن حكيم بن جبير، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: نزل النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم يوم الجحفة. ثم أقبل على الناس، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

إني لا أجد لنيي إلا نصف عمر الذى قبله، و إني أوشك أن أدعى فأجيب،

ص: ١٢٥

فما أنتم قائلون؟ قالوا: نصحت. قال: أليس تشهدون أن لا إلَّا الله، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنَّة حقّ و النار حقّ و أنّ البعث بعد الموت حقّ؟ قالوا:

نشهد. قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره ثمّ قال: و أنا أشهد معكم. ثمّ قال:

ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي فرطكم على الحوض، و أنتم واردون علىّ الحوض، و إنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء و بصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّه، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى منادٍ: و ما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله طرف بيد الله [عزّ و جلّ] و طرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا و الآخر عترتى، و إنّ اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يتفرّقا حتّى يردا علىّ الحوض، و سألت ذلك لهما ربّى.

فلا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تقصّروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم.

ثمّ أخذ بيد علىّ -رضى الله عنه- فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلىّ وليّه، اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه» (١).

و هذا الحديث رواه الحافظ السيوطى بتفسير قوله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» (٢).

و كذا الشيخ المتقى الهندى (٣).

و قد روى الشيخ المتقى الهندى قبل ذلك هذا الحديث عن الطبرانى عن

ص: ١٢٦

١-١) المعجم الكبير ١٦٦/٤٩٧١: ٥.

٢-٢) الدرّ المنثور ٢: ٢٨٥. و الآيه الشريفه فى سورة آل عمران رقم ١٠٣.

٣-٣) كنز العمّال ١٨٨/٩٥٧: ١.

زيد بن ثابت، قال: «إني لكم فرط، إنكم واردون عليّ الحوض، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب و الفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟

□
قيل: وما الثقلان يا رسول الله؟

□ □
قال: الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله و طرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزلوا و لا تضلوا؛ و الأصغر عترتي، و إنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض؛ و سألت لهما ذلك ربّي، و لا تقدّموهما فتهلكوا، و لا تعلّموهما فإنهما أعلم منكم.

طب عن زيد بن ثابت» (١).

ألا يليق هذا الحديث المرويّ في هذه الكتب، عن اثنين من مشاهير الأصحاب، لأن يكون «مؤيداً»؟!

*ثم إن الحديث عن زيد بن أرقم لم يناقش في سنده إلّا من جهه «حكيم ابن جبير»..

و قد راجعنا ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٢) فوجدناه من رجال أربعه من الصحاح الستّه، و أنّ من الرواه عنه:

الأعمش، و السفينان، و زائده، و فطر بن خليفة، و شعبه، و شريك، و عليّ بن صالح، و جماعه و قال الفلاس: كان يحيى يحدث عنه.

ثم إن السبب في تضعيف بعضهم إياه هو «التشيع» ليس إلّا:

«قال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعه عنه فقال: في رأيه شيء. قلت: ما

ص: ١٢٧

١-١) كنز العمال ٩٤٦/١٨٥: ١.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٣٨٣: ٢.

محلّه؟ قال: الصدق إن شاء الله».

و قد تقدّم -و يأتي- أن «التشيع» غير قادح.

□
*و أمّا دعوى أنّ الحديث يشمل بنى هاشم كلّهم، فجهل أو تجاهل، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ينهى عن التقدّم على «عترته» و عن تعليمهم، و يعلّل ذلك: بأنّهم أعلم منكم، و كيف يشمل هذا جميع بنى هاشم؟! □

وليت الرجل راجع كلمات شراح الحديث من أبناء مذهبه! فإنّ الذي قاله ابن حجر المكيّ قد نصّ عليه غير واحد من أعلام الحديث و العلماء الحفاظ:

قال القارى في شرح المشكاة: «أقول: و الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت و أحواله. فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه و حكمته. و بهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: «و يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ». و يؤيّد ما أخرجه أحمد في المناقب، عن حميد بن عبد الله بن زيد: أنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم ذكر عنده قضاء قضى به عليّ بن أبي طالب فأعجبه و قال:

□
الحمد لله الذي جعل فينا الحكمه أهل البيت...» (١).

□
و قال المتناوي: «و عترتي أهل بيتي. تفصيل بعد إجمال، بدلاً أو بياناً. و هم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» (٢).

□
و قال عبد الحقّ الهندي: «و العتره رهط الرجل و أقرباؤه و عشيرته الأذنون، و فسّره صلّى الله عليه [و آله] و سلّم بقوله: و أهل بيتي، للإشارة إلى أنّ

ص: ١٢٨

١-١) مرقاه المفاتيح ٥:٦٠٠.

٢-٢) فيض القدير-شرح الجامع الصغير ٣:١٤.

مراده هنا من العتره:أخصّ عشيرته و أقاربه.و هم أولاد الجدّ القريب.أى:

□
أولاده و ذرّيته صلّى الله عليه [و آله] و سلّم» (١).

□
و قال السمهودى:«الذين وقع الحثّ على التمسك بهم من أهل البيت النبوى و العتره الطاهره:هم العلماء بكتاب الله عزّ و جلّ،إذ لا يحثّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم على التمسك بغيرهم،و هم الذين لا يقع بينهم و بين الكتاب افتراق، حتّى يردا الحوض.و لهذا قال:لا تقدّموا فتهلكوا،و لا تقصّروا عنهما فتهلكوا» (٢).

*و أمّا الحكم الذى استنبطه ابن حجر من الحديث-و الذى لأجله تهجم عليه هذا الرجل-فهو موجود كذلك فى كلام غير ابن حجر من أئمّه الحديث:

ففى «جواهر العقدين»و«شرح المواهب اللدئيه»و«فيض القدير»:

«أنّ ذلك يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت و العتره الطاهره فى كلّ زمانٍ وُجدوا فيه إلى قيام الساعة،حتّى يتوجه الحثّ المذكور إلى التمسك به،كما أنّ الكتاب العزيز كذلك.و لهذا كانوا-كما سيأتى-أماناً لأهل الأرض،فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض» (٣).

ص: ١٢٩

١-١) أشعّه للمعات فى شرح المشكاه ٤:٦٨١.

٢-٢) جواهر العقدين ق ٢ ج ١:٩٣.

٣-٣) جواهر العقدين ق ٢ ج ١:٩٤،فيض القدير ٣:١٥،شرح المواهب اللدئيه ٧:٨.

قال السيد:

«٦-و مِمَّا يَأْخُذُ بِالْأَعْنَاقِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَيُضْطَرُّ الْمُؤْمِنُ إِلَى الْإِنْقِطَاعِ فِي الدِّينِ إِلَيْهِمْ: قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ: أَلَا إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلَ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ».

قال في الهامش: «أخرجه الحاكم بالأسناد إلى أبي ذرّ، ص ١٥١ من الجزء الثالث من المستدرک».

«(و قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ: إِنَّمَا مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَ إِنَّمَا مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلَ بَابِ حَطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غَفِرَ لَهُ».

قال في الهامش: «أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد، وهذا هو الحديث ١٨ من الأربعين، الخامس والعشرين من الأربعين أربعين للنبهاني، ص ٢١٦ من كتابه الأربعين أربعين حديثاً» (١).

أقول:

أولاً: لقد اقتصر السيد -رحمه الله- على هذين اللفظين من ألفاظ حديث

ص: ١٣٠.

السفينه، عن الحاكم النيسابورى و الحافظ الطبرانى، بالإسناد إلى إثنين من الصحابه، هما: أبو ذرّ الغفارى، و أبو سعيد الخدرى. و هذا كافٍ للاحتجاج، لكون الحاكم و الطبرانى من أكبر أئمة الحديث عند القوم.

و ثانياً: حديث السفينه مروىّ فى كتب القوم بالطرق الكثيره، عن عدّه من الصحابه غير من ذكر، و هم:

١- أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام.

□
٢- عبد الله بن العباس.

٣- أبو الطفيل عامر بن واثله.

٤- أنس بن مالك.

□
٥- عبد الله بن الزبير.

٦- سلمه بن الأكوع.

و ثالثاً: إنّ رواه حديث السفينه من كبار الأئمة و الحفاظ المشاهير كثير، و من أشهرهم:

١- أحمد بن حنبل، إمام الحنابله (١).

٢- مسلم بن الحجاج، صاحب الكتاب «الصحیح» عندهم.

٣- أحمد بن عبد الخالق البزار، فى «المسند».

٤- أبو بكر الخطيب البغدادي، فى «تاريخ بغداد».

٥- الفخر الرازى، فى «تفسيره» الكبير، بتفسير آيه الموده.

٦- شمس الدين الذهبى، فى «الميزان» بترجمه: الحسن بن أبى جعفر

ص: ١٣١

١- (١) انظر: مشكاه المصابيح ٥١٩/٦١٨٣: ٢.

٧- ابن حجر العسقلانى، فى «المطالب العالیه بزوائد المسانید الثمانیه».

و رابعاً: إنّ من أعلام القوم من ينصّ على صحّحه الحديث، أو يعترف بتعدّد طرقه و أنّ بعضها يقوّى بعضاً، و إليك عبارات بعضهم:

١- قال الحاكم النيسابورى بعد أن أخرجه: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه» (١).

٢- و قال ابن حجر المكي: «و جاء من طرقٍ عديده يقوّى بعضها بعضاً:

إنّما مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا. و فى روايه مسلم (٢): و من تخلف عنها غرق. و فى روايه: هلك. و إنّما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطّه فى بنى إسرائيل، من دخله غفر له الذنوب» (٣).

٣- و قال شمس الدين السخاوى: «و بعض هذه الطرق يقوّى بعضاً» (٤).

٤- و قال جلال الدين السيوطى: «أخرجه الحاكم و هو صحيح» (٥) و قال:

«رواه البزار و أبو يعلى فى مسنديهما، و الطبرانى فى الأوسط، و الحاكم و صحّحه» (٦).

ص: ١٣٢

١- ١) المستدرک على الصحيحين ٢: ٣٤٣.

٢- ٢) هذه الكلمه حرّفوها إلى «سلم» كما حرّفوا صحيح مسلم بإسقاط الحديث! و الشاهد بما ذكرنا هو أنّ الشيخ الجهرمى ذكر الكلمه كذلك: «و فى روايه مسلم» فى ترجمته الحديث فى كتابه «البراهين القاطعه فى ترجمه الصواعق المحرقة» إلى الفارسيه.

٣- ٣) الصواعق المحرقة: ٢٣٤.

٤- ٤) استجلاب ارتقاء الغرف ٢: ٤٨٤، ذيل الحديث ٢٢٠.

٥- ٥) نهايه الإفضال فى مناقب الآل-مخطوط.

٦- ٦) الأساس فى مناقب بنى العباس-مخطوط.

٥- ابن حجر المكي في «شرح الهمزيه للبوصيري» بشرح قوله: آل بيت النبي طبتم و طاب ال -مدح لى فيكم و طاب الثناء

قال: «و صحّ حديث: إنّ مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها هلك» (١).

٦- و قال العيدروس اليمنى: «و صحّ حديث: إنّ مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها هلك» (٢).

٧- و قال السيد أحمد زيني دحلان: «و صحّ عنه صلى الله عليه [و آله] و سلم من طرقٍ كثيره أنّه قال: إنّما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق- و فى روايه: هلك- و مثل أهل بيتى فيكم كمثل باب حطّه فى بنى إسرائيل، من دخله غفر له» (٣).

٨- و قال الشيخ محمد بن يوسف التونسي المالكي، المعروف بالكافى:

«روى البزار عن ابن عيّاس، و أبو داود عن ابن الزبير، و الحاكم عن أبى ذرّ بسند حسن-: مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق».

و قال بعد كلام له: «و يدلّ على ذلك: الحديث المشهور المتفق على نقله:

مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق.

و هو حديث نقله الفريقان و صحّحه القبيلان، لا يمكن لطاعن أن يطعن

ص: ١٣٣

١- ١) شرح الهمزيه\المنح المكيه: ٢٧٩.

٢- ٢) العقد النبوى و السرّ المصطفى-مخطوط.

٣- ٣) الفضل المبين فى فضائل الخلفاء الراشدين و أهل البيت الطاهرين. ط هامش السيره الدحلانيه. باب ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

عليه، وأمثاله في الأحاديث كثيرة» (١).

و خامساً: وقد بلغ هذا الحديث من الثبوت مبلغاً جعل كبار علماء اللغة من أهل السُّنَّة يوردونه في كتبهم، ويستشهدون بألفاظه على المعانى اللغويه:

قال ابن الأثير «زخخ: فيه (٢): مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من تخلف عنها زخخ به في النار. أى: دفع و رمى، يقال: زخخه يزخخه زخخاً» (٣).

وقال ابن منظور: «و في الحديث: مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من تخلف عنها زخخ به في النار. أى: دفع و رمى. يقال: زخخه يزخخه زخخاً» (٤).

وقال الزبيدي: «و في الحديث: مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من تخلف عنها زخخ به في النار. أى: دفع و رمى» (٥).

و سادساً: لقد ذكر كبار المحققين من علماء الحديث عند القوم، الشارحون للسنة الكريمة و الأقوال النبويه في معنى حديث السفينه، عباراتٍ فيها الاعتراف الصريح بدلالته على ما تذهب إليه الشيعة الإماميه، و لا بأس بذكر بعض تلك العبارات:

قال الطيبي بشرح الحديث عن أبي ذر الغفاري: «قوله: و هو آخذ باب الكعبه. أراد الراوى بهذا مزيد توكيدٍ لإثبات هذا، و كذا أبو ذر اهتم بشأن روايته، فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسكوا به. و في روايه له بقوله: من

ص: ١٣٤

١-١) السيف اليماني المسلول في عنق من يطعن في أصحاب الرسول: ٩.

٢-٢) النهايه ٢٩٨: ٢.

٣-٣) أى: في الحديث.

٤-٤) لسان العرب ٢٠: ٣.

٥-٥) تاج العروس من جواهر القاموس ٢٧٣: ٤.

عرفنى فأنا من قد عرفنى، و من أنكرنى فأنا أبو ذرّ، سمعت النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم يقول: ألا: إنّ مثل أهل بيتى... الحديث. أراد بقوله: فأنا أبو ذرّ، المشهور بصدق اللهجه و ثقته الروايه، و أنه هذا حديث صحيح لا مجال للردّ فيه.

و هذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم يقول: ما أظلت الخضراء، و لا- أقلت الغبراء، أصدق من أبى ذرّ. و في روايه أبى ذرّ: من ذى لهجه أصدق و لا- أوفى من أبى ذرّ شبه عيسى بن مريم، فقال عمر بن الخطّاب- كالحاسد!-: يا رسول الله أفتعرف ذلك؟! قال: ذلك فاعرفوه. أخرجه الترمذى و حسّنه الصغاني فى كشف الحجاب.

شبه الدنيا بما فيها من الكفر و الضلالات، و البدع و الأهواء الزائغه، ببحرٍ لَجِيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، و قد أحاط بأكنافه و أطرافه الأرض كلّها، و ليس فيه خلاص و مناص إلّا تلك السفينه، و هى: محبّه أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم «(١)».

و قال القارى بمثل كلمات الطيبي و استشهد بها (٢).

و قال السهمودى: «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم: مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح فى قومه. الحديث. وجهه: إنّ النجاه ثبت لأهل السفينه من قوم نوح عليه السلام... و محصّيه: الحثّ على التعلّق بحبلهم و حبّهم و إعظامهم شكراً لنعمة مشرفهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم، و الأخذ بهدى علمائهم و محاسن

ص: ١٣٥

١-١) الكاشف (شرح المشكاه) ٣١٦/١١.

٢-٢) مرقاه المفاتيح ٥: ٦١٠.

أخلاقهم و شيمهم. فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفه، و أدى شكر النعمه الوارفه، و من تخلف عنه غرق في بحار الكفران و تيار الطغيان، فاستوجب النيران» (١).

و قال المآوى [إن مثل أهل بيتى] فاطمه و على و ابنيهما، و بينهما أهل العدل و الديانه [فيكم مثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها هلك] وجه التشبيه: أن النجاه ثبت لأهل السفينه من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه [و آله] و سلم لأُمَّته بالتمسك بأهل بيته النجاه، و جعلهم وصله إليها.

و محصوله: الحث على التعلق بحبهم و حبهم و إعظامهم شكراً لنعمه مشرفهم، و الأخذ بهدى علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفه، و أدى شكر النعمه المترادفه. و من تخلف عنه غرق في بحار الكفران و تيار الطغيان، فاستحق النيران، لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدّه أخبار، كيف و هم أبناء أئمه الهدى و مصايح الدجى، الذين احتج الله بهم على عباده، و هم فروع الشجره المباركه و بقايا الصفوه، الذين أذهب عنهم الرجس و طهرهم، و برأهم من الآفات، و افترض مودتهم في كثير من الآيات، و هم العروه الوثقى، و معدن التقى.

و اعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم، إذ لا يحث على التمسك بغيرهم و هم الذين لا يفارقون الكتاب و السنّه حتى يردوا معه على الحوض» (٢).

ص: ١٣٦

١-١) جواهر العقدين ق ٢ ج ١: ١٢٦.

٢-٢) فيض القدير- شرح الجامع الصغير ٥١٩: ٢.

و قال ابن حجر المكي مثل ذلك، و قد أورد السيد -رحمه الله- عبارته في المتن (١).

قيل:

«رواه الحاكم في المستدرک ٣:١٥١ عن أبي ذرّو في سنده: مفضّل بن صالح، و هو منكر الحديث كما قال البخاري و غيره. و ضَعَفَه المَنَّاوِي في فتح القدير (٢). و قال ابن عدّي: أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن عليّ، و سائرُه أرجو أن يكون مستقيماً. و قال الذهبي في الميزان: و حديث سفينه نوح أنكر و أنكر (٣).

و من رواته أيضاً: سويد بن سعيد، قال البخاري: هو منكر الحديث و يحيى ابن معين كذّبه و سبّه. قال أبو داود: و سمعت يحيى يقول: هو حلال الدم. و قال الحاكم: و يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال: لو كان لي فرس و رمح غزوت سويداً (٤).

و أمّا حنش، فقد وثّقه أبو داود، و قال أبو حاتم: صالح، لا أراهم يحتجون به، و قال النسائي: ليس بالقويّ، و قال البخاري: يتكلمون في حديثه، و قال ابن حبان: لا يحتجّ به، ينفرد عن عليّ بأشياء، و لا يشبه حديثه حديث الثقات.

ص: ١٣٧

١-١) المراجعات: ١٨. عن الصواعق المحرقة: ٢٣٤.

٢-٢) كذا. و الصحيح: فيض القدير.

٣-٣) ميزان الاعتدال ١٦٧: ٤.

٤-٤) ميزان الاعتدال ٢٤٨: ٢-٢٥٠.

و روى الحديث من طريق أخرى فيها ضعيفان (١):

الحسن بن أبى جعفر الجفرى. و على بن زيد بن جدعان.

أمّا الحسن بن أبى جعفر، فقد قال فيه الفلاس: صدوق منكر الحديث.

و قال ابن المدينى: ضعيف ضعيف، و ضعفه أحمد و النسائى، و قال البخارى:

منكر الحديث، و قال مسلم بن إبراهيم - و هو تلميذه - : كان من خيار الناس رحمه الله، و قال يحيى بن معين: ليس بشىء.

ثم ذكر له الذهبى أحاديث منكره فيها هذا الحديث، ثم قال: قال ابن عدى: هو عندى ممن لا يتعمد الكذب. و قال ابن حبان: كان الجفرى من المتعبدين المجابين الدعوه، و لكنه ممن غفل عن صناعه الحديث فلا يحتج به (٢). [الميزان].

و أمّا على بن زيد بن جدعان، فقال الذهبى: اختلفوا فيه. ثم ذكر من وثقه ثم قال: و قال شعبه: حدّثنا على بن زيد (و كان رفاعاً، أى: كان يخطئ فيرفع الحديث الموقوف) و قال مرّة: حدّثنا على قبل أن يختلط، و كان ابن عيينه يضعفه، و قال حماد بن زيد: أخبرنا ابن زيد و كان يقبل الأحاديث.

و قال الفلاس: كان يحيى القطان يتقى الحديث عن على بن زيد.

و روى عن يزيد بن زريع قال: كان على بن زيد رافضياً.

و قال أحمد العجلي: كان يتشيع و ليس بالقوى.

و قال البخارى و أبو حاتم: لا يحتج به (٣).

ص: ١٣٨

١-١) ميزان الاعتدال ١:٦١٩.

١-٢) ميزان الاعتدال ١:٢٨٤.

١-٣) ميزان الاعتدال ٣:١٢٧-٣:١٢٨.

فهل -يا ترى- يصلح مثل هذا الحديث الهالك أن يأخذ بالأعناق؟!»

أقول:

أولاً: إنه يكفي لاستدلال الشيعة بهذا الحديث كونه مخترجاً في كتب أهل السُّنَّة، من السنن و المسانيد و المجاميع الحديثية الشهيرة، و بطرق متكثره، عن عدّه من صحابه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فهو -كما قال الشيخ الكافي المالكي-: «حديث مشهور متفق على نقله» و «نقله الفريقان و صححه القبيلان» و «لا يمكن لطاعن أن يطعن عليه».

و ثانياً: إنه يكفي للاحتجاج تصحيح الحاكم و عدّه من مشاهير الأئمة و قول آخرين: حديث مروى بطرقٍ عديده يقوى بعضها بعضاً.

و ثالثاً: ظاهر كلام الرجل انحصار طرق هذا الحديث بما ذكره و خدش فيه. و الحال أنّ طرقه كثيره جداً كما اعترف بذلك غير واحدٍ منهم.

و رابعاً: إنه قد ورد بطرقٍ ليس فيها أحد من الرواه الذين حاول تضعيفهم..

و من ذلك:

روايه البزار في (مسنده) عن عبد الله بن الزبير (١).

و روايه الخطيب البغدادي في (تاريخه) عن أنس (٢).

و روايه الدولابي بالإسناد عن أبي الطفيل عامر بن واثله... (٣).

و روايه أبي عبد الله القضاعي الأندلسي، الشهير بابن الأبار، في (معجمه)

ص: ١٣٩

١-١) مختصر زوائد مسند البزار ٣٣٣/١٩٦٥:٢.

١٢-٢) تاريخ بغداد ٩١:١٢.

١٠٦-٣) الكنى و الأسماء ٧٦:١.

بالإسناد عن زاذان عن أبي ذرٍّ... (١).

و خامساً: إنّه يشهد بصحّحه حديث السفينه روايات أخرى:

كالذّي أخرجه ابن أبي شيبة عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«إنّما مثلنا في هذه الأمّة كسفينه نوح، و كباب حطّه في بني إسرائيل» (٢).

و الذّي رواه المتّقى الهندي عنه عليه السلام أنّه قال في كلام له: «و الله إنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل سفينه نوح في قوم نوح، و إنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل باب حطّه في بني إسرائيل» (٣).

و سادساً: لقد أخرج الحاكم هذا الحديث بطريقتين (٤):

أحدهما: «أخبرني ميمون بن إسحاق الهاشمي، ثنا أحمد بن عبد الجبّار، ثنا يونس بن بكير، ثنا المفصّل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذرٍّ يقول -و هو أخذ بباب الكعبه-: أيّها الناس، من عرفني فأنا من عرفتم، و من أنكرني فأنا أبو ذرٍّ، سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق.

و هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه» (٥).

ص: ١٤٠

١- (١) المعجم- لابن الأبار:- ٨٧-٨٩.

٢- (٢) الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ١٢: ١٢١٦٤/٧٧. و عنه الدر المنثور ١: ١٧٤.

٣- (٣) كنز العمال ٢: ٤٤٢٩/٤٣٥.

٤- (٤) و يلاحظ أنّه يصحّح أحدهما على شرط مسلم، و يسكت عن الآخر، و هذا ممّا يدلّ على دقّه الحاكم و تثبته في الحديث، و أنّه لم يكن متساهلاً في كتابه- كما يدّعي بعض القوم-.

٥- (٥) المستدرک على الصحيحين ٢: ٣٤٣.

و الثاني: «أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان الزاهد ببغداد، حدّثنا العيّاس بن إبراهيم القراطيسي، ثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا مفضل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذرّ - وهو آخذ باب الكعبة - من عرفني فأنا من عرفني، و من أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينه نوح في قومه، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق، و مثل حطّه ليني إسرائيل» (١).

و الحافظ الذهبي - و هو من أتباع ابن تيمّيه و إمام أتباعه - لم يחדش في السندين إلّا من جهه «المفضل بن صالح». فقد جاء في «تلخيص المستدرک» في آخر الحديث الأوّل:

«م. قلت: مفضل خرّج له الترمذی فقط. ضعّفوه» (٢).

و في آخر الحديث الثاني:

«صحيح. قلت: مفضل واه» (٣).

لكنّ صاحبنا أضاف التكلّم في «حنش الكناني» التابعي المشهور، و كأنّه أشدّ تعصّباً من الذهبي !!

و سابقاً: إنّ المفضل بن صالح - الذي ضعّفه الذهبي - من رجال الترمذی كما اعترف...

و هو على شرط مسلم كما نصّ عليه الحاكم و اعترف الذهبي به أيضاً.

و الذي أوجب التكلّم فيه منهم ما ذكره الترمذی بقوله: «ليس عند أهل

ص: ١٤١

١- ١) المستدرک علی الصحيحین ١٥١:٣.

٢- ٢) تلخیص المستدرک - المطبوع بذیل المستدرک - ٣٤٣:٢.

٣- ٣) تلخیص المستدرک - المطبوع بذیل المستدرک - ١٥١:٣.

الحديث بذاك الحافظ» فهم غير قادحين في ثقته، ولا في حفظه، إلا أنه ليس بذاك الحافظ !

و ظاهر كلماتهم أنّ ذنب الرجل روايه فضائل أهل البيت:

قال ابن عدى- بعد أن أورد له أحاديث-: «أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن عليّ، و سائرته أرجو أن يكون مستقيماً».

فابن عدى يوثق الرجل، و إنما ينكر بعض أحاديثه، و قد جعل أنكرها حديث الحسن. قال ابن حجر: «يعنى: أتاني جابر فقال: اكشف لي عن بطنك».

الحديث! (١).

إذن، فالرجل لا مجال للقدح فيه و لا في رواياته، و ما ذكره الذهبي ليس إلّا تعصّباً، و هو مشهور بالتعصّب كما عرفت سابقاً.

و ثامناً: قوله: «و روى الحديث من طريق أخرى فيها ضعيفان: الحسن ابن أبي جعفر الجفري، و عليّ بن زيد بن جدعان» فيه:

إنّ «الحسن بن أبي جعفر الجفري» يروى هذا الحديث عن «عليّ بن زيد» كما عند المحدّث الفقيه ابن المغازلي الشافعي، حيث رواه بإسناده عن «الحسن بن أبي جعفر، ثنا عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي ذرّ...» (٢).

لكن قال الحافظ الهيثمي صاحب مجمع الزوائد:

«عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: مثل أهل

ص: ١٤٢

١- ١) تهذيب التهذيب ٢٤٣: ١٠.

٢- ٢) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١٣٤/١٧٧.

بيتي كمثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها غرق، و من قاتلنا في آخر الزمان كمن قاتل مع الدجال. رواه البزار و الطبراني في الثلاثه. و في إسناد البزار: الحسن بن أبي جعفر الجفري. و في إسناد الطبراني: عبد الله بن داهر.

و هما متروكان» (١).

فيظهر أنّ الطريق التي فيها «الحسن» لا يوجد فيه «عليّ بن زيد بن جدعان» أو يوجد و لا كلام فيه.

و مثله الحديث الآخر قال الهيثمي:

«و عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم: مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها غرق. رواه البزار و الطبراني. و فيه: الحسن بن أبي جعفر. و هو متروك» (٢).

و ذكر الحافظ الهيثمي الحديث بسند آخر، ليس فيه واحد من الرجلين المذكورين. قال:

«و عن عبد الله بن الزبير: إنّ النبي صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم قال: مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من ركبها سلم، و من تركها غرق. رواه البزار. و فيه: ابن لهيعة، و هو لين» (٣).

و تاسعاً: لنا أن نحتج بكلّ من:

الحسن بن أبي جعفر الجفري.

و عليّ بن زيد بن جدعان.

* أمّا «الحسن» فقد روى عنه: أبو داود الطيالسي، و ابن مهدي، و يزيد

ص: ١٤٣

١-١) مجمع الزوائد ١٦٨: ٩.

٢-٢) مجمع الزوائد ١٦٨: ٩.

٣-٣) مجمع الزوائد ١٦٨: ٩.

ابن زريع، و عثمان بن مطر، و مسلم بن إبراهيم، و جماعه آخرين من مشاهير الرواه الأئمه، و روايتهم عنه تدلّ على جلالته بالإضافة إلى:

أنّ مسلم بن إبراهيم قال: كان من خيار الناس.

و قال عمرو بن عليّ: صدوق: منكر الحديث.

و قال أبو بكر بن أبي الأسود: ترك ابن مهدي حديثه ثمّ حدّث عنه و قال:

ما كان لي حجّه عند ربّي.

و قال ابن عدى: و الحسن بن أبي جعفر أحاديثه صالحه، و هو يروى الغرائب و خاصّه عن محمّد بن جحاده، له عنه نسخه يرويها المنذر بن الوليد الجارودي عن أبيه عنه. و له عن محمّد بن جحاده غير ما ذكرت أحاديث مستقيمه صالحه، و هو عندي ممّن لا يتعمّد الكذب، و هو صدوق.

□
و قال ابن حبان: من خيار عباد الله الخشن، ضعّفه يحيى و تركه أحمد، و كان من المتعيدين المجابين الدعوه، و لكنّه ممّن غفل عن صناعه الحديث و حفظه، فإذا حدّث وهم و قلب الأسانيد و هو لا يعلم، حتّى صار ممّن لا يحتجّ به، و إن كان فاضلاً (1).

هذه هي الكلمات التي اوردها الحافظ ابن حجر بترجمته، في مقابله كلمات الجراح.

فنعول:

١- الرجل من رجال الترمذى و ابن ماجه.

ص: ١٤٤

(١ - ١) تهذيب التهذيب ٢: ٢٢٧.

٢- روى عنه كبار الأئمة.

٣- شهد بعدالته: مسلم بن إبراهيم فقال: كان من خيار الناس.

فقال المعترض: «و هو تلميذه».

قلت: كأنه يريد إسقاط هذه الشهادة لكون الشاهد تلميذاً، و كأنَّ الرجل لا يدري أنَّ هذا المورد ليس من موارد عدم قبول الشهادة، بل الأمر بالعكس، إذ المفروض عداله الشاهد، فإذا كان تلميذاً كان أكثر معرفةً بحال المشهود له من غيره.

٤- شهد بعدالته: عمرو بن عليّ الفلاس إذ قال: صدوق. و سيأتي الكلام على قوله بعد ذلك: «منكر الحديث».

٥- شهد بعدالته: ابن عدى.

٦- قال ابن حبان: من خيار عباد الله الخُشن، و كان من المتعبدين المجابين الدعوه، و لكنّه ممّن غفل عن صناعه الحديث و حفظه، فإذا حدّث وهم و قلب الأسانيد و هو لا يعلم، حتّى صار ممّن لا يحتجّ به و إن كان فاضلاً.

أقول: هذه عباره ابن حبان.. فقارن بينها و بين ما أورده المعترض:

«و قال ابن حبان: كان الجفرى من المتعبدين المجابين الدعوه و لكنّه ممّن غفل عن صناعه الحديث، فلا يحتجّ به».

و لاحظ! ممّن هذا التحريف و التصرّف؟!

يقول ابن حبان- بعد الشهاده بكون «الحسن» من خيار عباد الله الخُشن و أنّه كان من المتعبدين المجابين الدعوه-: و لكنّه ممّن غفل عن صناعه الحديث و حفظه، فإذا حدّث وهم قلب الأسانيد و هو لا يعلم حتّى صار ممّن لا يحتجّ به و إن كان فاضلاً.

ص: ١٤٥

فغايه ما كان «الحسن» أنه: «إذا حدّث وهم و قلب الأسانيد» لكن «و هو لا يعلم» أى: فهو- كما قال ابن عدى: «ممن لا يتعمد الكذب، و هو صدوق».

و لذا قال عنه الفلاس (١)- بعد أن قال: «صدوق»-: «منكر الحديث».

فظهر:

أولاً: لم ينقل المعترض كلمات التعديل و الثناء.

و ثانياً: قد حرّف بعض الكلمات فى حقّ الرجل.

و ثالثاً: قد ظلم الرجل اذ لم يتحقّق كلمات الجرح، و أنّها إنّما ترجع إلى وهم الرجل فى روايته عن غفله، و أمّا هو فى ذاته فصدوق جليل من خيار عباد الله الخشن.

* و أمّا «علّى بن زيد» فقد أخرج عنه: البخارى فى «الأدب المفرد»، و مسلم و الترمذى و النسائى و أبو داود و ابن ماجه، كما ذكر ابن حجر (٢)، و هؤلاء أرباب الصحاح الستّه عندهم.

و ذكر ابن حجر كلمات عدّه من الأئمّه فى وثاقته و صدقه و الثناء عليه...

و نحن لا نحتاج إلى الإطناب فى ترجمته لأمرين:

الأول: كونه من رجال مسلم و الأربعة و البخارى فى «الأدب المفرد»، و هذا فوق المطلوب.

و الثانى: إنّ السبب الأصلى لجرح من جرحه هو التشيع! فلاحظ

ص: ١٤٦

١- ١) و لا- يخفى أن «عمرو بن علّى الفلاس» هو نفسه من رواه حديث السفينه، عن طريق «الحسن بن أبى جعفر الجفرى»، أخرج عنه أبو بكر البزار فى مسنده، و هذا ممّا يشهد بما ذكرناه.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٢٨٣: ٧.

عباراتهم في «تهذيب التهذيب» و نكتفي بإيراد واحده منها:

«وقال يزيد بن زريع: رأيتُه و لم أحمل عنه لأنه كان رافضياً».

و قد جعلوا أنكر ما روى: ما حدّث به حمّاد بن سلمه، عنه، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، رفعه: إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه. قاله ابن حجر.

قلت: فإذا كان هذا الأمر -الحقّ الذي وافقه في روايته كثيرون، و هو من الأحاديث الصادره قطعاً- هو أنكر ما روى عنه، فاعرف حال بقيه أحاديثه !

و عاشراً: لنا أن نحتجّ بكلّ من:

□
عبد الله بن داهر.

و ابن لهيعة.

□
* أمّا عبد الله بن داهر فذنبه عند القوم أنّه: «رافضى خبيث» و أنّ «عامّه ما يرويه في فضائل عليّ و هو متّهم في ذلك».

و قد أورد في «الميزان» و «لسان الميزان» أحاديث عنه في فضل عليّ و أهل البيت عليهم السلام، منها ما رواه بإسناده عن ابن عباس:

«ستكون فتنه فمن أدركها فعليه بالقرآن و عليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم -و هو آخذ بيد عليّ يقول-: هذا أول من آمن بى، و أول من يصفحنى، و هو فاروق الأمه، و هو يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب الظلمه، و هو الصديق الأكبر، و هو خليفتى من بعدى» (١).

ص: ١٤٧

* و أمّا «ابن لهيعة» فقد روى عنه كبار الأئمة من المتقدمين، كالثوري، و شعبه، و الأوزاعي، و الليث بن سعد، و ابن المبارك.

و هو من رجال: مسلم و أبي داود و الترمذى و ابن ماجه.

قال أبو داود عن أحمد: و من كان مثل ابن لهيعة بمصر فى كثره حديثه و ضبطه و إتقانه؟!!

و عن الثوري: عند ابن لهيعة الأصول و عندنا الفروع، و حججت حججاً لألقى ابن لهيعة.

و قال أبو الطاهر بن السرح: سمعت ابن وهب يقول: حدثنى -و الله- الصادق البارّ عبد الله بن لهيعة.

و قال يعقوب بن سفيان: سمعت أحمد بن صالح -و كان من خيار المتقين- يثنى عليه.

و عنه أيضاً: ابن لهيعة صحيح الكتاب...

و عن ابن معين: قد كتبت حديث ابن لهيعة، و ما زال ابن وهب يكتب عنه حتى مات.

و قال الحاكم: استشهد به مسلم فى موضعين.

و قال ابن شاهين: قال أحمد بن صالح: ابن لهيعة ثقة، و ما روى عنه من الأحاديث فيها تخليط يطرح ذلك التخليط.

و قال مسعود عن الحاكم: لم يقصد الكذب، و إنّما حدّث من حفظه بعد احتراق كتبه فأخطأ.

و قال ابن عدى: حديثه كأنه نسيان، و هو ممّن يكتب حديثه (1).

ص: ١٤٨

١ - ١) تهذيب التهذيب ٣: ٣٢٧-٥، ٣٣١، الكامل فى ضعفاء الرجال ٥: ٢٥٣، و فيه: «و حديثه حسن كأنه يستبان عمّن روى عنه، و هو ممّن يكتب حديثه».

أقول: ألا يكفي هذا للإحتجاج بما رواه؟!

بقي الكلام:

في: «حنش الكنانى» و«سويد بن سعيد».

□
*أمياً «حنش» فقد عرفت أنه من التابعين من المشاهير، وقد دأب القوم على تعديل التابعين أخذاً بما يروونه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث: خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم... بل ذكره ابن منده و أبو نعيم فى الصحابه كما ذكر ابن حجر.

و أورد ابن حجر كلمات التوثيق له عن أبى داود و العجلى و غيرهما.

و قد أخذ عليه أنه كان ينفرد عن علىّ بأشياء لا تشبه حديث الثقات !! حتى صار ممن لا يحتج بحديثه !! (١).

*و أمأ «سويد بن سعيد» فهو من رجال صحيح مسلم و صحيح ابن ماجه.

قال ابن حجر:

□
«و عنه: مسلم، و ابن ماجه، و أبو زرعه، و أبو حاتم، و يعقوب بن شيبه و عبد الله بن أحمد، و مطين، و بقى بن مخلد، و أبو الأزهر...».

□
قال ابن حجر: «قال عبد الله بن أحمد: عرضت على أبى أحاديث سويد عن ضمّام بن إسماعيل فقال لى: اكتبها كلّها فإنّه صالح. أو قال: ثقّه. و قال الميمونى عن أحمد: ما علمت إلّا خيراً. و قال البغوى: كان من الحفاظ، و كان أحمد ينتقى عليه لولديه فيسمعان منه. و قال أبو داود عن أحمد: أرجو أن يكون

ص: ١٤٩

صدوقاً. وقال: لا بأس به. وقال أبو حاتم: كان صدوقاً و كان يدلس و يكثر. وقال البخاري: كان قد عمى فيلقن ما ليس من حديثه. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق مضطرب الحفظ و لا سيما بعد ما عمى. وقال صالح بن محمد: صدوق إلا أنه كان عمى فكان يلقن أحاديث ليست من حديثه...» (١).

وقال الذهبي: «الحافظ الرخّال المعمر، حدّث عن مالك بالموطأ و عنه م، ق، و مطّين، و ابن ناجيه، و عبد الله بن أحمد، و الباغندي، و البغوي، و خلق كثير.

قال البغوي: كان من الحفاظ، كان احمد بن حنبل ينتقى عليه لولديه.

و قال أبو حاتم: صدوق كثير التدليس. و قال أبو زرعه: أمّا كتبه فصحيح، و أمّا إذا حدّث من حفظه فلا» (٢).

و قال ابن حجر: «صدوق في نفسه، إلا أنه عمى فصار يلقن ما ليس من حديثه. و أفحش فيه ابن معين القول» (٣).

أقول: تلخص:

١- هو من رجال مسلم و ابن ماجه، و من مشايخ كثير من الأئمة.

٢- هو «صدوق» عند أحمد و جماعه من أئمة الجرح و التعديل.

٣- عمده ما انتقد عليه أنه لما عمى لقن ما ليس من حديثه.

٤- أفحش القول فيه يحيى بن معين... فقله مردود عند الأئمة.

و اعلم أنّ هذا المعترض ذكر العبارة التاليه:

«و قال الحاكم: و يقال إنّ يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال: لو كان لي

ص: ١٥٠

١- ١) تهذيب التهذيب ٢٣٩: ٤- ٢٤٠.

٢- ٢) تذكره الحفاظ ٢: ٤٥٤.

٣- ٣) تقريب التهذيب ٥٩٦/٣٤٠: ١.

فرس و رمح غزوت سويداً.

لكن ما هو المراد من «هذا الحديث»؟! حديث السفينه؟!

لا، بل حديث آخر... لكن الرجل دلس و حرّف !!

قال ابن حجر: «وقال ابن حبان: كان أتى عن الثقات بالمعضلات: روى عن أبي مسهر -يعنى عن أبي يحيى القتات- عن مجاهد، عن ابن عباس، رفعه:

من عشق و كتم و عفّ و مات، مات شهيداً. قال: و من روى مثل هذا الخبر عن أبي مسهر تجب مجانبه رواياته. هذا إلى ما لا يحصى من الآثار و تلك الأخبار.

و قال فيه يحيى بن معين: لو كان لى فرس و رمح لكنت أغزوه. قاله لما روى سويد هذا الحديث.

و كذا قال الحاكم أنّ ابن معين قال هذا فى هذا الحديث» (1).

أقول:

هكذا يريدون الردّ على كتبنا، فاعرفوهم أيها المنصفون! و احذروهم أيها المسلمون !!

□
*قال السيّد رحمه الله:

□
«وقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتى أمانٌ لأمتى من الاختلاف (فى الدين) فإذا خالفتها قبيله من العرب

ص: ١٥١

(١-١) تهذيب التهذيب ٤:٢٤١.

(يعنى: فى أحكام الله عزّ و جلّ) اختلفوا فصاروا حزب إبليس» (١).

قال فى الهامش: «أخرجه الحاكم فى ص ١٤٩ من الجزء الثالث من المستدرک عن ابن عباس.

ثمّ قال: هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه».

قيل:

«رواه الحاكم ١٤٩/٣ و فى سنده ابن أركون، قال الذهبى: ضعّفوه. و كذا خلیل ضعّفه أحمد و غيره. و هو حديث موضوع كما ذكر الذهبى».

أقول:

قال الحاكم: «حدّثنا مكرم بن أحمد القاضى، ثنا أحمد بن علىّ الأبار، ثنا إسحاق بن سعيد بن أركون الدمشقى، ثنا خلیل بن دعلج أبو عمرو السدوسى، أظنّه عن قتاده، عن عطاء، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال:

قال رسول الله... هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه».

و قد رواه عن الحاكم أعيان علماء الحديث المتأخّرين عنه و ارتضوا تصحيحه، و منهم:

الحافظ السيوطى، فى: الخصائص الكبرى ٢:٢٦٦، و إحياء الميت بفضائل أهل البيت: ٥٢، الحديث ٣٥.

ص: ١٥٢

(١ - ١) المراجعات: ١٧.

و الحافظ السمهودى، فى: جواهر العقدين ق ٢ ج ١٢٠:١.

و الشبراوى، فى: الإتحاف بحبّ الاشراف: ٢٠.

و الحمزاوى، فى مشارق الأنوار: ٨٦.

و الصّبّان، فى: إسعاف الراغبين - هامش نور الأبصار: ١٤١.

فنحن نستدلّ بروايه هؤلاء...

أمّا الذهبى فقد عرفنا حاله و طريقته، و لا يعتدّ بكلامه إلّا من كان على شاكلته...

ثمّ إنّ لهذا الحديث الشريف مؤيّدات كثيره... كقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتى أمان لأمتى». أخرجه: ابن أبى شيبه، و مسدّد، و الحكيم الترمذى، و أبو يعلى، و الطبرانى، و ابن عساكر. و عنهم المتّقى الهندى (١).

و لهذا نجدهم يعقدون فى كتبهم أبواباً بهذا العنوان:

قال الحافظ محبّ الدين الطبرى: «ذكر أنّهم أمان لأئمّه محمّد صلّى الله عليه [و آله] و سلّم...» (٢).

و قال الحافظ السخاوى: «باب الأمان ببقائهم و النجاه فى اقتنائهم...» (٣).

و قال الحافظ السمهودى: «الذكر الخامس: ذكر أنّهم أمان الأئمّه، و أنّهم كسفينه نوح...» (٤).

ص: ١٥٣

١-١ (١) كنز العمّال ١٠١/٣٤١٨٨:١٢.

٢-٢ (٢) ذخائر العقبي: ٤٩.

٣-٣ (٣) استجلاب ارتقاء الغرف ٢:٤٧٧.

٤-٤ (٤) جواهر العقدين - ق ٢ ج ١١٩:١.

❑
*قال السيد رحمه الله تعالى عليه

مجبياً على طلب المزيد من النصوص النبويّة:

❑ ❑
۱ (۱)-أخرج الطبرانی فی الكبير، و الرافعی فی مسنده، بالإسناد إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «من سرّه ان يحيى حياتى، و يموت مماتى، و يسكن جنّه عدنٍ غرسها ربّى، فليوال عليّاً من بعدى، و ليوال وليه، و ليقصد بأهل بيتى من بعدى، فإنّهم عترتى، خلّقوا من طينتى، و رزقوا فهمى و علمى، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى».

قال فى الهامش: «هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث ۳۴۱۹۸ من أحاديث الكنز، فى ص ۱۰۳ من جزئه ۱۲. و قد اورده فى منتخب الكنز أيضاً، فراجع من المنتخب ما هو فى أوائل هامش ص ۹۴ من الجزء ۵ من مسند أحمد، غير أنّه قال: «و رزقوا فهمى» و لم يقل: «و علمى» و لعلّه غلط من الناسخ.

و أخرجه الحافظ أبو نعيم فى حليته، و نقله عنه علامه المعتزله فى ص ۱۷۰ من المجلد التاسع من شرح النهج طبع مصر، و نقل نحوه فى ص ۱۶۸ عن أبى عبد الله أحمد بن حنبل فى كلّ من مسنده و كتاب مناقب عليّ بن ابى طالب».

ص: ۱۵۴

٢- وأخرج مطين، والباوردي، وابن جرير، وابن شاهين، وابن منده، من طريق أبي إسحاق، عن زياد بن مطرف، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربّي - وهي الجنة الخلد - فليتولّ علياً وذرّيته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هديّ، ولن يدخلوكم باب ضلاله».

قال في الهامش: «وهذا الحديث هو الحديث ٣٢٩٦٠ من أحاديث الكنز في ص ٦١١ من جزئه ١١، وأورده في المنتخب أيضاً، فراجع من المنتخب ما هو في السطر الأخير من هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من مسند أحمد. وأورده ابن حجر العسقلاني مختصراً في ترجمه زياد بن مطرف، في القسم الأول من إصابته، ثم قال: قلت: في إسناده (يحيى بن يعلى المحاربي) وهو واهي.

أقول: هذا غريب من مثل العسقلاني، فإنّ (يحيى بن يعلى المحاربي) ثقة بالاتفاق، وقد أخرج له البخاري في عمره الحدييي من صحيحه، وأخرج له مسلم في الحدود من صحيحه أيضاً، سمع أباه عند البخاري، وسمع عند مسلم غيلان بن جامع، وأرسل الذهبي في الميزان توثيقه إرسال المسلمات، وعدّه الإمام القيسراني وغيره ممّن احتجّ بهم الشيخان وغيرهما».

٣- ومثله حديث زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّه الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هديّ، ولن يدخلكم في ضلاله».

قال في الهامش: «أخرجه الحاكم في آخر ص ١٢٨ من الجزء ٣ من صحيحه المستدرک، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه

الطبرانى فى الكبير، و أبو نعيم فى فضائل الصحابه، و هو الحديث ٣٢٩٥٩ من أحاديث الكنز فى ص ٦١١ من جزئه ١١، و أورده فى منتخب الكنز أيضاً، فراجع هامش ص ٣٢ من الجزء ٥ من المسند».

٤- و كذلك حديث عمّار بن ياسر، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: أوصى من آمن بى وَ صدّقنى بولايه على بن أبى طالب، فمن تولاه فقد تولانى، و من تولانى فقد تولّى الله، و من أحبّه فقد أحبّنى، و من أحبّنى فقد أحبّ الله، و من أبغضه فقد أبغضنى، و من أبغضنى فقد أبغض الله عزّ و جلّ».

قال فى الهامش: «أخرجه الطبرانى فى الكبير، و ابن عساكر فى تاريخه و هو الحديث ٣٢٩٥٣ من أحاديث الكنز، فى ص ٦١٠ من جزئه ١١».

٥- و عن عمّار أيضاً، مرفوعاً: «اللهم من آمن بى و صدّقنى، فليتولّ على ابن أبى طالب، فإنّ ولايته ولايتى، و ولايتى ولايه الله تعالى».

قال فى الهامش: «أخرجه الطبرانى فى الكبير عن محمّد بن أبى عبيده ابن محمّد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه، عن عمّار؛ و هو الحديث ٣٢٩٥٨ من أحاديث الكنز ص ٦١١ من جزئه ١١، و أورده فى المنتخب أيضاً» (١).

تحقيق أسانيد هذه الأحاديث

أقول: و لا بدّ من تحقيق أسانيد هذه الأحاديث، و النظر فيما قيل فى ذلك من السابقين و اللاحقين، فنقول و بالله نستعين:

* أمّا الحديث الأوّل و هو الذى نقله السيّد عن «كنز العمال» عن الطبرانى

ص: ١٥٦

١- ١) المراجعات: ٢٠-٢١.

و الرافعى، فهذا سنده عند الرافعى:

«الحسن بن حمزه العلوى الرازى، أبو طاهر، قدم قزوين و حدّث بها عن سليمان بن أحمد، روى عنه: أبو مضر ربيعه بن على العجلى، فقال:

ثنا أبو طاهر الحسن بن حمزه العلوى -قدم علينا قزوين سنه ٣٤٤-، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا عمر بن حفص السدوسى، ثنا إسحاق بن بشر الكاهلى، ثنا يعقوب بن المغيرة الهاشمى، عن ابن أبى رواد، عن إسماعيل بن أمية، عن عكرمه، عن ابن عباس» (١).

و به يتبين سند الطبرانى، و هو سليمان بن أحمد.

قال السيّد فى الهامش: «و أخرجه الحافظ أبو نعيم فى حليته، و نقله عنه...».

أقول:

هذا نصّ عباره الحافظ أبو نعيم:

«حدّثنا فهد بن إبراهيم بن فهد، ثنا محمّد بن زكريّا الغلابى، ثنا بشر بن مهران، ثنا شريك، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: من سرّه أن يحيا حياتى، و يموت ميتتى، و يتمسك بالقصبه الياقوته التى خلقها الله بيده ثمّ قال لها: كوني فكانت، فليتولّ علىّ بن أبى طالب من بعدى.

ص: ١٥٧

(١-١) نفتح الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار ٣٣٤/٤ عن مسند الرافعى -مخطوط. التدوين فى اخبار قزوين ٢:٤٨٥.

رواه شريك أيضاً: عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

و رواه السدي عن زيد بن أرقم.

و رواه ابن عباس، و هو غريب.

حدّثنا محمّد بن المظفر، ثنا محمّد بن جعفر بن عبد الرحيم، ثنا أحمد بن محمّد بن يزيد بن سليم، ثنا عبد الرحمن بن عمران بن أبي ليلى - أخو محمّد بن عمران - ثنا يعقوب بن موسى الهاشمي، عن ابن أبي رواد، عن إسماعيل بن أمية، عن عكرمه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم: من سرّه أن يحيا حياتي...» (١).

فأبو نعيم أخرجه بعدّه طرقاً عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم من دون طعنٍ في شيء منها، كما سنرى.

و أخرجه الحافظان ابن عساكر و الكنجي من طريق أبي نعيم، ثمّ قال الأوّل: «هذا حديث منكر، و فيه غير واحدٍ من المجهولين» (٢).

و أيضاً: أخرجه ابن عساكر بإسنادٍ له عن زيد بن وهب، عن حذيفة، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم (٣).

و بإسناد آخر من طريق الحافظ الخطيب البغدادي، عن أبي الطفيل، عن سيدنا أبي ذرّ، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم (٤).

فهذا الحديث مروى عندهم عن جماعة من الأصحاب، و هم:

ص: ١٥٨

١-١ حليه الأولياء ١:٨٦.

٢-٢ تاريخ مدينة دمشق ٢٤٠:٤٢-١٤١، كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢١٤.

٣-٣ (٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٢:٤٢.

١-عبد الله بن عباس.

٢-أبو ذرّ الغفارى.

٣-حذيفه بن اليمان.

٤-زيد بن أرقم.

تحقيق السند:

أمّا طريقه عن أبى ذرّ و زيد بن أرقم، فلا نجد من هؤلاء الرواه عنهما طعنًا فى شىء من الأسانيد... ولو كان لأفصحوا به، كما وجدنا بالنسبه إلى حديث غيرهما:

فحديث ابن عباس...قال ابن عساكر بعد إخرجه من طريق أبى نعيم:

«هذا حديث منكر، وفيه غير واحدٍ من المجهولين» وقال أبو نعيم: «غريب».

و حديث حذيفه...و إن سكت عنه أبو نعيم و ابن عساكر...فقد طعن الذهبى فى سنده...

أمّا قول ابن عساكر: «فيه غير واحدٍ من المجهولين» فيردّه:

أولاً: سكوت الطبرانى و الرافعى و المتقى الراوى عنهما، مع طعنه فى بعض الأحاديث كما سيأتى.

و ثانياً: كلام أبى نعيم، إذ لم يقل إلّا: «غريب» و سيأتى بيان معناه.

و ثالثاً: إنّ الراوى عن «ابن أبى رواد» عند الطبرانى و الرافعى هو:

«يعقوب بن المغيرة الهاشمى» و عند أبى نعيم و ابن عساكر و الكنجى هو:

«يعقوب بن موسى الهاشمى»، و لا أستبعد أن تكون الجهالة على أثر اختلاف النسخ و الاشتباه فى اسم الراوى.

و أمّا قوله: «منكر» فلا يضّرّ باعتبار الحديث، لأن الحافظ النووي يقول في «معرفه المنكر»: «قال الحافظ البرديجي: هو الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير روايه، وكذا أطلقه كثيرون...» (١).

و أمّا قول أبي نعيم: «و هو غريب» فلا- يضّرّ كذلك، لأنّ «الغرابه» تجتمع مع «الصحة» السنديّه، و لذا نرى كثيراً ما يقولون: «غريب صحيح».

و قال الحافظ النووي: «الغريب و العزيز: إذا انفرد عن الزهري و شبهه ممّن يجمع حديثه رجل بحديثٍ سمّي: غريباً، فإن انفرد اثنان أو ثلاثة سمّي عزيزاً، فإن رواه جماعه سمّي: مشهوراً.

و يدخل في الغريب ما انفرد راو بروايته أو بزياده في متنه أو إسناده...

و ينقسم إلى صحيح و غيره و هو الغالب» (٢).

و أمّا طعن الذهبي في سند الحديث عن «حذيفه بن اليمان» فقد جاء بترجمه: «بشر بن مهران» إذ قال:

«بشر بن مهران الخصّاف، عن شريك. قال ابن أبي حاتم: ترك أبي حديثه.

و يقال: بشير.

قلت: قد روى عنه محمد بن زكريّا الغلابي- لكنّ الغلابي متّهم- قال:

حدّثنا شريك، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: من سرّه أن يحيا حياتي، و يموت ميتتي، و يتمسك بالقضيب الياقوت، فليتولّ عليّ بن أبي طالب من بعدى» (٣).

ص: ١٦٠

١-١) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ٢٧٦:١.

٢-٢) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ٦٣٢:٢.

٣-٣) ميزان الاعتدال ٣٢٥:١.

أقول:

أما ترك أبي حاتم حديث بشر فلا يعباً به، لقول الذهبي نفسه بترجمه أبي حاتم:

«إذا وثق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله، فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث. وإذا لئین رجلاً أو قال فيه: لا يحتج به، فلا، توقّف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد فلا- تبني على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنت في الرجال، قد قال في طائفه من رجال الصحاح: ليس بحجه، ليس بقوي، أو نحو ذلك» (١).

وقال بترجمه أبي زرعه الرازي: «يعجبنى كثيراً كلام أبي زرعه في الجرح والتعديل، يبين عليه الورع والخبره، بخلاف رفيقه أبي حاتم، فإنه جراح» (٢).

و أما اتّهامه «الغلابي» فمردود:

أولاً: بأنه قد تابعه غيره في هذا الحديث عن بشر، وهو: «أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل» في روايه ابن عساكر (٣).

و ثانياً: فإن كلمه «متهم» بحاجه إلى بيان، فلما ذا الإجمال؟!

أما في «تذكرة الحفاظ» (٤) و«سير أعلام النبلاء» (٥) فذكره فيمن توفي سنة ٢٩٠ و لم يزد على ذلك شيئاً.

ص: ١٦١

١-١) سير أعلام النبلاء-ترجمه أبي حاتم ١٣:٢٦٠.

٢-٢) سير أعلام النبلاء-ترجمه أبي زرعه ١٣:٨١.

٣-٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢:٢٤٢.

٤-٤) تذكرة الحفاظ ٢:٦٣٩.

٥-٥) سير أعلام النبلاء ١٣:٥٣٤.

و أمّيا في «العبر» فقد ترجم له بقوله: «و فيها: محمّد بن زكريّا الغلابي الأخباري، أبو جعفر، بالبصرة. روى عن: عبد الله بن رجاء الغداني، وطبقته. قال ابن حبان: يعتبر بحديثه إذا روى عن الثقات» انتهى (١).

□
أمّيا في «ميزان الاعتدال» فقد غلبه التعصّب فقال: «محمّد بن زكريّا الغلابي البصري الأخباري، أبو جعفر، عن: عبد الله بن رجاء الغداني، و أبي الوليد، و الطبقة. و عنه: أبو القاسم الطبراني و طائفه. و هو ضعيف. و قد ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) و قال: يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقه. و قال ابن منده:

تكلّم فيه. و قال الدارقطني: يضع الحديث.

الصولي، حدّثنا الغلابي: حدّثنا إبراهيم بن بشّار، عن سفيان، عن أبي الزبير، قال: كنّا عند جابر، فدخّل عليّ بن الحسين، فقال جابر: دخل الحسين فضمّه النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم إليه و قال: يولد لابني هذا ابن يقال له عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ؛ ليقيم سيّد العابدین، فيقوم هذا. و يولد له ولد يقال له: محمّد، إذا رأيتّه -يا جابر- فأقرأ عليه منّي السلام.

فهذا كذب من الغلابي...» (٢).

و الآن، عرف وجه الإتهام !!

لكنّ الأمر أكثر من ذلك، فإنّ الرجل أخباري مؤرّخ، و جلّ مؤلّفاته في أهل البيت عليهم السلام... بل الرجل من أصحابنا الإماميّة، قال الشيخ النجاشي:

□
«محمّد بن زكريّا بن دينار مولى بني غلاب، أبو عبد الله -و بنو غلاب قبيله بالبصرة من بني نصر بن معاويه، و قيل: إنّّه ليس بغير البصرة منهم أحد -

ص: ١٦٢

١-١) العبر في خبر من غير ٤١٨: ١.

٢-٢) ميزان الاعتدال ٥٥٠: ٣.

و كان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة، و كان أخبارياً واسع العلم، و صنّف كتباً كثيرة.

و قال لى أبو العباس بن نوح: إتنى أروى عن عشره رجالٍ عنه. له كتب منها: الجمل الكبير، و الجمل المختصر، و كتاب صفين الكبير، و كتاب صفين المختصر، مقتل الحسين عليه السلام، كتاب النهر، كتاب الأجواد، كتاب الوافدين، مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، أخبار زيد عليه السلام، أخبار فاطمه عليها السلام و منشأها و مولدها، كتاب الجبل.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن عليّ بن نوح، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ ابن يحيى بن جعفر السلمى الحدّاء، و أبو عليّ أحمد بن الحسين بن إسحاق بن شعبه الحافظ، و عبد الجبار بن شيران الساكن بنهر خطّى، فى آخرين، قالوا:

حدّثنا محمّد بن دينار الغلابى بجميع كتبه.

و مات محمّد بن زكريّا سنة ٢٩٨ (١).

إذن، لا بدّ أن يتّهمه الذهبى و أمثاله...!!

لكن لا يخفى أنّ هذا الجرح ساقط، لما قرّرنا فى مقدّمات البحث- و على ضوء كلمات أعلام القوم- من أنّ الجرح المستند إلى الاختلاف فى العقيدة غير مسموع، و أنّ التشيع ليس بضائر... مضافاً إلى ما ذكرناه فى التعريف بالذهبى و طريقته فى الجرح...

و على هذا كلّه، فإنّه يبقى توثيق ابن حبان للغلابى بلا معارض.

فالحديث معتبر، و يؤيّده كثره طرقه و سكوت أبى نعيم و ابن عساكر

ص: ١٦٣

و غيرهما عن الطعن فيه.

تنبيه:

الخبر المذكور-الذى لأجله كذب الذهبى الغلابى-تلقاه غير واحدٍ من الأعلام بالقبول، ممّن تقدّم على الذهبى أو تأخّر، فأخرجه ابن عساكر بإسناده عن ابى بكر محمّد بن يحيى الصولى، عن الغلابى، عن إبراهيم بن بشّار، عن سفيان بن عيينه، عن أبى الزبير (١)...

و عن ابن عساكر: الكنجى الشافعى، قال: «هذا حديث ذكره محدّث الشام فى مناقبه كما أخرجناه، و سنده معروف عند أهل النقل» (٢).

و أرسله ابن حجر المكى إرسال المسلم فقال: «و كفاه شرفاً أنّ ابن المدينى روى عن جابر...» (٣) فلو لم يكن الخبر صحيحاً عنده لما أرسله و لما جعله ممّا «كفاه شرفاً»!

و رواه كمال الدين محمّد بن طلحه، و هو من المتقدّمين على الذهبى (٤) و هو من الأئمة الفقهاء الأعلام، ترجم له الذهبى نفسه فى غير واحدٍ من كتبه و أثنى عليه، و كذلك غيره فى كثيرٍ من المصادر، لا سيّما الكتب المؤلّفه فى طبقات فقهاء الشافعية.

ص: ١٦٤

١-١) تاريخ مدينه دمشق ٥٤:٢٧٦.

٢-٢) كفايه الطالب: ٤٤٨.

٣-٣) الصواعق المحرقة: ٣٠٤.

٤-٤) مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول: ٢٨١.

أقول:

إنّ هذا الخبر إنّما هو فضيله من فضائل أئمّه أهل البيت عليهم السلام، و تكذيب الذهبى-برمى الغلابى بالكذب-جرى على عادته فى ردّ فضائلهم عليهم السلام حتّى نسب إلى النصب.

و لكنّى رأيت بعضهم يرّد خبر إبلاغ جابر الإمام الباقر السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم، لأنّ فرقة من الشيعة- اخترعها و سمّاها بالباقرية- استدلتّ به على أنّ الباقر عليه السلام هو «المهدى المنتظر» فقالت هذه الطائفة:

«ما أقرأه السلام إلّا و هو المنتظر المهدى» قال: «يقال لهم بعد صحّحه الخبر:

ينبغى أن يكون أويس القرنى مهدياً منتظراً، لأنّه صحّ...» (١).

ألا سائل يسأل الصفدى: من هذه الفرقة؟! و أين كانت؟! و من أسسها؟! و من أين نقلت هذا الاستدلال؟!...

ثمّ يقال له: إنّ فى ذيل الخبر-عند ابن عساكر-: «يا جابر، أعلم أنّ المهدى من ولده، و اعلم-يا جابر- أنّ بقاءك بعده قليل».

فلما ذا كلّ هذا السعى وراء ردّ فضيله من فضائل العتره حتّى بالافتراء و التزوير؟!!

و ثالثاً: أنا لو تنزّلنا عن جميع ما ذكر، و سلّمنا ضعف طريق حديث حذيفه، ففى الاحتجاج بحديث غيره كفايه، فقد رأينا أنّ ابن عساكر-الذى طعن فى حديث ابن عباس-لم يطعن فى حديث زيد بن أرقم، و حديث أبى ذرّ، كما لم يطعن فى حديث حذيفه.

ص: ١٦٥

(١-١) هو الصفدى، انظر: الوافى بالوفيات ١٠٢: ٤-١٠٣.

و رابعاً: لو سلّمنا ضعف أسانيد جميع هذه الأحاديث، فقد تقرّر عندهم أنّ هكذا حديث-حتّى لو كان كلّ طرقه ضعيفه-حجّه:

قال المتناوى-بعد الكلام على بعض الأخبار ردّاً على ابن تيمية-:«و هذه الأخبار و إن فرض ضعفها جميعاً، لكن لا ينكر تقوى الحديث الضعيف-بكثره طرقه و تعدّد مخرجه-إلّا جاهل بالصنّاعه الحديثيه أو معاند متعصّب، و الظنّ به أنّه من القبيل الثاني»
(١).

قلت:

بل هو اليقين في مثل ابن تيمية و الذهبي! بالنظر إلى ما أسلفنا باختصار من ذكر ترجمتهما و تصريح غير واحد من الأعلام بكونهما معاندين يتكلّمان بالتعصّب و الهوى.

*و قد قلدهما في الطعن في الأحاديث بهذه الطريقة بعض المعاصرين، ثمّ أصبح-بدوره-قدوه لبعض الناشئه من الكتاب...و هو الشيخ ناصر الدين الألباني، قال:

«٨٩٤-من سرّه أن يحيا حياتي...»

موضوع، أخرجه أبو نعيم ١:٨٦ من طريق...و قال:و هو غريب.

قلت:و هذا إسناد مظلم، كلّ من دون ابن أبي رواد مجهولون، لم أجد من ذكرهم، غير أنّه يترجح عندي أنّ أحمد بن محمّد بن يزيد بن سليم إنّما هو:

ابن مسلم الأنصاري الأذربلسي المعروف بابن أبي الحناجر، قال ابن أبي

ص: ١٦٦

حاتم ٢:١٤٤/٧٣ كتبنا عنه و هو صدوق، و له ترجمه فى تاريخ ابن عساكر ٥:٤٦٨.

□
و أما سائرهم فلم أعرفهم، فأحدهم هو الذى اختلق هذا الحديث الظاهر البطلان و التركيب. و فضل عليّ رضى الله عنه - أشهر من أن يستدلّ عليه بمثل هذه الموضوعات التى يتشبّه الشيعة بها، و يسوّدون كتبهم بالعشرات من أمثالها، مجادلين بها فى إثبات حقيقه لم يبق اليوم أحد يجحدها، و هى فضيله عليّ رضى الله عنه.

ثمّ الحديث عزاه فى الجامع الكبير ٥٣/٢ ١/٢ للرافعى أيضاً عن ابن عيّاس. ثمّ رأيت ابن عساكر أخرجّه فى تاريخ دمشق ٢/١٣٠/١٢ من طريق أبى نعيم ثمّ قال عقبه: هذا حديث منكر، و فيه غير واحدٍ من المجهولين.

□
قلت: و كيف لا يكون منكراً، و فيه مثل ذاك الدعاء: لا أنالهم الله شفاعتى، الذى لا يعهد مثله عن النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، و لا يتناسب مع خلقه صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و رأفته و رحمته بأتمته.

و هذا الحديث من الأحاديث التى أوردّها صاحب المراجعات، عبد الحسين الموسوى، نقلاً عن كنز العمّال ١١:٦١١ و ١٢:١٠٣، موهماً أنّه فى مسند الإمام أحمد، معرضاً عن تضعيف صاحب الكنز إياه تبعاً للسيوطى.

أقول:

هذه عبارته حول هذا الحديث، و هى قطعه من كلامٍ طويلٍ له، تعرّض فيه بالنقد لبعض الأحاديث التى احتجّ بها السيّد فى هذه المراجعة... و قد أورد

ص: ١٦٧

الدكتور السالوس كلام هذا الشيخ بطوله فى هامش كتبه حول حديث الثقلين (١).

و فيه مواقع للنظر.

أولها: فى حكمه بوضع هذا الحديث إستناداً إلى أن «كل من دون ابن أبى رواد مجهولون... فلم أعرفهم، فأحدهم هو الذى اختلق هذا الحديث» إذ إنه باطل و مردود بوجه:

١- إن الذى أخرج الحديث فى كتابه بواسطه مشايخه، و كان أقرب عهداً و أكثر معرفه برواته- و هو الحافظ أبو نعيم- لم يرم الحديث بالضعف فضلاً عن الوضع، بل غايه ما هنالك أنه قال: «و هو غريب».

و قد بينا المراد من «الغريب» فى اصطلاح علم الحديث، و الشيخ غير جاهل بذلك قطعاً.

٢- إنه قد نبه الحافظ ابن عساكر من قبل على أن: «فيه غير واحد من المجهولين» و لم يحكم على الحديث إلما بأنه «منكر»، و قد عرفنا معنى هذه الكلمه اصطلاحاً، فهل انكشف للشيخ ما خفى على ابن عساكر فأضاف أنه:

«موضوع»؟!!

٣- إن لنا أن نسأل الشيخ عن المبرر لنسبه «الإختلاق» إلى «من لا يعرفه» و أنه هل وصل إلى مرحله من «المعرفه»!! تجوز له إلحاق من لم يعرفه بمن يعرفه بالإختلاق؟!!

و ثانيها: فى قوله- فى الحديث-: «الظاهر البطلان و التركيب، و فضل

ص: ١٦٨

١- ١) حديث الثقلين و فقهه، هامش ص: ٢٨ عن سلسله الأحاديث الضعيفه و الموضوعه، الجزء الثانى.

علّي رضى الله عنه- أشهر من أن يستدلّ عليه بهذه الموضوعات التي يتشبّث الشيعة بها، و يسوّدون كتبهم بالعشرات من أمثالها...» فإنّ هذا الحديث واحد من عشرات الأحاديث المتفق عليها، و من النصوص الدالّة على إمامه أمير المؤمنين و أئمّه أهل البيت عليهم السلام بعد النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، كما لا يخفى على من تأمّل فى ألفاظها، و لذا يعدّ عند هذا الشيخ النجيب ! و أمثاله من أتباع ابن الجوزى «ظاهر البطلان و التركيب»!!

ثمّ الأجدر بنا أن نمرّ على سائر ما فى هذه العبارة «كراماً» و لا نقول إلّا «سلاماً».

و ثالثها: فى قوله: «و كيف لا- يكون منكراً؟» و فيه مثل ذاك الدعاء... و لا- يتناسب مع خلقه...» فإنّه غفل أو تغافل عنّ المراد من «منكر»، و قد ذكرنا أنّه اصطلاح فى علم الحديث و بيّنّا معناه... و أمّا أنّ مثل هذا الدعاء لا يتناسب مع خلق النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فكلام بارد جدّاً، لأنّ من كذب بفضله العتره النبويّه الهاديّه و لم يقتد بها فهو ضالّ، و «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» (١)، و من قطع فيهم صله رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان من الذين «يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْمَأْرُضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» (٢)، و حينئذٍ «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» (٣) و كيف تنال شفاعه النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من أعرض عن أهل بيته الطاهرين و هو القائل فى حقّ الثقلين: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»!؟

و أمّا دعاؤه صلّى الله عليه و آله و سلّم على بعض الناس، و لعنته البعض

ص: ١٦٩

١-١ (١) سورة يونس ٣٢:١٠.

١٣:٢٥. ٢-٢ (٢) سورة الرعد

٣-٣ (٣) سورة المدثر ٤٨:٧٤.

الآخر...فموارده في سيرته المباركه غير قليله،و من اليسير الوقوف عليه بأدنى مراجعه.

و رابعها: قوله أخيراً:«و هذا الحديث من الأحاديث التي أوردتها صاحب المراجعات...موهماً...»فإنه فريه واضحه،إذ ليس في كلام السيد أيّ إيهام بكون الحديث في مسند أحمد،كما أنّا راجعنا«كنز العمال»و نقلنا عبارته سابقاً و لم نجد في ذاك الموضوع تضعيفاً منه للحديث !!

*و أما الحديث الثاني فقد أخرجه عدا من ذكر من الأعلام:

الإمام أبو جعفر الطبري-في منتخب ذيل المذيل:٨٣،في ذكر من روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من همدان-
:«حدّثني زكريّا بن يحيى ابن أبان المصري،قال:حدّثنا أحمد بن أشكاب،قال:حدّثنا يحيى بن يعلى المحاربي،عن عمّار بن رزيق الضبيّ،عن أبي إسحاق الهمداني،عن زياد بن مطرف،قال:سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم يقول:

من أحبّ أن يحيا حياتي و يموت ميتتي و يدخل الجنّه التي وعدني ربّي، قضباناً من قضبانها غرسها في جنه الخلد،فليتولّ عليّ بن أبي طالب و ذريّته من بعده،فإنّهم لن يخرجوهم من باب هديّ،و لن يدخلوهم في باب ضلاله».

و الحافظ الطبراني،فقد قال الهيثمي:«و عن زياد بن مطرف،عن زيد بن أرقم،و ربّما لم يذكر زيد بن أرقم،قال:قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم:من أحبّ...»

رواه الطبراني،و فيه:يحيى بن يعلى الأسلمي،و هو ضعيف»(١).

ص: ١٧٠

و المتقى الهندي، عن مطين، و الباوردي، و ابن شاهين، و ابن منده، عن زياد بن مطرف. قال: «و هو واه» (١).

فهؤلاء كلهم رووا هذا الحديث عن (زياد بن مطرف) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و لم نعرف تضعيفاً منهم لسنده إلا من الهيثمي و المتقى، و ليس إلا ل«يحيى بن يعلى الأسلمي».

فظهر:

١- إن هذا الحديث غير الحديث الآتي.

٢- إن مخرجي هذا الحديث جماعه من الأعلام، و لم يطعن أحد منهم في سنده.

٣- إنه لم يضعف أحد من رجاله إلا «يحيى بن يعلى الأسلمي»، و سيأتي تحقيق الحال في ذلك.

* و أما الحديث الثالث فيختلف عن الثاني من وجوه:

أحدها: المتن، كما لا يخفى على من قارن بين لفظيهما.

و الثاني: الصحابي الراوي.

و الثالث: الأعلام المخرجون، فذاك لم يكن الحاكم و أبو نعيم من رواته، و هذا لم يروه الأئمة الرواه لذاك.

و الرابع: التنصيص من بعض المخرجين على صحه هذا، دون ذاك.

و لهذه الأمور و غيرها أفرد المتقى في كتابيه روايه كل منهما عن الآخر و اختلف تعبيره عنهما.

ص: ١٧١

١- (١) كنز العمال ١١: ٦١١ رقم ٣٢٩٦٠، منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ٣٢: ٥.

و هذا الحديث - كما ذكر السيد رحمه الله - أخرجه الحاكم و صححه حيث قال: «حدّثنا بكر بن محمّد الصيرفي بمرو، ثنا إسحاق، ثنا القاسم بن أبي شيبه، ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، ثنا عمّار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن زياد بن مطرف، عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من يريد أن يحيى حياتي، و يموت موتي و يسكن جنّه الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هديّ، و لن يدخلكم في ضلاله.

هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجناه» (١).

و أخرجه الحافظ أبو نعيم، قال: «حدّثنا محمّد بن أحمد بن عليّ، قال:

ثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبه، قال: ثنا إبراهيم بن الحسن التغلبي، قال: ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، قال: ثنا عمّار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن زياد بن مطرف، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم...

غريب من حديث أبي إسحاق تفرد به يحيى عن عمّار.

و حدّث به أبو حاتم الرازي، عن أبي بكر الأعيّن، عن يحيى الحماني عن يحيى بن يعلى.

و حدّثناه محمّد بن أحمد بن إبراهيم، قال: نا الوليد بن أبان، قال: نا أبو حاتم به» (٢).

و أخرجه الحافظ ابن عساكر بإسناده عن: «يحيى بن عبد الحميد

ص: ١٧٢:

١- ١) المستدرک علی الصحیحین ١٢٨: ٣.

٢- ٢) حلیه الأولیاء ٣٤٩-٤: ٣٥٠.

الحماني، أنبأنا يحيى بن يعلى، عن عمّار بن زُريق، عن أبي إسحاق، عن زياد ابن مطرف، عن زيد بن أرقم، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سلّم...» (١).

و أخرجه الطبراني، و عنه المتقي الهندي، فإنه بعد أن رواه قال: «طب، ك و تعقب، و أبو نعيم في فضائل الصحابه، عن زيد بن أرقم» (٢).

تحقيق السند:

أقول: و المراد من «تعقب» ما ذكره الذهبي في (تلخيصه): «قلت: أتني له الصحّ؟ و القاسم متروك، و شيخه ضعيف، و اللفظ ركيك. فهو إلى الوضع أقرب» (٣).

و «القاسم» هو «القاسم بن أبي شيبه»، و «شيخه» هو: «يحيى بن يعلى الأسلمي».

أقول:

لكنّ «القاسم» -سواءً كان متروكاً أو غير متروك- غير موجود في غير الحاكم من طرق الحديث، و لذا كان الإشكال من ناحيه «يحيى بن يعلى الأسلمي» فقط.

لكنّ هذا الإشكال مندفع كذلك لوجه:

الاول: إنّ الحافظين أبا نعيم و ابن عساكر لم يتكلّما في سند هذا الحديث

ص: ١٧٣

١- ١) تاريخ مدينه دمشق ٢٤٢: ٤٢ و فيه: عمّار بن مطرف، و هو غلط.

٢- ٢) كنز العمال ١١: ٦١١ الحديث رقم ٣٢٩٥٩، منتخبه علي هامش مسند أحمد ٣٢: ٥.

٣- ٣) تلخيص المستدرک-علي هامشه-١٢٨: ٣.

أصلاً، وقد رأينا ابن عساكر كيف نبه-في الحديث الأول-على أن «فيه غير واحدٍ من المجهولين»، فلو كان «يحيى» هذا ضعيفاً لكان أولى بالتنبيه عليه.

و رأينا أيضاً كيف يذكر أبو نعيم للحديث طرقاتاً عدده، عن جماعه من الأعلام، ولا يتعرّض لشيء قادح في سنده. أمّا قوله: «غريب من حديث أبي اسحاق» فقد عرفت معناه. على أن «أبا إسحاق»-وهو السبيعي-غير موجود في بعض الطرق الأخرى.

و الثاني: إنّ تضعيف «يحيى بن يعلى الأسلمي» معارض بتصحيح الحاكم للحديث، الدالّ على ثقته.

و الثالث: إنّ الرجل من رجال البخارى في «الأدب المفرد» و الترمذى في (صحيحه) و من مشايخ كثيرٍ من الأعلام، كأبى بكر ابن أبى شيبة و أقرانه (١).

و الرابع: إنّ غايه ما هناك تعارض الجرح و التعديل فى حقّ الرجل، لكنّ الجرح هو «أبو حاتم» القائل: «ضعيف الحديث، ليس بالقوى» و ابن حبان القائل فى «الضعفاء»: «يروى عن الثقات المقلوبات، فلا أدري ممّن وقع ذلك، منه أو من الراوى عنه أبى ضرار بن صرد، فيجب التنكّب عمّا رويًا» و البزار القائل: «يغلط فى الأسانيد» و البخارى القائل: «مضطرب الحديث» (٢).

قلت:

أمّا كلام البخارى و البزار، فليس بقدرح فى الرجل نفسه.

و أمّا كلام ابن حبان فيعارضه أنّه أخرج له حديثاً فى صحيحه كما ذكر ابن

ص: ١٧٤

١-١) تهذيب التهذيب ١١:٢٦٦.

٢-٢) تهذيب التهذيب ١١:٢٦٦.

حجر، على أنّ كلامه فى الرجل يشبه كلامه فى «محمّد بن الفضل السدوسى، أبو النعمان، عارم» إذ قال فى حقّه: «اختلط فى آخر عمره و تغيّر حتّى كان لا يدرى ما يحدث به فوقع فى حديثه المناكير الكثيره، فيجب التنكّب عن حديثه فيما رواه المتأخرون، فإذا لم يعلم هذا من هذا ترك الكلّ، و لا يحتجّ بشى منها» فقال الذهبى فى مقام ترجيح تعديل الدارقطنى على هذا الكلام: «فأين هذا القول من قول ابن حبان الخشاف المتهوّر فى عارم فقال: اختلط...» (١).

و أمّا قدح أبى حاتم فمردود بكلام الذهبى أيضاً، و قد تقدّم.

و الخامس: إنّ السبب الأصلى للطعن فى الرجل هو التشيع، و هذا ما أفصح عنه ابن عدى، إذ إنّه لم يقل فيه إلّا: «كوفى، من الشيعة» (٢)... كما سيأتى التصريح بذلك من الألبانى.. فهذا ذنب هذا الرجل !!

و تلخّص: أنّه لا موجب للطعن و القدح فى الرجل، و إنّ اللذين تكلموا فيه لا يعبأ بكلامهم، لا سيّما فى مقابل اعتماد الترمذى و الحاكم و كبار الأئمّه السابقين و اللاحقين عليه...

و أمّا طعن الهيثمى و المتقى و أمثالهما فيسقط عن الاعتبار، بعد الوقوف على العلّه الأصليه لما قاله المتقدمون فيه...

ثمّ إنّه - و بعد الفراغ عن إثبات اعتبار هذا الحديث سنداً - لو لا - قوّه دلالتّه على مطلوب أهل الحقّ لما قال الذهبى: «و اللفظ ركيك، فهو إلى الوضع أقرب» فلا تغفل !!

ص: ١٧٥

١-١) ميزان الاعتدال ٤:٨.

٢-٢) تهذيب التهذيب ١١:٢٦٦.

*و هنا أيضاً يعترض الشيخ ناصر الدين الألبانى على السيّد رحمه الله فيقول:

«موضوع، رواه أبو نعيم في الحليه ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ و ٣٥٠، و الحاكم ١٢٨/٣، و كذا الطبرانى فى الكبير، و ابن شاهين فى شرح السنّه ٢/٦٥/١٨ من طرق عن زيد بن أرقم - زاد الطبرانى: و ربّما لم يذكر زيد بن أرقم - قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، فذكره. و قال أبو نعيم: غريب من حديث أبى إسحاق، تفرد به يحيى.

قلت: و هو شيعى ضعيف، قال ابن معين: ليس بشى. و قال البخارى:

مضطرب الحديث، و قال ابن أبى حاتم ١٩٦/٢/٤ عن أبيه: ليس بالقوىّ ضعيف الحديث. و الحديث قال الهيثمى فى المجمع ١٠٨/٩: رواه الطبرانى و فيه: يحيى ابن يعلى الأسلمى، و هو ضعيف. قلت: و أمّا الحاكم فقال: صحيح الإسناد. فردّه الذهبى بقوله: قلت: أتى له الصّحّ؟ و القاسم متروك و شيخه (يعنى الأسلمى) ضعيف، و اللفظ ركيك، فهو إلى الوضع أقرب.

و أقول: القاسم - و هو ابن أبى شيبه - لم يتفرد به، بل تابعه راويان آخران عند أبى نعيم. فالحمل فيه على الأسلمى وحده دونه. نعم، للحديث عندى علّتان أخريان:

الاولى: أبو إسحاق، و هو السيعى، فقد كان اختلط مع تدليسه، و قد عنعنه.

الأخرى: الاضطراب فى إسناده منه أو من الأسلمى، فإنّه تارة يجعله من مسند زيد بن أرقم، و تارة من مسند زياد بن مطرف، و قد رواه عنه مطّين و الباوردى و ابن جرير و ابن شاهين فى الصحابه. كما ذكر الحافظ ابن حجر فى

الإصابة و قال: قال ابن منده: لا يصح.

قلت: في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي و هو واه.

قلت: و قوله (المحاربي) سبق قلم منه، و إنما هو (الأسلمى) كما سبق و يأتي.

تنبيه: لقد كان الباعث على تخريج هذا الحديث و نقده، و الكشف عن علته، أسباب عدّه، منها: أنني رأيت الشيخ المدعوّ بعبد الحسين الموسوي الشيعي قد خرّج الحديث في مراجعته ص ٢٧ تخريجاً أوهم به القراء أنه صحيح كعادته في أمثاله. و استغلّ في سبيل ذلك خطأ قلمياً وقع للحافظ بن ابن حجر رحمه الله، فبادرت إلى الكشف عن إسناده و بيان ضعفه، ثمّ الردّ على الإيهام المشار إليه، و كان ذلك منه على وجهين، فأنا أذكرهما معقّباً على كلّ منهما بيان ما فيه فأقول:

الأوّل: إنّه ساق الحديث من روايه مطين و من ذكرنا معه نقلاً عن الحافظ من روايه زياد بن مطرف، و صدره برقم ٣٨. ثمّ قال: و مثله حديث زيد بن أرقم... فذكره و رقم له ب ٣٩.

ثمّ علّق عليهما مبيّناً مصادر كلّ منهما، فأوهم بذلك أنّهما حديثان متغايران إسناداً، و الحقيقة خلاف ذلك...

و الآخر: إنّه حكى تصحيح الحاكم للحديث دون أن يتبعه بيان علته، أو على الأقلّ دون أن ينقل كلام الذهبي في نقده، و زاد في إيهام صحّته أنّه نقل عن الحافظ قوله في الإصابة: قلت: في إسناده: يحيى بن يعلى المحاربي، و هو واه.

فتعقّب عبد الحسين بقوله: أقول: هذا غريب من مثل العسقلاني... فأقول: أغرب من هذا الغريب أن يدير عبد الحسين كلامه في توهيمه الحافظ في توهينه

للمحاربي، و هو يعلم أنّ المقصود بهذا التوهين إنّما هو الأسلمى و ليس المحاربي...» (١).

أقول:

و فيه مواقع للنظر:

أمّا أولاً: فقد سبق أنّ أبا نعيم لم يقل فى هذا الحديث إلّا «غريب..» و قد بيّنا المراد من «الغريب» فى الإصطلاح. كما سبق أنّ ابن عساكر روى الحديث من دون طعن فى سنده. و نحن نعتمد على كلام هؤلاء، لكونهم أئمة فى الحديث و أقرب عهداً و أكثر معرفة برواته، و لا نعبأ بتضعيف المتأخرين عنهم فضلاً عن الحكم بالوضع!

و أمّا ثانياً: فإنّ «يحيى بن يعلى الأسلمى» لا ذنب له إلّا التشييع، كما سبق، و كما اعترف هذا الشيخ... و قد حقّقنا حاله على ضوء كلمات أعلام القوم.

و أمّا ثالثاً: فإنّ أبا إسحاق السبيعى مع أنّه قد اختلط فى آخر عمره، و كان يدلس... من رجال الصحيحين، فقد ذكر الحافظ ابن القيسرانى تحت عنوان:

□
«من اسمه عمرو عندهما»: (١٣٩٣: عمرو بن عبد الله بن ذى يحمّد، و يقال: ابن عبد الله بن على، الهمدانى السبيعى الكوفى...» ثمّ ذكر مشايخه عند البخارى و مسلم، ثمّ قال: «قال شريك: سمعت أبا إسحاق يقول: ولدت فى سنتين من إماره عثمان. و قال أبو بكر بن عياش. دفنّا أبا إسحاق سنه ستّ

ص: ١٧٨

أو سبع و عشرين و مائه» (١).

□

بل فى تهذيب التهذيب: «ع(الستّه): عمرو بن عبد الله... أبو إسحاق السبيعي الكوفي...» (٢).

فهو من رجال الصحاح الستّه عندهم... و الطعن فيه طعن فيها... لكنّ الشيخ يتكلّم و كأنّه أفهم، و أعلم، و أبصر، و أخبر... من أصحابها...!!

و أمّا رابعاً: فإنّنا قد بيّنا أنّ هنا حديثين متغايرين متناً و إسناداً...

و حتّى لو فرضنا -جداً- اتّحاد الحديث و وحدته، فلما ذا يتجاهل الشيخ أنّ الشكّ فى اسم الصحابى الراوى للحديث لا يضرّ باعتباره عندهم... و كم لهذا المطلب من نظير فى أحاديثهم...!!

فالتعبير بالاضطراب، و جعل ذلك علّة للحديث... باطل... على كلّ تقدير...

و أمّا خامساً: فإنّ السيّد لم يكن فى شىء من هذه المواضع بصدّد تصحيح ما يحتجّ به سنداً، كى يحتاج إلى استغلال خطأ قلمى وقع للحافظ ابن حجر العسقلانى... و إنّما تبه على السهو الواقع منه مستغرباً منه... لا أكثر... فلما ذا هذه الحمله الظالمه؟! أليس المقصود منها تضييع الحقوق و إنكار الحقائق؟!

و أمّا الحديث الرابع فقد قال المتّقى الهندى بعد روايته:

«طب و ابن عساكر -عن أبى عبيده بن محمّد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه،

ص: ١٧٩

١- ١) الجمع بين رجال الصحيحين ٣٦٦: ١.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٥٦: ٨.

عن جدّه» (١).

تحقيق السند:

أقول:

أمّا روايه الطبرانى فقد قال الهيثمى بعد الحديث:

«رواه الطبرانى بإسنادين، أحسب فيهما جماعةً ضعفاء، وقد وثّقوا» (٢).

و فى هذه العبارة مطالب:

الأول: إنّ الطبرانى روى الحديث بإسنادين لا بإسناد واحد.

و الثانى: إنّ الطبرانى لم يطعن فى شىء من الإسنادين.

و الثالث: إنّ رجال الإسنادين قد وثّقوا، و يكفينا إخباره بذلك عن النظر فى توهمه !! أنّ فيهما جماعةً ضعفاء.

و أمّا روايه ابن عساكر فهى بإسنادين كذلك (٣)، و الملاحظ:

١- إنّ فى الإسنادين غير واحدٍ من أعلام الحفاظ.

٢- إنّ ابن عساكر لم يطعن فى شىء منهما.

إذن، يكفينا شهادة الهيثمى، و سكوت كلّ من ابن عساكر و المتّقى، إذ لو كان موضع اللقدح لأفصحا به.

و روى أبو عبد الله الكنجى الشافعى الحافظ هذا الحديث فى المناقب بإسناد له و قال: «حديث عالٍ حسن مشهور أسند عند أهل النقل» (٤).

*و أمّا الحديث الخامس فقال المتّقى الهندى بعد أن رواه:

ص: ١٨٠

١- ١) كتر العمّال ١١: ٦١٠ ح ٣٢٩٥٣.

٢- ٢) مجمع الزوائد ٩: ١٠٩.

٣- ٣) تاريخ مدينه دمشق ٢٤٠: ٤٢.

٤- ٤) كفايه الطالب فى مناقب عليّ بن أبى طالب: ٧٤.

«طب-عن محمد بن أبي عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه، عن عمار» (١).

أقول:

و أخرج ابن عساكر من طريق الطبراني حيث قال:

«أخبرنا أبو عليّ الحدّاد، أنبأنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن أحمد بن ريذه، أنبأنا سليمان بن أحمد الطبراني، أنبأنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا أحمد بن طارق الوابشي، أنبأنا عمرو بن ثابت، عن محمّد بن أبي عبيده ابن محمّد بن عمار بن ياسر، عن أبيه أبي عبيده، عن محمّد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: من آمن بي و صدّقني، فليتولّ عليّ بن أبي طالب، فإنّ ولايته ولايتي، و ولايتي ولايه الله» (٢).

ثمّ رواه بطريقين آخرين فقال:

«أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم بن مسعده، أنبأنا حمزه بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدّي، أنبأنا محمّد بن عبيد الله بن فضيل، أنبأنا عبد الوهاب بن الضحّاك، أنبأنا ابن عيّاش، عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي عبيده بن محمّد بن عمار بن ياسر، عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم...

ص: ١٨١

١-١) كتر العمّال ١١:٦١١ ح ٣٢٩٥٨.

٢-٢) تاريخ مدينه دمشق ٢٣٩:٤٢.

قال: «أنبأنا أبو أحمد، أنبأنا جعفر بن أحمد بن علي بن بيان، أنبأنا يحيى ابن عبد الله بن بكير، حدّثني ابن لهيعة، حدّثني محمد بن عبد الله، عن أبي عبيدة...» (١).

تحقيق السند:

أقول:

ولا يخفى أنّ أكثر رجال هذه الأسانيد أئمة حفاظ أعلام، ولو لا خوف الإطالة لترجمنا لهم، كي يزداد شأن هذه الأحاديث، والمضمون الذي اشتملت عليه وضوحاً وتبيّناً.

*وقد قيل -في الردّ على الحديث الرابع- ما هذا نصّه:

«هذا الحديث رواه الطبراني بإسنادين، أحسب فيهما جماعةً ضعفاء:

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه (المنتخب: ٣٢).

عن محمد بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه عمّار (المراجعات: ٢١).

لم يثبت أنّ لأبي عبيدة بن محمد بن عمّار ولداً اسمه (محمد) روى عنه، كما أنّه قد اختلف في أبي عبيدة هذا، هل هو سلمه بن محمد بن عمّار؟ أم أخ له؟

وقد اختلف في توثيقه أيضاً، فقال ابن معين: ثقّه. وقال ابن أبي حاتم عن

ص: ١٨٢

(١-١) تاريخ مدينة دمشق ٢٣٩: ٤٢.

أبيه: منكر الحديث ولا يسمّى. وقال في موضع آخر: صحيح الحديث. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: أبو عبيده هذا ثقة.

□
أما محمّد بن عمّار، فقد أورد ابن حجر في تهذيب التهذيب: أنّه كان يرسل الحديث فيرفعه إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم دون ذكر أبيه عمّار.

و على هذا، فإنّ الحديث مضطرب السند، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحاح و المسانيد المعتبره.

أقول:

ولا يخفى فساد هذا النقد:

أما أولاً: فإنّ جملة: «رواه الطبراني بإسنادين...» هي كلام الحافظ الهيثمي، وقد نقلناها آنفاً، إلّا أنّ هذا المفترى حرّفها وأسقط منها اعترافه بأنّ رجال الحديث «وثقوا» وأبقى جملة: «أحسب فيهما جماعةً ضعفاء» لكنّه حذف اسم الحافظ الهيثمي ليوهم أنّ الكلام له دونه.

و أمّا ثانياً: إنّ هذه الأحاديث من أدلّه ثبوت «محمّد بن أبي عبيده» ولم أجد في رواه أحاديث الباب من يطعن فيها من هذه الناحية، ويكفينا قول الهيثمي: «وثقوا» إذ التوثيق فرع الثبوت كما هو واضح.

و أمّا ثالثاً: فالاختلاف في اسم أبي عبيده بعد توثيقه غير مضرّ.

□
و أمّا رابعاً: فإنّ الرجل لم يورد طعنًا في وثاقه أبي عبيده. أمّا يحيى بن معين و عبد الله فقد وثّقه. و أمّا أبو حاتم—و بعد غضّ النظر عمّا ذكر الذهبي في تجريحاته—فكلامه متعارض... فأين الجرح!؟

و أمّا خامساً: فما نقله عن «تهذيب التهذيب» لا يضّرّ بوثاقه الرجل، و قد

ص: ١٨٣

كتم هذا الرجل ما أورده ابن حجر ممّا يدلّ على وثاقته (١)، و أنّ ابن حبان ذكره في الثقات، و لهذا كلّ قال ابن حجر نفسه بترجمته: «مقبول» (٢).

تحقيق سند حديث أحمد:

□
*قال السيّد رحمه الله في آخر هامش الحديث الأوّل:-

□
«و نقل نحوه في ص ٤٤٩ عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل في كلّ من مسنده و كتاب مناقب عليّ بن أبي طالب» (٣).

أقول:

أمّا الحديث في «الفضائل» لأحمد (٤) فهذا نصه:

«حدّثنا الحسن، قال: ثنا الحسن بن عليّ بن راشد، نا شريك، قال: ثنا الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: من أحبّ أن يستمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله عزّ و جلّ في جنّه عدن بيمينه، فليتمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب» (٥).

ص: ١٨٤

١-١) تهذيب التهذيب ٩:٣١٩.

٢-٢) تقريب التهذيب ٢:١٩٣.

٣-٣) المراجعات: ٢٠.

٤-٤) في مراجعه سريعه لكتاب «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» لم نهتد إلى موضع الحديث في مسند أحمد، و لا ندرى ما إذا كان موجوداً فيه و لم نعثر عليه، أو أسقط فيما أسقط من أحاديث المسند !!
٥-٥) فضائل الصحابة: ٢:٦٦٤ رقم الحديث ١١٣٢.

و رواه عن أحمد غير واحدٍ من الأعلام (١).

و هذا الحديث أخرجه: الدارقطني؛ قال السيوطي: «الدارقطني: حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريّا، حدّثنا الحسين (٢) بن راشد، حدّثنا شريك... الحسن هو العدويّ الوضّاع، سرقه من إسحاق» (٣).

و ابن عساكر... قال: «أخبرنا أبو غالب ابن البّناء، أنبأنا أبو محمّد الجوهرى، أنبأنا محمّد بن العباس بن حيّويه الخزاز، أنبأنا الحسن بن عليّ بن زكريّا، أنبأنا الحسن بن عليّ بن راشد...» (٤).

قال أبو نعيم: و رواه السّدّي عن زيد بن أرقم (٥).

قلت:

روايه السّدّي، أخرجها ابن عساكر بطريقتين عن زيد بن أرقم و أبي هريره... قال:

«أخبرنا أبو القاسم هبه الله بن المسلم الرحبي، أنبأنا خال أبي سعد الله ابن صاعد، أنبأنا مسدّد بن عليّ، أنبأنا إسماعيل بن القاسم، أنبأنا يحيى بن عليّ، أنبأنا أبو عبد الرحمن، أنبأنا أبي، عن السّدّي، عن زيد بن أرقم، قال: قال

ص: ١٨٥

١-١) كسبطين ابن الجوزي في التذكرة: ٥١، و ابن أبي الحديد في الشرح ٩: ١٦٨، و القندوزي في الينابيع ١: ٣٧٩، و ١: ٣٧٠/٤٨٦.

٢-٢) كذا، و الصحيح هو: «الحسن». كما في تهذيب الكمال: ٦: ٢١٥ و تهذيب التهذيب ٢: ٢٥٦.

٣-٣) اللآلئ المصنوعة ١: ٣٦٩.

٤-٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٤٣.

٥-٥) حليه الأولياء ١: ٨٦.

رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلم...

أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنبأنا أبو سعد الجتزرودي، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد الجيرفتي [ظ] أنبأنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس الدهقان ببغداد، أنبأنا محمد بن منده بن أبي الهيثم الأصبهاني، أنبأنا محمد بن بكر الحضرمي، أنبأنا عبد الله بن عمر البلخي، عن الفضل بن يحيى المكي، عن السدي، عن أبيه، عن أبي هريره، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلم...» (١).

و أخرجها السيوطي عن زيد بطريق آخر، فإنه قال بعد روايه الدارقطني المتقدمه:

«قلت: له طريق آخر، قال الشيرازي في الألقاب: أنبأنا أبو الحسن أحمد ابن أبي عمران الجرجاني، أنبأنا كرد بن جعفر بن أحمد بن محمد البغدادي - إملاءً - حدثنا أحمد بن أبي فروه الرهاوي، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام الرهاوي، حدثنا عبد الملك بن دليل، حدثني أبي دليل، عن السدي، عن زيد بن أرقم - مرفوعاً: من أحب...»

قال ابن حبان: دليل عن السدي عن زيد بن أرقم، روى عنه ابنه عبد الملك نسخة موضوعه لا يحل ذكرها في الكتب. قال الذهبي في الميزان: منها هذا الحديث» (٢).

و هذا الحديث أخرجه السيوطي عن البراء بن عازب، قال:

ص: ١٨٦

١- (١) تاريخ مدينه دمشق ٢٤٣:٤٢.

٢- (٢) اللآلي المصنوعه ٣٦٩:١.

«الأزدى: أنبأنا عمرو بن سعيد بن سفيان، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم النحوى، حدّثنا يزيد بن هارون، حدّثنا شعبه، عن أبي إسحاق، عن البراء - مرفوعاً -: من أحبّ...»

إسحاق يضع. قلت: قال فى الميزان: هو: إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب ابن عبّاد بن العوّام الواسطى، رآه ابن عدىّ و كذّبه لوضعه الحديث؛ و كذّبه الأزدى أيضاً و قال فيه: النحوى. و الله أعلم» (١).

و الفقيه الحافظ ابن المغازلى الشافعى، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال:

□
«أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر بن أحمد العطار - بقراءتى عليه فأقرّ به سنة ٤٣٤ - قلت له: أخبركم أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عثمان الملقّب بابن السقاء الحافظ الواسطى - رحمه الله - أخبرنا أبو بكر ابن أبى داود - و أنا سألته - حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن شاذان، حدّثنا محمّد بن الصلت، حدّثنا الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال:

□ □
قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من أحبّ أن يتميّك بالقضيب الياقوت الأحمر الذى غرسه الله فى جنّه عدن، فليتمسك بحبّ على بن أبى طالب».

و عن السدى، عن ابن عبّاس:

«أخبرنا محمّد بن أحمد بن عثمان بن الفرّج، أخبرنا أبو عمر محمّد بن العبّاس بن حيويه الخزاز - إذناً - حدّثنا أبو الحسن الديباجى أحمد بن محمّد، حدّثنا أحمد بن محمّد بن غالب، قال: حدّثنى عبد العزيز بن عبد الله، عن

ص: ١٨٧

إسماعيل بن عيَّاش الحمصي، عن السدّي، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم...».

و عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، عن ابن عبّاس:

«أخبرنا أبو طالب محمّد بن أحمد بن عثمان، أخبرنا أبو عبد الله محمّد ابن زيد بن عليّ بن جعفر بن مروان الكوفي -قراءةً عليه في ذى الحجّه سنه ٣٧٢- حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن شاذان، قال: حدّثني محمّد بن إسماعيل، قال: حدّثني إسحاق بن موسى، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن ابن عبّاس...» (١).

أقول:

فهذا الحديث مروى عندهم في كتبٍ كثيره معتبره بالأسانيد و الطرق العديده المتضافره، عن غير واحدٍ من الأصحاب، و هم:

١- عبد الله بن عبّاس.

٢- البراء بن عازب.

٣- زيد بن أرقم.

٤- أبو هريره.

فهل وضعه كلّ هؤلاء؟! أو بعضهم و وافقه عليه غيره؟!؟

و لو سلّمنا ضعف جميع طرقه و أسانيد... فقد تقدّم كلام العلامه المناوى و له نظائر من غيره من الأعلام -ينصّ على بلوغ هكذا حديث مرتبه الحجّيه،

ص: ١٨٨

(١-١) مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢١٦-٢١٧.

و أنّ من ينكر هذا المعنى فهو إمّا جاهل بالصنّاعه، أو معاند مكابر متعصّب...

لكنّا لا نسلم..و للنظر فيما ذكر في غير واحدٍ من الطرق مجال...

*لأنّ حديث «دليل عن السدّي عن زيد» لم يطعن فيه إلّا من جهه كلام ابن حبان: «روى عنه ابنه عبد الملك نسخهً موضوعه لا يحلّ ذكرها في الكتب» و تطبيق الذهبي -باجتهاده المنبعث من طريقته في ردّ فضائل أهل البيت عليهم السلام- هذه الكبرى على ما نحن فيه بقوله: «منها هذا الحديث»!!

*و لأنّ حديث «الأزدى عن البراء» استند في ردّه إلى أمرين:

أحدهما: رآه ابن عدّي و كذّبه.

و الثاني: كذّبه الأزدى.

قلت:

أمّا الأوّل ففيه: أن «ابن عدّي» على هذا من أقران «إسحاق» المذكور، و قد نصّ الذهبي على أنّ كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، و هذه عبارته:

«قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيّما إذا لاح لك أنّه لعداوه أو لمذهبٍ أو لحسد، ما ينجو منه إلّا من عصم الله، و ما علمت أنّ عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء و الصديقين...» (١).

و عليه، فليتوقّف عن قبول رمى ابن عدّي إسحاق بما سمعت! و أمّا الثاني، فقد نصّ الذهبي أيضاً بسقوط جرح الأزدى، قال: «لا يلتفت إلى قول الأزدى،

ص: ١٨٩

(١-١) ميزان الاعتدال ١:١١١.

فإنّ في لسانه في الجرح رهقاً» (١).

إذن، لم يثبت جرح إسحاق.

على أنّه قد تابعه في الحديث غيره: أخرج ابن عساكر قال:

«أخبرنا أبو غالب ابن البناء، أنبأنا أبو محمّد الجوهري، أنبأنا أبو الحسين ابن المظفر، أنبأنا محمّد بن سليمان، حدّثني محمّد بن أبي يعقوب الدينوري، أنبأنا أبو ميمون جعفر بن نصر، أنبأنا يزيد بن هارون الواسطي...» (٢).

و«أبو ميمون» وإن تكلم فيه، إلّا أنّ سكوت ابن عساكر و مشايخه الّذين في طريق هذا الحديث—وهم حفاظ كبار—عن الطعن يكفي في مقام الاحتجاج.

* ولأنّ حديث الدارقطني لم يطعن فيه إلّا من ناحيه «الحسن» قال الحافظ ابن الجوزي: «هو العدويّ الكذاب الوضاع، ولعله سرقه من النحوي» (٣). وقال السيوطي: «هو العدويّ الوضاع، سرقه من إسحاق» (٤).

* وكذا الحديث في «الفضائل»، إذ لم يطعن في إسناده إلّا من ناحيه «الحسن» في أوله.

قلت:

ص: ١٩٠

١-١) ميزان الاعتدال ١:٦١.

٢-٢) تاريخ مدينه دمشق ٢٤٣:٤٢.

٣-٣) الموضوعات ٣٨٧:١.

٤-٤) اللآلي المصنوعه ٣٦٩:١.

إعلم أنّ القوم قد تناقضت كلماتهم و اضطربت أقوالهم تجاه هذا الحديث، بالسند الذى جاء فى (الفضائل) و رواه الدارقطنى الحافظ، و نحن ننقل كلماتهم..

و عليك بالتأمل، و لك أن تستنتج ما حكم به عقلك و إنصافك..

لقد جاء فى (الفضائل): «حدّثنا الحسن، قال: ثنا الحسن بن عليّ بن راشد، قال: ثنا الأعمش، عن حبيب بن أبى ثابت، عن أبى الطفيل، عن زيد بن أرقم...».

و قال الدارقطنى: «حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريّا، حدّثنا الحسن بن راشد، حدّثنا شريك...».

أمّا «ابن راشد» فهو: «الحسن بن عليّ بن راشد الواسطى» قال الحافظ ابن حجر: «صدوق، رمى بشى من التدليس. من العاشره، مات سنه ٣٧» و وضع عليه علامه: أبى داود و النسائى (١).

و أمّا «الأعمش» فهو من رجال الكتب الستّه (٢).

و أمّا «حبيب» فهو من رجال الكتب الستّه كذلك (٣).

و أمّا «أبو الطفيل» و «زيد بن أرقم» فصحائيان.

إذن لا إشكال إلّا من ناحيه «الحسن» فى أوّل السند.

أمّا الدارقطنى فقال: «حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريّا...».

و أمّا (الفضائل) فإنّه و إن لم يقل فى حدِيثنا- و حدِيثين قبله- إلّا «حدّثنا الحسن» لكنّه صرّح فى الحديث السابق على الأحاديث الثلاثه بقوله: «حدّثنا الحسن بن عليّ البصرى».

ص: ١٩١

١-١) تقريب التهذيب ١:١٦٨.

٢-٢) تقريب التهذيب ١:٣٣١.

٣-٣) تقريب التهذيب ١:١٤٨.

ثم إن الدارقطني لم يتكلم في الحديث بشى غير أنه قال: «ما كتبتُه إلّا عنه» فلم يضعّف شيخه «الحسن» وهو يدلّ على كون الحديث صحيحاً عنده.

لكنّ القوم المتعصّبين يشقّ عليهم ذلك !! فيقول ابن الجوزى عقب كلام الدارقطني: «قلت: هو العدو الكذاب الوضّاع، ولعله سرقة من النحوى».

ثمّ جاء السيوطى فأسقط كلام الدارقطني، كاتماً شهادته الضمّتيه بوثاقه شيخه «الحسن»!! و أسقط كلمه «لعلّ» من عبارته ابن الجوزى، ليرمى الرجل بالسرقة عن يقين !! فقال: «الحسن هو العدو الوضّاع، سرقة من إسحاق».

فنعول:

أولاً: الدارقطني يشهد بوثاقه شيخه، وهذه الشهاده لا تعارضها تلك الكلمات المضطربه الصادره من الحاقدين على أهل البيت الطاهرين !

و ثانياً: إنّ الأوصاف و الألقاب التى يذكرونها بتراجم الدارقطني لتكذب أن يتخذ «كذاباً، وضّاعاً، سارقاً» شيخاً له، فيروى عنه الأحاديث النبويه و الأحكام الشرعيه !!

يقولون بترجمه الدارقطني و وصفه:

الإمام الحافظ المجوّد، شيخ الإسلام، علم الجهابذه... من بحور العلم و من أئمّه الدنيا، انتهى إليه الحفظ و معرفه علل الحديث و رجاله... صار واحد عصره فى الحفظ و الفهم و الورع... فريد عصره و قريع دهره و نسيج وحده و إمام وقته، انتهى إليه علو الأثر و معرفه بعلى الحديث و أسماء الرجال، مع الصدق و الثقه...

ص: ١٩٢

لم يأت بعد النسائي مثله... أمير المؤمنين في الحديث... (١).

و ثالثاً: إن قول ابن الجوزي و السيوطي «هو العدويّ الوضاع» اجتهاد في مقابله نصّ الدارقطني على أنه غيره كما ستعرف.

و رابعاً: إن ابن الجوزي-المتوفى سنة ٥٩٧- غير جازم بسرقة الحديث من «إسحاق».. و هل ترد الأحاديث المعتبرة الثابتة ب«لعل»؟! ثم يأتي السيوطي-المتوفى ٩١١-و كأنه جازم، فيسقط كلمه «لعل»!

و خامساً: قد عرفت أن «إسحاق بن إبراهيم» إنما تكلم فيه الأزدي، و من هنا لم يطعن ابن الجوزي في الحديث عن البراء إلّا اعتماداً عليه حيث قال: «قال الأزدي: كان إسحاق بن إبراهيم يضع الحديث» و قد قدّمنا عن الحافظ الذهبي أن الأزدي لا يعتدّ بقوله... حتى أنه قال فيه في موضع آخر بترجمه أحد الرجال:

«و قال أبو الفتح الأزدي: هو ضعيف، لم أر في شيوخنا من يحدث عنه. قلت:

هذه مجازفه، ليت الأزدي عرف ضعف نفسه!» (٢). و قال بترجمه الأزدي:

«قال أبو بكر الخطيب: كان حافظاً، صنّف في علوم الحديث. و سألت البرقاني عنه فضّعفه. و حدّثني أبو النجيب عبد الغفار الأرموي قال: رأيت أهل الموصل يوهّنون أبا الفتح و لا يعدّونه شيئاً. قال الخطيب: في حديثه مناكير.

قلت: و عليه في كتابه في الضعفاء مؤاخذات، فإنّه قد ضّعف جماعه بلا دليل، بل قد يكون غيره قد وثّقهم» (٣).

ص: ١٩٣

١- ١) هذه كلمات من: الحاكم، الخطيب، الذهبي... انظر: تاريخ بغداد ١٢:٣٤ سير أعلام النبلاء ١٦:٤٤٩ و ١٠:٦٢٧، ميزان الاعتدال ٤:٨ عند نقل كلام عنه.

٢- ٢) سير أعلام النبلاء ١٣:٣٨٩.

٣- ٣) سير أعلام النبلاء ١٦:٣٤٨.

و تحصّل: صحّحه الحديث بروايه الدارقطني.

و أما روايه (الفضائل) فالحسن فيها هو «الحسن بن عليّ البصرى». قال محققه: «موضوع، و آفته الحسن بن عليّ البصرى».

فمن هو!؟

لقد نقل الذهبي و ابن حجر العسقلاني عن الدارقطني أنّ شيخه «الحسن ابن عليّ بن زكريّا» غير «العدويّ» و أنّ «العدويّ» متروك، فقالا: «الحسن بن عليّ بن زكريّا بن صالح، أبو سعيد العدويّ البصرى، الملقب بالذئب. قال الدارقطني: متروك، و فرّق بينه و بين سمّيه العدويّ» (١).

و هذا وجه آخر يدلّ على أنّ شيخه ثقّه.

فهذا من جهه.

و من جهه أخرى: فقد أورد الذهبي و ابن حجر عن الحافظ السهمي - المتوفّي سنة ٤٢٨ - كلاماً هو نصّ في المغايره بين «الحسن بن عليّ البصرى» و «العدويّ». فقالا: «و قال حمزه السهمي: سمعت أبا محمّد الحسن بن عليّ البصرى يقول: أبو سعيد العدويّ كذاب على رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلم، يقول عليه ما لم يقل...» (٢).

فالحق أنّ «الحسن بن عليّ البصرى» شيخ القطيعي، و «الحسن بن عليّ ابن زكريّا» شيخ الدارقطني... واحد... فهو حديث اتّفق «الدارقطني» و «القطيعي» على روايته، و بسند واحد، و هو صحيح.

ص: ١٩٤

١-١) ميزان الاعتدال ٥٠٦:١، لسان الميزان ٢:٢٢٨.

٢-٢) ميزان الاعتدال ٥٠٨:١، لسان الميزان ٢:٢٣٠.

و قول محقق كتاب (الفضائل): «موضوع» باطل، لأنّ «الحسن بن عليّ البصرى» غير «العدوىّ الوضاع» و ليس إلّا «شيخ الدارقطنى» إذ لم نجد فى الكتب رجلاً بعنوان «الحسن بن عليّ البصرى» أصلاً.

كما أنّ قول ابن الجوزى و السيوطى بعد حديث الدارقطنى: «هو العدوىّ الوضاع» خلط، إن لم نقل بأنهما تعمّداً ذلك لغرض طرح الحديث!

تنبيه:

لقد اثبتنا صحّ الأحاديث المذكورة و تماميّه الاحتجاج بها، و إنّ من ينظر فيما ذكرناه و ينصف لا يتردّد فى صدور المضمون الذى تدلّ عليه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، كما لا يتردّد فى وجوب الأخذ بذاك المضمون اعتقاداً و عملاً...

و قد رأينا من المناسب أن نؤكّد صدور المضمون، بحديثٍ بنفس المعنى أخرجّه كبار الأئمّه الأعلام فى المسانيد المعتمّره و الكتب المشتهره، و بأسانيد صحيحه، كما نصّ على صحّته غير واحدٍ منهم، و هو قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السلام:

«أنت وليّ كلّ مؤمنٍ من بعدى».

أخرجّه:

ابن أبى شيبه فى «المصنّف» و صحّحه (1)، و وافقه على التصحيح:

ص: ١٩٥

السيوطى (١) و القارى (٢).

و أبو داود الطيالسى فى (مسنده) بسندٍ نصّ على صحّته: ابن عبد البرّ (٣) و المزى (٤).

و أحمد بن حنبل فى (مسنده) بسندٍ صحيح (٥).

و الترمذى فى (صحيحه) (٦).

و النسائى فى (الخصائص) (٧).

و ابن جرير الطبرى و صحّحه (٨).

و ابن حبان فى (صحيحه) (٩).

و الحاكم، و صحّحه على شرط مسلم (١٠).

و ابن حجر، قال: «أخرج الترمذى بسندٍ قوى...» (١١).

و سندلّ بالتفصيل على صحّته حيث يذكره السيّد، فانظر.

ص: ١٩٦

١-١) القول الجلىّ فى مناقب علىّ: ٦٠ الحديث ٤٠. بتفاوت يسير.

٢-٢) مرقاه المفاتيح ٥:٥٦٧.

٣-٣) الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام ٣:١٠٩١.

٤-٤) تهذيب الكمال-ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠:٤٨١.

٥-٥) مسند أحمد بن حنبل ٥:١٩٤٢٦/٦٠٦.

٦-٦) الجامع الصحيح ٦:٣٧١٢/٧٨.

٧-٧) خصائص أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ١٤٣ الحديث ٨٩.

٨-٨) كنز العمال ١٣:٣٦٤٤٤/١٤٢.

٩-٩) صحيح ابن حبان ١٥:٦٩٢٩/٣٧٣.

١٠-١٠) المستدرک على الصحيحين ٣:١١٠-١١١.

١١-١١) الإصابه فى تمييز الصحابه-ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام ٢:٥٠٩.

أقول:

ثم إن السيد-رحمه الله-أورد نصوصاً أخرى، وتعرض خلالها-بالمناسبة-إلى أشياء من غير النصوص النبوية...

وحيث تكلمنا بالتفصيل في تشييد عمده نصوص المراجعة، ودفع شبهات السابقين ولاحقين عنها، ولم يبق مجال للريب في تمامية ما قصده السيد-رحمه الله-في هذه المراجعة... كما لم نجد شبهة تستحق التعليق حول الأحاديث والشواهد الأخرى المذكورة فيها... ننتقل إلى المراجعة التالية، وموضوعها «حجج الكتاب».

ص: ١٩٧

قيل:

«لا بدّ قبل التعرض لاستشهاد المؤلف بالآيات على ما ذهب إليه، من كلمه موجزه في منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم:

إنّ الدارس للفرق و المذاهب التي نشأت بعد حركة الفتح الإسلامي و استقرار الإسلام بدولته المتراميه، لا بدّ و أنّ يلاحظ أولاً أنّ هذه الفرق اتخذت القرآن الكريم وسيله للإستدلال على آرائها، و لكنّ الفرق بين أصحاب الآراء الصحيحه التي لا تخالف الأصول الإسلاميه و بين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعه: أنّ الأوائل كانوا تابعين لما تبدّل عليه معانى القرآن الكريم، موضّحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأممه و علماؤها، و كما فسّرها الرسول صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و أصحابه و التابعون لهم بإحسان، فكانوا ضمن دائره التمسك بالكتاب و السنّه، لم يشدّوا عنها.

أمّا أصحاب البدع و الأهواء، فقد رأوا آراء، و اعتقدوا اعتقاداتٍ أرادوا أن يروّجوها على الناس، فأعوزتهم الأدلّه، فالتفتوا إلى القرآن الكريم... و هم كما قال ابن تيمّيه...

أمثله من مواقف الشيعة في التفسير: يقول ملّا محسن الكاشي في مقدّمه

كتابه:(الصافي في تفسير القرآن الكريم)...

و ملأ محسن الكاشي مَن يرى أن القرآن قد حَرَف...و لا يتورع هذا الرافضي المفترى من الطعن على كبار الصحابه الكرام،و يرميهم بكل نقيصه، و يجزدهم من كل مكرمه،هكذا فعل مع عثمان في تفسير الآيتين ٨٤ و ٨٥ من سوره البقره،و هكذا فعل مع أبي بكر في تفسير الآيه ٤٠ من سوره التوبه، و كذلك طعن في أبي بكر و عمر و عائشه و حفصه عند تفسيره أول سوره التحريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾.

و يعتقد عبد الله بن محمد رضا العلوي-الشهير بشبر-المتوفى سنة ١٢٤٢ أن القرآن قد حَرَف...و عند تفسيره لقوله تعالى في الآيه ٤٠ من سوره التوبه ﴿ثَانِيًا إِذْ هُمْ فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ الآيه،نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم في هجرته و هو أبو بكر،ثم يصرح أو يلتمح بما نقص من قدره أو يذهب بفضله المنسوب إليه و المنوّه به في القرآن الكريم،فيقول...».

أقول:

لا- بدّ قبل التعرّض لاستدلال السيد-رحمه الله-بآيات الكتاب الكريم على ولايه أهل البيت عليهم السلام،على ضوء الأخبار المتفق عليها بين علماء الفريقين،من ذكر الأمور التاليه بإيجاز:

١-إنّه كما لغير الشيعه الإماميه الاثني عشرية من الفرق الإسلاميه منهج في تفسير القرآن الكريم،و فهم حقائقه و أحكامه،و أسباب نزول آياته...كذلك الشيعه،و إنّ منهجهم يتلخّص في الرجوع إلى القرآن و ما ورد عن العتره

ص: ١٩٩

المعصومين بالأسانيد المعتمده... وهذا أمر واضح و للتحقيق فيه مجال آخر.

٢-إلّا أنّ منهج البحث فى كتب المناظره يختلف...فإنّ من الأ-صول التى يجب على الباحث المناظر الالتزام بها هو:الاستدلال بالروايات الوارده عن طريق رجال المذهب الذى يعتنقه الطرف المقابل،و كلمات العلماء المحقّقين المعروفين من أبناء الطائفة التى ينتمى إليها.

فهذا ممّا يجب الالتزام به فى كلّ بحثٍ يتعلّق بالفرق و المذاهب،و إلّا فإنّ كلّ فرقٍ ترى الحقّ فى كتبها و رواياتها،و تقول ببطلان ما ذهب إليه و قال به غيرها،فتكون المناقشه بلا معنى و المناظره بلا جدوى.

□
و على هذه القاعده مشى السيّد-رحمه الله-فى (مراجعاته)مع شيخ الأزهر(الشيخ البشرى).

و فى (حجج الكتاب)...حيث يشير إلى المصادر السنيّه المقبوله لدى (الشيخ)...

فكان القول بنزول الآيه المباركه فى أمير المؤمنين أو أهل البيت عليهم السلام قولاً متّفقاً عليه بين الطرفين،و الحديث الوارد فى ذلك سنّه ثابتة يجب اتّباعها و التمسك بها على كلا الفريقين.

و قد كانت هذه طريقه علمائنا المتقدمين...

٣-و لم نجد الالتزام بهذه الطريقه التى تفرضها طبيعه البحث و الحوار فى كلمات أكثر علماء أهل السنّه...

و من أراد التأكّد من هذا الذى نقوله فليُنظر-مثلاً-إلى كتاب «منهاج الكرامه فى إثبات الإمامه»للعلّامه الحلّى،و ما قاله ابن تيميه فى (منهاجه) فى الردّ عليه،و ليقارن بين المنهاجين،خصوصاً فى فصل الاستدلال بالكتاب،

فبدلاً من أن يلتزم ابن تيمية بالقواعد والآداب، أخذ يسبّ العلامة و يشتمه و يتهمه بأنواع التهم ! ثم يضطرّ إلى اتهام كبار أئمة السنّة في التفسير و الحديث- اللّذين نقل عنهم العلامه القول بنزول الآيات في أهل البيت، كالثعلبي و الواحدى و البغوى و نظرائهم- بنقل الموضوعات و روايه المكذوبات، و أمثال ذلك من الاتّهامات، و سنتعرّض لذلك في خلال البحث عن الآيات.

ثم إنّ ابن تيمية أصبح- وللأسف- قدوةً للّذين يجدون في أنفسهم حرجاً ممّا قضى الله و رسوله، فلوّوا رؤوسهم و استكبروا استكباراً. أما الشيخ البشرى و أمثاله، فأذعنوا للحقّ و اتّبعوه، فمنهم من أخفى ذلك و منهم من أجهر به إجهاراً...

٤- و فضائل الإمام علىّ و أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، و ما نزل فيهم من آياته الكريمه، كثيره جداً، حتّى أنّ جماعه من أعلام السنّة أفردوا ذلك بالتأليف...

هذا، بالرغم من الحصار الشديد المضروب على روايه هذا النوع من الأحاديث و رواته !

أما غير أهل البيت، فلم يدع- حتّى في كتب القوم- نزول شيء من الآيات في حقّهم..!

أنظر إلى كلام القاضى عضد الدين الإيجى- المتوفى سنة ٧٥٦- في كتابه «المواقف في علم الكلام» الذى هو من أجلّ متونهم فى علم الكلام، يقول:

«المقصد الرابع: فى الإمام الحقّ بعد رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، و هو عندنا أبو بكر، و عند الشيعة علىّ، رضى الله عنهما. لنا وجهان:

الأول: إنَّ طريقه إمَّا النصُّ أو الإجماع. أمَّا النصُّ فلم يوجد...» (١).

نعم، ذكر في المقصد الخامس، في أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هو عندنا و أكثر قدماء المعتزله أبو بكر-رضى الله عنه-، و عند الشيعة و أكثر متأخرى المعتزله علىٰ. لنا وجه الأول: قوله تعالى: «وَ سَيَجْبُهَا الْأَتَقَىٰ * الَّذِي يُؤْتَىٰ مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ» (٢). قال أكثر المفسرين- و اعتمد عليه العلماء- أنها نزلت في أبي بكر. الثاني: قوله عليه السلام...» (٣).

فلم يستدلّ من الكتاب إلّا بآيه واحده، نسب إلى أكثر المفسرين نزولها في أبي بكر.

فهذه آيه واحده فقط !

و هناك آيه ثانيه، و هى آيه الغار، جعلوها فضيله لأبى بكر، و استدلّوا بها فى الكتب.

أمّا آيه الغار فممن تكلم فى الاستدلال بها: المأمون العباسى، الذى وصفه الحافظ السيوطى فى كتابه «تاريخ الخلفاء و أمراء المؤمنين» فقال: «قرأ العلم فى صغره و سمع الحديث من: أبيه، و هشيم، و عبّاد بن العوّام، و يوسف ابن عطيه، و أبى معاويه الضرير، و إسماعيل بن عليّه، و حجاج الأعور، و طبقتهم.

و أدبه اليزيدى، و جمع الفقهاء من الآفاق، و برع فى الفقه و العريّه و أيام الناس،

ص: ٢٠٢

١- ١) شرح المواقف ٣٥٤: ٨.

٢- ٢) سورة الليل ١٧: ٩٢ و ١٨.

٣- ٣) شرح المواقف ٣٦٥: ٨-٣٦٦.

ولما كبر عنى بالفلسفه و علوم الأوائل و مهر فيها، فجّره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

□
□
روى عنه: ولده الفضل، و يحيى بن أكثم، و جعفر بن أبى عثمان الطيالسى، و الأمير عبد الله بن طاهر، و أحمد بن الحارث الشيعى، و دعبل الخزاعى، و آخرون.

و كان أفضل رجال بين العباس حزمًا و عزمًا، و حلمًا و علمًا، و رأياً و دهاءً، و هيبهً و شجاعهً، و سؤددًا و سماحهً، و له محاسن و سيره طويله، لو لا ما أتاه من محنه الناس فى القول بخلق القرآن، و لم يل الخلافه من بنى العباس أعلم منه، و كان فصيحاً مفوّهاً...» (١).

تكلّم المأمون فى آيه الغار، فى مجلس ضمّ قاضى القضاة يحيى بن أكثم و أئمّه العصر فى الفقه و الحديث، فى مسائل كثيره من أبواب الفضائل و المناقب، فكان أن قال لمخاطبه - و هو: إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد؛ و الراوى إسحاق نفسه -:

□
□
□
□
□
□
«...فما فضله الذى قصدت له الساعه؟ قلت قول الله عزّ و جلّ: «ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (٢) فنسبه إلى صحبته.

□
□
□
□
□
□
قال: يا إسحاق أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إنني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبه من رضىه و رضى عنه كافرًا، و هو قوله: «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا» (٣).

قلت: إن ذلك كان صاحباً كافراً، و أبو بكر مؤمن.

ص: ٢٠٣

١- (١) تاريخ الخلفاء: ٢٤٥-٢٤٦.

٢- (٢) سورة التوبة ٩:٤٠.

٣- (٣) سورة الكهف ٣٧:١٨ و ٣٨.

قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبه من رضيه كافرًا، جاز أن ينسب إلى صحبه نبيّه مؤمنًا، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت: يا أمير المؤمنين، إن قدر الآيه عظيم.. إن الله يقول: «ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».

قال: يا إسحاق، تأبى الآن إلّا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك؛ أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضا أم سخطًا؟

قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلَّمَ خوفًا عليه و غَمًّا أن يصل إلى رسول الله شىء من المكروه.

قال: ليس هذا جوابي. إنما كان جوابي أن تقول رضا أم سخط.

قلت: بل كان رضا لله.

قال: و كان الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عزّ و جلّ و عن طاعته؟!!

قلت: أعوذ بالله.

قال: أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟!!

قلت: بلى.

قال: أ و لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلَّمَ قال: لا تحزن. نهياً له عن الحزن؟!!

قلت: أعوذ بالله!

قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك، لعلّ الله يردّك إلى الحقّ و يعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعبد به.

و حدّثني عن قول الله: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» من عنى بذلك رسول الله

أم أبو بكر؟

قلت: بل رسول الله.

قال: صدقت.

قال فحدّثني عن قول الله عزّ وجلّ «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ» إلى قوله: «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (١) أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع؟

قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم إلا سبعة نفر من بنى هاشم، عليّ يضرب سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، و العباس آخذ بلجام بغله رسول الله، و الخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء، حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع عليّ خاصة ثم من حضره من بنى هاشم.

قال: فمن أفضل؟ من كان مع رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم في ذلك الوقت، أم من انهزم عنه و لم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟

قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق، من أفضل؟ من كان معه في الغار، أم من نام على فراشه و وقاه بنفسه حتى تمّ لرسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم ما أراد من الهجرة؟

إنّ الله تبارك و تعالی أمر رسوله أن يأمر عليّاً بالنوم على فراشه و أن يقي رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم بنفسه. فأمره رسول الله صلى الله عليه

ص: ٢٠٥

[و آله] و سلم بذلك، فبكى على -رضى الله عنه-، فقال له رسول الله: ما يبكيك يا على؟! أجزعاً من الموت؟!]

قال: لا، و الذى بعثك بالحق يا رسول الله، و لكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: سمعاً و طاعة و طيبه نفسى بالفداء لك يا رسول الله.

ثم أتى مضجعه و اضطجع و تسجى بثوبه. و جاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله، و قد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش ضربه بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه و على يسمع ما القوم فيه من تلاف نفسه، و لم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه فى الغار.

و لم يزل على صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكة فمنعته من مشركى قريش، حتى أصبح، فلما أصبح قام، فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمد؟! قال:

و ما علمى بمحمد أين هو! قالوا: فلا نراك إلا مغرراً بنفسك منذ ليلتنا.

فلم يزل على أفضل، ما بدا به يزيد و لا ينقص، حتى قبضه الله إليه (1).

و أما الآيه الأخرى، فقد ذكرنا فى تعليقه «المواقف» فى الجواب عن الاستدلال بها وجوهاً:

الأول: إن نزولها فى أبى بكر غير متفق عليه بين المفسرين من أهل السنة، و حتى كونه قول أكثر المفسرين غير ثابت، و إن جاء ذلك فى شرح

ص: ٢٠٦

و من المفسرين من حمل الآيه على العموم، و منهم من قال بنزولها فى قصه أبى الدحداح و صاحب النخله، كما ذكر السيوطى (٢).

و الثانى: إن رواه نزولها فى حق أبى بكر ما هم إلما آل الزبير، و هؤلاء قوم منحرفون عن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام و معروفون بذلك.

و الثالث: إن سند خبر نزولها فى أبى بكر غير معتبر، قال الحافظ الهيثمى:

«و عن عبد الله بن الزبير، قال: نزلت فى أبى بكر الصديق: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ * وَ لَسَوْفَ يَرْضَىٰ» (٣).

رواه الطبرانى، و فيه: مصعب بن ثابت. و فيه ضعف» (٤).

قلت:

و هذا الرجل هو: مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير؛ و لاحظ الكلمات فى تضعيفه بترجمته (٥).

هذا بالنسبه إلى أبى بكر.

و أما عمر و عثمان، فلم يزعموا نزول شىء فىهما من القرآن...

٥- بل لو تتبعت كتبهم فى مختلف العلوم لوجدت للقوم مثالب فى القرآن

ص: ٢٠٧

١- ١) شرح المواقف ٣٦٦: ٨.

٢- ٢) الدر المنثور ٥٣٢: ٨.

٣- ٣) سوره الليل ١٩: ٩٢-٢١.

٤- ٤) مجمع الزوائد ٥٠: ٩.

٥- ٥) تهذيب التهذيب ١٤٤: ١٠.

الكريم، ونحن الآن في غنى عن التعرض لمثل هذه الأمور، غير أننا نشير إلى أن نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قد فرض الله لكم تحله أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم* وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما تبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما تبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير* إن توباً إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهراً عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير* عسى ربك إن طلقك إن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات...» (١) في عائشه وحفصه المذكور في أشهر كتب القوم من الصحاح وغيرها، فراجع إن شئت:

مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٢٢/٥٥.

صحيح البخارى: كتاب النكاح، باب في موعظه الرجل ابنته ٣:

٥١٩١/٤٥٩.

صحيح البخارى: كتاب التفسير، بتفسير الآية: «تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» ٣: ٤٩١٣/٣٥٩.

صحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء ٢:

١٤٧٩/٦٤٢.

صحيح الترمذى ٥: ٣٣١٨/٣٤٥.

صحيح النسائى ٢: ٢٤٤٢/٧٢.

و في هذا القدر كفايه، لتعلم أن القصة التي أوردها الشيخ محسن الكاشاني

ص: ٢٠٨.

(١-١) سورة التحريم ١: ٦٦-٥.

مذكوره في كتبهم، و لتعرف من المتقول المفتري !!

و بعد المقدّمه، و قبل الورود في (تشبيد المراجعات) نقول:

لقد كان ابن تيميه - كما أشرنا من قبل - قدوةً للمكابرين من بعده، فهم متى ما أعوزهم الدليل، و عجزوا عن المناقشه، لجأوا إلى كلماته المضطربه المتهافته، التي لا علاقة لها بالمطلب، و لا أساس لها من الصحه... و من ذلك هذا المورد، و بيان ذلك بإيجاز هو:

إنّ المقام ليس مقام البحث عن المناهج التفسيريه عند هذه الفرقه أو تلك، و إنّما المقصود ذكر الأخبار و الأقوال الوارده في كتب أهل السنيّه المعروفه، في طائفه من آيات الكتاب النازله في حقّ أمير المؤمنين و أهل البيت عليهم السلام... فهذا هو المقصود.

و أمّا أنّ منهج الشيعه في التفسير ما هو؟ و منهج غيرهم ما هو؟ و أيّ منهما هو الصحيح؟ فتلك بحوث تطرح في محلّها.

ثمّ إنّ للشيعي أن يقول نفس هذا الكلام الذي قاله القائل، فيقول: «إنّ الدارس للفرق و المذاهب... و لكنّ الفرق بين أصحاب الآراء الصحيحه التي لا تخالف الأصول الإسلاميه، و بين غيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعه...».

لكن من هم «أصحاب الآراء الصحيحه»؟! و من هم «أصحاب المذاهب المبتدعه»!؟

فنحن نقول: إنّ «أصحاب الآراء الصحيحه» في فهم القرآن الكريم، هم أتباع الأئمّه الطاهرين من أهل البيت، كالإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام...

و إنّ «أصحاب المذاهب المبتدعه» هم: عكرمه البربري... و أمثاله.

و سنفضّل الكلام في التعريف بعكرمه و أمثاله على ضوء كلمات أهل

و على الجملة: فإن السيد-رحمه الله-لم يستدلّ في بحوثه هذه بالآيات الكريمة على «منهج الشيعة في التفسير»، وإنّما استدلّ بروايات أهل السُّنَّة و أقوال مفسرّيهم المشاهير على ما هو «منهج البحث و المناظرة».

و تعرّض هذا القائل هنا لمسألة «تحريف القرآن»..و هذه أيضاً لا علاقة لها بالبحث، وإنّما الغرض من ذكرها هنا تشويش ذهن القارئ و تشويه مذهب الشيعة، و نحن نحيل القارئ المنصف إلى كتابنا المطبوع المنتشر في الموضوع و هو: «التحقيق في نفى التحريف عن القرآن الشريف» (1) ليظهر له رأينا في المسألة، و يتبيّن له من القائل بالتحريف!

فلنشرع في (تشديد المراجعات): في (حجج الكتاب):

ص: ٢١٠

١ - ١) نشر أولاً- في حلقات في مجله تراثنا، في الأعداد ٦-١٤، ثم نشرته مؤسسه دار القرآن الكريم في ٣٧١ صفحہ، و لعلّه خير كتاب أخرج للناس في موضوعه.

قال السيد،

مخاطباً الشيخ سليم البشري:

«إِنَّكُمْ -بِحَمْدِ اللَّهِ- مَمَّنْ وَسِعُوا الْكِتَابَ عِلْمًا، وَأَحَاطُوا بِجَلَّتِيهِ وَخَفِيَّتِهِ خَيْرًا، فَهَلْ نَزَلَ مِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ فِي أَحَدٍ مَا نَزَلَ فِي الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ؟! هَلْ حَكَمْتَ مُحْكَمَاتِهِ بِذَهَابِ الرَّجْسِ عَنْ غَيْرِهِمْ؟! وَ هَلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ كَأَيَّةِ تَطْهِيرِهِمْ?!».

أقول:

هذه الآية مباركه هي قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (١).

وقد استدلل بها أصحابنا- تبعاً لأئمة العترة الطاهرة- على عصمه «أهل البيت» و من ثم فهي من أدله إمامه أمير المؤمنين عليه السلام و الأئمة الطاهرين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

وقد كابر بشأنها الخوارج، و النواصب، و المخالفون لـ «أهل البيت» منذ

ص: ٢١١

اليوم الأوّل، و إلى يومنا هذا... و لذا كانت هذه الآية موضع البحث و التحقيق، و الأخذ و الردّ، و كتبت حولها الكتب و الدراسات الكثيره (١).

و نحن نذكر وجه الاستدلال، و لينظر الناظرون هل هو «ضمن دائره التمسك بالكتاب و السنّه».. أو لا؟!

و هذه هي الأقوال في المسأله نقلًا عن أحد المتعصّيين ضدّ الشيعة الإماميه:

«و في المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثه أقوال:

□ □
أحدها: أنّهم نساء رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، لأنّهنّ في بيته.

رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. و به قال عكرمه و ابن السائب و مقاتل. و يؤكّد هذا القول أنّ ما قبله و ما بعده متعلّق بأزواج رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم. و على أبواب هذا القول اعتراض، و هو: إنّ جمع المؤنث بالنون فكيف قيل (عنكم) و (يطهركم)؟ فالجواب: إنّ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فيهنّ فعلب المذكّر.

□ □
و الثانی: إنّّه خاصّ في: رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و عليّ، و فاطمه، و الحسن، و الحسين. قاله أبو سعيد الخدری، و روى عن أنس و عائشه و أمّ سلمه نحو ذلك.

□ □
و الثالث: إنّهم أهل رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و أزواجه، قاله الضحّاك» (٢).

ص: ٢١٢

١- ١) و لنا فيها كتاب ردّاً على كتيب للدكتور على أحمد السالوس، أسماه: «آيه التطهير بين أمّهات المؤمنين و أهل الكساء» صدر بعنوان «مع الدكتور السالوس في آيه التطهير» و هناك التفصيل الأكثر.

٢- ٢) زاد المسير في علم التفسير-للحافظ ابن الجوزي، المتوفّى سنة ٥٩٧-٣٨١: ٦-٣٨٢.

فهذه عبارته الحافظ ابن الجوزي..

فالقائل باختصاص الآية بالرسول و بضعته و وصيته و سبويه عليهم الصلاة و السلام، هم جماعه من الصحابه، و على رأسهم: أم سلمه و عائشه...من زوجاته...

و على رأس القائلين بكونها خاصه بالأزواج: عكرمه البربري...لما سيأتي من أن ابن عباس من القائلين بالقول الثاني..

أمّا القول الثالث فلم يحكه إلّا عن الضحّاك !

فمن هم «أصحاب الآراء الصحيحه»؟! و من هم «اصحاب البدع و الأهواء»؟! و لما ذا أعرض العذّين ادّعوا أنّهم «كانوا تابعين لما تدلّ عليه معاني القرآن الكريم، موضّحين لدلالات ألفاظه كما فهمها سلف الأئمّه و علماؤها، و كما فسّرها الرسول صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و أصحابه و التابعون لهم بإحسان» عن قول أمّ سلمه و عائشه و جماعه من كبار الصحابه و مشاهيرهم - كما سيجيء - و أخذوا بقول «عكرمه» الذي ستعرفه، و أمثاله؟!!

و أمّا تفصيل المطلب، ففي فصول:

ص: ٢١٣

إشاره

فقد أخرج جماعه من كبار الأئمه و الحفّاظ و الأئمه حديث الكساء، الصريح في اختصاص الآيه المباركه بالرسول و أهل بيته الطاهرين عليهم الصلاه و السلام، عن عشراتٍ من الصحابه:

من الصحابه الرواه لحديث الكساء:

و نحن نذكر عدّه منهم فقط:

١- عائشه بنت أبي بكر.

٢- أمّ سلمه زوجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣- عبد الله بن العباس.

٤- سعد بن أبي وقاص.

٥- أبو الدرداء.

٦- أنس بن مالك.

٧- أبو سعيد الخدرى.

٨- واثله بن الأسقع.

ص: ٢١٤

٩- جابر بن عبد الله الأنصاري.

١٠- زيد بن أرقم.

١١- عمر بن أبي سلمه.

١٢- ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

من الأئمة الرواة لحديث الكساء:

و نكتفي بذكر أشهر المشاهير منهم:

١- أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١.

٢- عبد بن حميد الكشي، المتوفى سنة ٢٤٩.

٣- مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح، المتوفى سنة ٢٦١.

٤- أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، المتوفى سنة ٢٧٧.

٥- أحمد بن عبد الخالق البزار، المتوفى سنة ٢٩٢.

٦- محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٩٧.

٧- أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣.

٨- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي.

٩- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.

١٠- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، الشهير بابن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧.

١١- سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠.

١٢- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.

١٣- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

١٤- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.

١٥- أبو بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣.

١٦- أبو السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦.

١٧- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.

١٨- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

من ألفاظ الحديث في الصحاح و المسانيد و غيرها:

و هذه نبذه من ألفاظ الحديث بأسانيدھا (١):

ففي المسند: «حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عبد الله بن نمير، قال: ثنا عبد الملك- يعنى ابن أبي سليمان-، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدّثني من سمع أم سلمة تذكر أنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم كان في بيتها، فأتته فاطمه ببرمه فيها خزيره، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعى زوجك و ابنك.

قالت: فجاء عليّ و الحسين و الحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون تلك الخزيره و هو على منامه له على دكان تحته كساء له خبيرى.

قالت: و أنا أصلى في الحجره، فأنزل الله عزّ و جلّ هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتى و خاصّتى فأذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً.

ص: ٢١٦

١-١) نعم، هذه نبذه من الروايات، إذ لم نورد كلّ ما في المسند أو المستدرک أو غيرهما، بل لم نورد شيئاً من تفسير الطبرى و قد أخرج من أربعة عشر طريقاً، و لا من كثير من المصادر المعتمده في التفسير و الحديث و تراجم الصحابه و غيرها.

قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: و أنا معكم يا رسول الله؟

قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

قال عبد الملك: و حدّثني أبو ليلى عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء.

قال عبد الملك: و حدّثني داود بن أبي عوف الجحّاف، عن (١) حوشب، عن أم سلمة بمثله سواء» (٢).

□
و في المسند: «حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا علي بن زيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: أنّ رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم قال لفاطمه: اثيني بزوجك و ابنيك؛ فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً.

قال: ثمّ وضع يده عليهم ثمّ قال: اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك و بركاتك على محمّد و على آل محمّد، إنّك حميد مجيد.

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجدبه من يدي و قال: إنك على خير» (٣).

□
و في المسند: «حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا يحيى بن حمّاد، ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج، ثنا عمرو بن ميمون، قال: إنني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعه رهط فقالوا: يا ابن عباس، إمّا أن تقوم معنا و إمّا أن تخلونا هؤلاء.

قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم.

قال: و هو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى. قال: فابتدؤا فتحّدثوا، فلا ندرى ما

ص: ٢١٧

١-١ (١) كذا.

٢-٢ (٢) مسند أحمد ٧:٢٥٩٦٩/٤١٥.

٣-٣ (٣) مسند أحمد ٧:٢٦٢٠٦/٤٥٥.

قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أفّ و تَفّ، وقعوا في رجلٍ له عشر، ووقعوا في رجلٍ قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ (فذكر مناقب لعلِّي منها): «و أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ ثوبه فوضعه على عليّ و فاطمه و حسن و حسين فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١).

و في صحيح مسلم: «حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة و محمّد بن عبد الله ابن نمير -و اللفظ لأبي بكر- قالوا: حدّثنا محمّد بن بشر، عن زكريّا عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشه: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ غداً و عليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢).

و في جامع الأصول: «٦٦٨٩ ت، أم سلمه -رضي الله عنها- قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتي: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» قالت: و أنا جالسه عند الباب فقلت: يا رسول الله، أ لست من أهل البيت؟ فقال: إنك إلى خير، أنت من أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ.

١- (١) مسند أحمد ٣٠٥٢/٥٤٤: ١.

٢- (٢) صحيح مسلم ٢٤٢٤/٢٢٩: ٤.

قالت: وفي البيت: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم و عليّ و فاطمه و حسن و حسين، فجلّهم بكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و في روايه: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم جلّ على الحسن و الحسين و عليّ و فاطمه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي و حامتي، أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

قالت أم سلمه: و أنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير.

أخرج الترمذى الروايه الآخره، و الأولى ذكرها رزين (١).

٦٦٩٠ ت، عمر بن أبى سلمه - رضى الله عنه - قال: نزلت هذه الآيه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» في بيت أم سلمه، فدعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم فاطمه و حسناً و حسيناً، فجلّهم بكساء و عليّ خلف ظهره، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

قالت أم سلمه: و أنا معهم يا نبي الله؟

قال: أنت على مكانك و أنت على خير.

أخرجه الترمذى (٢).

٦٦٩١ ت، أنس بن مالك - رضى الله عنه - إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم كان يمرّ بباب فاطمه إذا خرج إلى الصلاه حين نزلت هذه الآيه،

ص: ٢١٩

١- ١) جامع الاصول ١٥٥/٢/٦٧٠٩.

٢- ٢) جامع الاصول ١٥٦/٣/٦٧٠٩.

قريباً من ستّه أشهر، يقول: الصلاة أهل البيت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً».

أخرجه الترمذى (١).

٦٦٩٢ م، عائشه-رضى الله عنها-قالت: خرج النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم و عليه مرط مرخل أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» الآية.

أخرجه مسلم (٢).

و فى الخصائص: «أخبرنا محمد بن المثنى، قال: أخبرنا أبو بكر الحنفى، قال: حدّثنا بكير بن مسمار، قال سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد ابن أبى وقاص: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبى طالب؟!

قال: لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، لأنّ تكون لى واحده منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم:

لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحى، فأخذ عليّاً و ابنه و فاطمه فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: ربّ هؤلاء أهلى و أهل بيتى.

و لا أسبّه ما ذكرت حين خلّفه فى غزوه غزاها...

و لا أسبّه ما ذكرت يوم خيبر...» (٣).

و فى الخصائص: «أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخى و هشام بن عمّار

ص: ٢٢٠

١-١) جامع الاصول ١٥٦/٩:٦٧٠٤.

٢-٢) جامع الاصول ١٥٦/٩:٦٧٠٥.

٣-٣) خصائص امير المؤمنين على بن أبى طالب: ٩٠ الحديث ٥٤.

الدمشقي، قالاً: حدّثنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟! فقال: أما [انا] ما إن ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحده منهن أحبّ إليّ من حمر النعم:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول له، وقد خلفه في بعض مغازيه...

و سمعته يقول يوم خيبر:...

و لما نزلت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» دعا رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّاً و فاطمه و حسناً و حسينا فقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي (١).

أقول:

أخرجه ابن حجر العسقلاني باللفظ الأوّل في «فتح الباري» بشرح حديث: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزله هارون...» فقال:

«و وقع في روايه عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم و الترمذى، قال:

قال معاوية لسعد: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟! »

قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فلن أسبه؛ فذكر هذا الحديث.

و قوله: لأعطين الرايه رجلاً يحبّه الله و رسوله.

ص: ٢٢١

(١-١) خصائص امير المؤمنين على بن ابي طالب: ٣٣ الحديث ١١.

وقوله لما نزلت «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» (١) دعا علياً و فاطمه و الحسن و الحسين، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي» (٢).

و هذا تحريف للحديث ! إذ أسقط أولاً: «فأدخلهم تحت ثوبه»، ثم جعلت الآية النازلة هي آية المباهلة لا آية التطهير ! فتأمل.

و في الخصائص: أخرج حديث عمرو بن ميمون عن ابن عباس المتقدم عن المسند (٣).

و في المستدرک: «حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، ثنا شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت:

في بيتي نزلت هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»، قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي و فاطمه و الحسن و الحسين -رضوان الله عليهم أجمعين- فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي.

قالت أم سلمة: يا رسول الله، وأنا من أهل البيت؟

قال: إنك أهلي خير (٤)، و هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق.

هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه.

حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنبأ العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي، قال: سمعت الأوزاعي يقول: حدّثني أبو عمّار، قال: حدّثني واثله

ص: ٢٢٢

١-١) سورة آل عمران ٦١:٣.

٢-٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٠:٧.

٣-٣) خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب: ٥٢ الحديث ٢٤.

٤-٤) كذا.

ابن الأسقع-رضى الله عنه-قال:جئت اريد علياً-رضى الله عنه-فلم أجده.

فقالت فاطمه-رضى الله عنها:-إنطلق إلى رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم يدعوه فاجلس،فجاء مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فدخل ودخلت معهما.قال:فدعا رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذة،و أدنى فاطمه من حجره وزوجها،ثم لف عليهم ثوبه و أنا شاهد،فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» اللهم هؤلاء أهل بيتي.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه» (١).

و فى تلخيص المستدرک:وافق الحاكم على التصحيح (٢).

و رواه الذهبى بإسناد له عن شهر بن حوشب عن أم سلمه،وفيه:«قالت:

فأدخلت رأسى فقلت:يا رسول الله،و أنا معكم؟

قال:أنت إلى خير-مرتين-».

ثم قال:«رواه الترمذى مختصراً و صححه من طريق الثورى،عن زبيد، عن شهر بن حوشب» (٣).

و فى الصواعق المحرقة: «الآية الأولى:قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» أكثر المفسرين على أنها نزلت فى عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين.لتذكير ضمير(عنكم)و ما بعده» (٤).

ص: ٢٢٣

١-١) المستدرک على الصحيحين ٢:٤١٦ كتاب التفسير.

٢-٢) تلخيص المستدرک ٢:٤١٦.

٣-٣) سير أعلام النبلاء ٣٤٦:١٠-٣٤٧.

٤-٤) الصواعق المحرقة:٢٢٠.

مَنْ نَصَّ عَلَى صَحِّهِ الْحَدِيثِ:

هذا، وقد قال جماعه من الأئمة بصحِّه الحديث الدالّ على اختصاص الآية الكريمة بأهل البيت عليهم السلام، إذ أخرجوه في الصحيح أو نصّوا على صحته، و من هؤلاء:

١- أحمد بن حنبل. بناءً على التزامه بالصحِّه في «المسند».

٢- مسلم بن الحجاج، إذ أخرجه في (صحيحه).

٣- ابن حبان، إذ أخرجه في (صحيحه).

٤- الحاكم النيسابوري، إذ صحّحه في «المستدرک».

٥- الذهبي، إذ صحّحه في «تلخيص المستدرک» تبعاً للحاكم.

٦- ابن تيمية، إذ قال: «فصل - و أمّا حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد و الترمذی من حديث أمّ سلمه، و رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشه...» (١).

ما دلّت عليه الأحاديث:

و هذه الأحاديث الواردة في الصحاح و المسانيد و معاجم الحديث بأسانيد صحيحه متكاثره جداً، أفادت نقطتين:

أولاً: إن المراد ب«أهل البيت» في الآية المباركه هم: النبي و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، لا يشركهم أحد،

ص: ٢٢٤

لا من الأزواج و لا من غيرهنّ مطلقاً.

□
أمّا الأزواج، فلأنّ الأحاديث نصّت على أن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يأذن بدخول واحده منهنّ تحت الكساء.

و أمّا غيرهنّ، فلأنّ النبيّ إنّما أمر فاطمه بأن تجيء بزوجها و ولديها فحسب، فلو أراد أحداً غيرهم -حتى من الأسره النبويّه- لأمر بإحضاره.

و ثانياً: إن الآيه المباركه نزلت في واقعٍ معيّن و قضيه خاصّه، و لا علاقه لها بما قبلها و ما بعدها... و لا ينافيه وضعها بين الآيات المتعلّقه بنساء النبيّ، إذ ما أكثر الآيات المدنيّه بين الآيات المكيّه و بالعكس، و يشهد بذلك:

١- مجى الضمير: «عنكم» و «يطهركم» دون: «عنكنّ و يطهركنّ».

٢- إتصال الآيات التي بعد آيه التطهير بالتي قبلها، بحيث لو رفعت آيه التطهير لم يختل الكلام أصلاً... فليست هي عجزاً لآيه و لا صدرأ لأخرى... كما لا يخفى.

ثمّ ما لطف ما جاء في الحديث جواباً لقول أمّ سلمه: «أ لست من أهل البيت؟» قال:

□
«أنت من أزواج رسول الله!! فإنه يعطى التفصيل مفهوماً و مصداقاً بين العنوانين:

عنوان «أهل البيت» و عنوان «الأزواج» أو «نساء النبيّ».

□
فتكون الآيات المبدوءه في سوره الأحزاب ب: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (١) خَاصَّهُ ب «الأزواج» و الآيه «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» خاصّه

ص: ٢٢٥

١- ١) سوره الأحزاب ٣٢: ٣٣.

باعتره الطاهره.

و حديث مروره صلى الله عليه وآله وسلم بباب فاطمه وقوله: الصلاة أهل البيت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»..رواه كثيرون كذلك لا نطيل بذكر رواياته.

ص: ٢٢٤

إشاره

و بهذه الأحاديث الصحيحه المتفق عليها بين المسلمين يسقط القولان الآخران، لأن المفروض أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
سَلَّمَ فَسِّرَ بِنَفْسِهِ -قَوْلًا- وَ فَعَلًا- آيَةَ الْمَبَارَكَةِ، وَ عَيَّنَ مِنْ نَزَلَتْ فِيهِ، فَلَا- يَسْمَعُ- وَ الْحَالُ هَذِهِ- مَا يَخَالَفُ تَفْسِيرَهُ كَائِنًا مِنْ كَانَ
الْقَائِلُ، فَكَيْفَ وَ الْقَائِلُ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ هُوَ «عَكْرَمَهُ»!؟

وَ قَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَشَدَّ النَّاسِ مَخَالَفَةً لِنَزُولِ آيَةِ فِي الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ فَقَطْ.

فَقَدْ حَكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَنَادِي فِي الْأَسْوَاقِ بِنَزُولِهَا فِي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ فَقَطْ (١) وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ شَاءَ بَاهَلْتَهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ
النَّبِيِّ خَاصَّةً» (٢).

وَ قَدْ كَانَ الْقَوْلُ بِنَزُولِهَا فِي الْعَتْرَةِ هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، كَمَا يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، بَلْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي كَلَامِهِ حَيْثُ
قَالَ: «لَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ» (٣).

إِلَّا أَنَّ مِنْ غَيْرِ الْجَائِزِ الْأَخْذَ بِقَوْلِ عَكْرَمَةَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ أَمْثَالِهِ !

ص: ٢٢٧

١- ١) جامع البيان ٧: ٢٢، تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩١، أسباب النزول للواحدي: ٣٧٠، الحديث ٦٩٩.

٢- ٢) الدر المنثور ٢: ٦٠٢-٦٠٣، تفسير القرآن العظيم ٦: ٤١١.

٣- ٣) الدر المنثور ٦: ٦٠٣.

فإنَّ عكرمه البربري من أشهر الزنادقة الذين وضعوا الأحاديث للطعن في الإسلام! وإليك طرفاً من تراجمه في الكتب المعتره المشهوره (١):

١- طعنه في الدين:

لقد ذكروا أنَّ هذا الرجل كان طاعناً في الإسلام، مستهزئاً بالدين، من أعلام الضلاله و دعاه السوء.

□
فقد نقلوا عنه أنه قال: إنَّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلَّ به!

و قال في وقت الموسم: وددت أني اليوم بالموسم و بيدي حربه فأعرض بها من شهد الموسم يميناً و شمالاً!

و أنه وقف على باب مسجد النبي و قال: ما فيه إلَّا كافر!

و ذكروا أنه كان لا يصلِّي، و أنه كان في يده خاتم من الذهب، و أنه كان يلعب بالنرد، و أنه كان يستمع الغناء.

٢- كان من دعاه الخوارج:

و أنه إنَّما اخذ أهل أفريقيه رأى الصفريه -و هم من غلاه الخوارج- منه، و قد ذكروا أنه نحل ذلك الرأي إلى ابن عباس!

و عن يحيى بن معين: إنَّما لم يذكر مالك عكرمه، لأنَّ عكرمه كان ينتحل رأى الصفريه.

و قال الذهبي: قد تكلم الناس في عكرمه، لأنَّه كان يرى رأى الخوارج.

ص: ٢٢٨

١ - ١) الطبقات الكبرى ٥: ٢٨٧، الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣، تهذيب الكمال ٢٠: ٢٦٤، وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥، ميزان الاعتدال ٣: ٩٣، المغنى في الضعفاء ٢: ٦٧، سير أعلام النبلاء ٥: ١٢، تهذيب التهذيب ٧: ٢٣٤-٧: ٢٤٢.

كذب علي سیده ابن عباس حتّى أوثقه عليّ بن عبد الله بن عباس علي باب كنيف الدار. ف قيل له: أ تفعلون هذا بمولاكم؟! قال: إنّ هذا يكذب علي أبي.

و عن سعيد بن المسيّب، أنّه قال لمولاه: يا برد، إياك أن تكذب عليّ كما يكذب عكرمه علي ابن عباس.

و عن ابن عمر، أنّه قال لمولاه: اتق الله، ويحك يا نافع لا تكذب عليّ كما كذب عكرمه علي ابن عباس.

و عن القاسم: إنّ عكرمه كذاب.

و عن ابن سيرين و يحيى بن معين و مالك: كذاب.

و عن ابن ذويب: كان غير ثقّه.

و حرم مالك الروايه عنه.

و أ عرض عنه مسلم بن الحجاج.

و قال محمّد بن سعد: ليس يحتجّ بحديثه.

٤- ترك الناس جنازته:

و لهذه الأمور و غيرها ترك الناس جنازته؛ قيل: فما حملة أحد، حتّى اكتروا له أربعة رجال من السودان.

ترجمه مقاتل:

و مقاتل حاله كحال عكرمه، فقد أدرجه كلّ من: الدارقطني، و العقيلي، و ابن الجوزي، و الذهبي في (الضعفاء)... و تكفينا كلمه الذهبي: «اجمعوا

على تركه» (١).

ترجمه الضحاک:

و أما القول الآخر فقد عزاه ابن الجوزى إلى الضحاک بن مزاحم فقط:

و هذا الرجل أدرجه ابن الجوزى نفسه كالعقيلي في (الضعفاء) و تبعهما الذهبي فأدرجه في «المغنى في الضعفاء»... و نفوا أن يكون لقي ابن عباس، بل ذكر بعضهم أنه لم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و عن يحيى بن سعيد: كان الضحاک عندنا ضعيفاً.

قالوا: و كانت أمه حاملاً به سنتين! (٢).

هذا، و لكن في نسبه هذا القول - كنسبه القول الأول إلى ابن السائب الكلبى - كلام، فقد نسب إليهما القول باختصاص الآيه بالخمسه الأطهار في المصادر و هو الصحيح، كما حَقَّقنا ذلك في الرد على السالوس.

ص: ٢٣٠

١-١) سير أعلام النبلاء ٢٠٢:٧.

٢-٢) تهذيب الكمال ١٣:٢٩١، ميزان الاعتدال ٢:٣٢٥، المغنى في الضعفاء ١:٤٩٤ رقم ٢٩١٢.

الفصل الثالث: في دلالة الآية المباركة على عصمه أهل البيت

و كما أشرنا من قبل، فإن أصحابنا يستدلون بالآية المباركة -بعد تعيين المراد بأهل البيت فيها بالأحاديث المتواترة بين الفريقين- على عصمه أهل البيت... وقد جاء ذكر وجه الاستدلال لذلك مشروحاً في كتبهم في العقائد و الإمامة، و في تفاسيرهم بديل الآية المباركة، و يتلخص في النقاط التالية:

□
١- «إنما» تفيد الحصر، فالله سبحانه حصر إرادته إذهب الرجس عنهم.

٢- «الإرادة» في الآية الكريمة تكوينية، من قبيل الإرادة في قوله تعالى:

□
«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (١) لا تشريعية من قبيل الإرادة في قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» (٢)، لأن التشريعية تتنافى مع نص الآية بالحصر، إذ لا خصوصية لأهل البيت في تشريع الأحكام لهم.

□
و تتنافى مع الأحاديث، إذ النبي صلى الله عليه و آله و سلم طبق الآية عليهم دون غيرهم.

٣- «الرجس» في الآية هو «الذنوب».

و تبقى شبهة: إن الإرادة التكوينية تدل على العصمة، لأن تخلف المراد

ص: ٢٣١

١- ١) سورة يس ٨٢: ٣٦.

٢- ٢) سورة البقرة ١٨٥: ٢.

عن إرادته عز و جلّ محال، لكنّ هذا يعنى الالتزام بالجبر و هو ما لا تقول الإماميه به.

و قد أجاب علماؤنا عن هذه الشبهه-بناءً على نظريه: لا جبر و لا تفويض، بل أمر بين الأمرين-بما حاصله:

□
إنّ مفاد الآيه أنّ الله سبحانه لمّا علم أن إرادته أهل البيت تجرى دائماً على وفق ما شرّعه لهم من التشريعات، لما هم عليه من الحالات المعنويه العاليه، صحّ له تعالى أن يخبر عن ذاته المقدسه أنّه لا يريد لهم بإرادته التكوينيّه إلّا إذهاب الذنوب عنهم، لأنّه لا يوجد من أفعالهم، ولا يقدرهم إلّا على هكذا أفعالٍ يقومون بها بإرادتهم لغرض إذهاب الرجس عن أنفسهم...

ثمّ إنّه لو لا دلالة الآيه المباركه على هذه المنزله العظيمة لأهل البيت، لما حاول أعداؤهم من الخوارج و النواصب إنكارها، بل و نسبتها إلى غيرهم، مع أنّ أحداً لم يدّع ذلك لنفسه سواهم.

ص: ٢٣٢

إشاره

و جاء العلماء..و هم يعلمون بمدلول الآيه المباركه و مفاد الأحاديث الصحيحه الوارده بشأنها.و هم من جهه لا يريدون الاعتراف بذلك،لأنه في الحقيقه نسف لعقائدهم في الأصول و الفروع...و من جهه أخرى ينسبون أنفسهم إلى «السنه»و يدعون الأخذ بها و الاتباع لها...فوقعوا في اضطرابٍ،و تناقضت كلماتهم فيما بينهم،بل تناقضت كلمات الواحد منهم...

فمنهم من وافق الإماميه،بل-في الحقيقه-تبع السنه النبويه الثابته في المقام و أخذ بها.

و منهم من وافق عكرمه الخارجى و مقاتل المجمع على تركه.

و منهم من أخذ بقول الضحاک الضعيف،خلافاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و كبار الصحابه.

فهم على طوائف ثلاث:

و نحن نذكر من كل طائفه واحداً أو اثنين:

فمن الطائفه الاولى:

أبو جعفر الطحاوى (1)قال:«باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ص: ٢٣٣

١- ١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامه المصرى الحنفى-المتوفى سنة ٣٢١ هـ-توجد ترجمته مع الشاء البالغ فى:طبقات أبى إسحاق الشيرازى:١٤٨،و المنتظم ١٣:٣١٨،و وفيات الأعيان ١:٧١،و تذكره الحفاظ ٣:٨٠٨ و الجواهر المضيئه فى طبقات الحنفيه ١:٢٧١،و غايه النهايه فى طبقات القراء ١:١١٦،و حسن المحاضره ١:٣٥٠،و طبقات الحفاظ:٣٣٩،و غيرها. و قد عنونه الحافظ الذهبى بقوله:«الطحاوى الإمام العلامة،الحافظ الكبير،محدث الديار المصريه و فقيهها»قال:«ذكره أبو سعيد بن يونس فقال:عداده فى حجر الأزد،و كان ثقه ثبتاً فقيهاً عاقلاً-لم يخلف مثله»قال الذهبى:«قلت:من نظر فى تواليف هذا الإمام علم محلّه من العلم وسعه معارفه...»سير أعلام النبلاء ٢٧:١٥-٣٢.

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَرَادِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» مَنْ هُمْ؟

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ الْمَرَادِيُّ، حَدَّثَنَا أُسَدُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا بَكِيرُ بْنُ مَسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي.

فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرَادَ بِمَا فِي هَذِهِ آيَةِ هُمْ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ.

حَدَّثَنَا فَهْدٌ، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر، عن عبد الرحمن البجلي، عن حكيم بن سعيد، عن أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْأَوَّلِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَخْرَجَ بِأَسَانِيدٍ عَدِيدَةٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ، وَفِيهَا الدَّلَالَةُ

الصريحه على اختصاص الآيه بأهل البيت الطاهرين، و هي الأحاديث التي جاء فيها أنّ أم سلمه سألت:

«و أنا معهم؟» فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنت من أزواج النبي، و أنت على خير-أو: إلى خير-».

و قالت: «فقلت: يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟ فقال: إنّ لك عند الله خيراً. فوددت أنّه قال نعم، فكان أحبّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس و تغرب».

و قالت: «فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجدبه رسول الله و قال: إنّك على خير».

قال الطحاوي: «فدلّ ما روينا من هذه الآثار-ممّا كان من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أم سلمه-ممّا ذكرنا فيها لم يرد به أنّها كانت ممّا أريد به ممّا في الآيه المتلوّه في هذا الباب، و أنّ المراد بما فيها هم: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين دون من سواهم-يدلّ على مراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله لأم سلمه في هذه الآثار من قوله لها: (أنت من أهلي):»

ما قد حدّثنا محمد بن الحجاج الحضرمي و سليمان الكيسانى، قال:

حدّثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، أخبرني أبو عمّار، حدّثني وائله... فقلت: يا رسول الله، و أنا من أهلك؟ فقال: و أنت من أهلي.

قال وائله: فإنّها من أرجى ما أرجو!

و وائله أبعد منه عليه السلام من أم سلمه منه، لأنّه إنّما هو رجل من بني ليث، ليس من قريش. و أم سلمه موضعها من قريش موضعها الذي به منه.

فكان قوله لوائله: أنت من أهلي، على معنى: لا تباغك إياي و إيمانك بي،

فدخلت بذلك فى جملى.

□
و قد وجدنا الله تعالى قد ذكر فى كتابه ما يدل على هذا المعنى بقوله:

«و نادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى» (١) فأجابه فى ذلك بأن قال:

«إنه ليس من أهلك» (٢) إنه يدخل فى أهله من يوافقه على دینه و إن لم يكن من ذوى نسبه.

□ □
فمثل ذلك أيضاً ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جواباً لأم سلمه: «أنت من أهلى» يحتمل أن يكون على هذا المعنى أيضاً، و أن يكون قوله ذلك كقوله مثله لوائله.

□ □
و حديث سعد و ما ذكرناه معه من الأحاديث فى أول الباب معقول بها من أهل الآيه المتلوّه فيها، لأننا قد أحطنا علماً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا من أهله عند نزولها لم يبق من أهلها المرادين فيها أحد سواهم، و إذا كان ذلك كذلك استحال أن يدخل معهم فيما أريد به سواهم. و فيما ذكرنا من ذلك بيان ما وصفنا.

□
فإن قال قائل: فإن كتاب الله تعالى يدل على أن زواج النبى هم المقصودون بتلك الآيه، لأنه قال قبلها فى السوره التى هى فيها: «يا أيها النبى قل لأزواجك...» (٣) فكان ذلك كله يؤذن به، لأنه على خطاب النساء لا على خطاب الرجال، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس» الآيه.

□
فكان جوابنا له: إن الذى تلاه إلى آخر ما قبل قوله: «إنما يريد الله»

ص: ٢٣٦

١-١) سوره هود ١١:٤٥.

٢-٢) سوره هود ١١:٤٦.

٣-٣) سوره الأحزاب ٣٣:٢٨.

الآيه..خطاب لأزواجه، ثم أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالى: «أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ» الآيه، فجاء به على خطاب الرجال، لأنه قال فيه: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ» وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالنون وكذلك خطاب النساء.

فعلنا أن قوله: «أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ» الآيه، خطاب لمن أراد من الرجال بذلك، ليعلمهم تشريفه لهم و رفعه لمقدارهم أن جعل نساءهم ممن قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوّه قبل الذي خاطبهم به تعالى.

و ممّا دلّ على ذلك أيضاً ما حدّثنا... عن أنس: أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت «أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ» الآيه.

و ما قد حدّثنا... حدّثني أبو الحمراء، قال: صحبت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

في هذا أيضاً دليل على أنّ هذه الآيه فيهم. وباللّه التوفيق» (١).

و من الطائفة الثانيه:

ابن الجوزي (٢) و الذهبي (٣).. فإنهما تبعاً عكرمه البربري الخارجي، و مقاتل بن سليمان، على ما هو مقتضى تعصّبهما و عنادهما لأهل البيت عليهم السلام!

ص: ٢٣٧

١- (١) مشكل الآثار ٣٣٢:١-٣٣٩.

٢- (٢) و هذا ظاهر كلامه في زاد المسير ٣٨١:٦، حيث ذكر هذا القول أولاً و جعل يدافع عنه!

٣- (٣) سير أعلام النبلاء ٢٠٧:٢.

ابن كثير.. فإنه بعد أن ذكر فريه عكرمه قال: «فإن كان المراد أنهم كنّ سبب النزول دون غيرهنّ، فصحيح؛ وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهنّ، ففي هذا نظر. فإنه قد وردت أحاديث تدلّ على أنّ المراد أعّم من ذلك».

ثمّ أورد عدّه كثيره من تلك الأحاديث التي هي نصّ في اختصاص الآيه بالرسول و الوصيّ و الحسين و الصديقه الطاهره عليهم الصلاه و السلام، و أنّ قول عكرمه مخالف للكتاب و السنّه...

غير أنّ تعصّبه لم يسمح له بالإذعان لذلك، حتّى قال بدخول الزوجات في المراد بالآيه! متشبّثاً بالسياق، فقال: «ثمّ الذي لا يشكّ فيه من تدبّر القرآن أنّ نساء النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم داخلات في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فإنّ سياق الكلام معهنّ...» (1).

اعتراف ابن تيميه بصحّه الحديث:

و العجب أنّ ابن تيميه لا يقول بهذا و لا بذاك! بل يدعن بصحّه الحديث كما استدللّ العلّامه الحلّي -رحمه الله-، قال العلّامه:

«و نحن نذكر هنا شيئاً يسيراً ممّا هو صحيح عندهم، و نقلوه في المعتمد من كتبهم، ليكون حجّه عليهم يوم القيامة، فمن ذلك:

ما رواه أبو الحسن الأندلسي (2) في «الجمع بين الصحاح السنّه» موطاً

ص: ٢٣٨

١-١) تفسير القرآن العظيم ٤١١:٦.

٢-٢) و هو: رزين بن معاويه العبدري، صاحب «تجريد الصحاح» المتوفّي سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء ٢٠٤:٢٠ حيث ترجم له و وصفه ب: الإمام المحدث الشهير، و حكى عن ابن عساكر: «كان إمام المالكيين بالحرم». و ترجم له أيضاً في: تذكره الحفاظ ٤:١٢٨١، و العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤:٩٦، و النجوم الزاهره ٥:٢٦٧، و مرآه الجنان ٣:٢٠١، و غيرها.

مالك، و صحيحى مسلم و البخارى، و سنن أبي داود، و صحيح الترمذى، و صحيح النسائى: عن أم سلمه-زوج النبى صلى الله عليه و آله و سلم- أن قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً» أنزلت فى بيتها: و أنا جالسه عند الباب، فقلت: يا رسول الله، أ لست من أهل البيت؟ فقال:

إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

قالت: و فى البيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على و فاطمه و حسن و حسين، فجللهم بكساء و قال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» (١).

فقال ابن تيمية:

«فصل: و أمياً حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد و الترمذى من حديث أم سلمه، و رواه مسلم فى صحيحه من حديث عائشه، قالت: خرج النبى صلى الله عليه [و آله] و سلم ذات غداه و عليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله معه فى المرط، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً».

و هذا الحديث قد شركه فيه فاطمه و حسن و حسين-رضى الله عنهم- فليس هو من خصائصه، و معلوم أن المراه لا تصلح للإمامه، فعلم أن هذه

ص: ٢٣٩

الفضيله لا تختص بالأئمه، بل يشركهم فيها غيرهم.

ثم إن مضمون هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم دعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس و يطهرهم تطهيراً.

و غايه ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم؛ و اجتناب الرجس واجب على المؤمنين، و الطهاره مأمور بها كل مؤمن..

قال الله تعالى: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» (١) و قال: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا» (٢) و قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (٣).

فغايه هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور و ترك المحذور، و الصديق -رضى الله عنه- قد أخبر الله عنه بأنه «الأتقى* الذي يؤتى ماله يتزكى و ما لأحد عنده من نعمه تجزى* إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى و لسوف يرزى» (٤).

و أيضاً: فإن السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٥) -لا بد أن يكونوا قد فعلوا المأمور و تركوا المحذور، فإن هذا الرضوان و هذا الجزاء إنما ينال بذلك و حينئذ فيكون ذهاب الرجس

ص: ٢٤٠

١-١) سورة المائدة ٥:٥.

٢-٢) سورة التوبه ٩:١٠٣.

٣-٣) سورة البقره ٢:٢٢٢.

٤-٤) سورة الليل ١٧:٩٢-٢١.

٥-٥) سورة التوبه ٩:١٠٠.

عنهم و تطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم.

فما دعا به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ لأهل الكساء هو بعض ما وصف اللهُ به السابقين الأولين.

و النبي دعا لغير أهل الكساء بان يصلى اللهُ عليهم، و دعا لأقوام كثيرين بالجَنَّة و المغفرة و غير ذلك، ممَّا هو أعظم من الدعاء بذلك، و لم يلزم أن يكون من دعا له بذلك أفضل من السابقين الأولين، و لكنَّ أهل الكساء لَمَّا كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس و فعل التطهير، دعا لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به، لئلا يكونوا مستحقين للذمِّ و العقاب، و لينالوا المدح و الثواب» (١).

هذا نصّ كلام ابن تيميّه، و أنت ترى فيه:

١- الاعتراف بصحّ الحديث الدالّ على نزول الآية المباركه فى أهل الكساء دون غيرهم.

٢- الاعتراف بأنّه فضيله.

٣- الاعتراف بعدم شمول الفضيله لغير عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام.

فأين قول عكرمه؟! و أين السياق؟! و أين ما ذهب إليه ابن كثير؟!!

سقوط كلمات ابن تيميّه:

و تبقى كلمات ابن تيميّه، فإنّه بعد أعرض عن قول عكرمه، و عن قول من

ص: ٢٤١

قال بالجمع، و اعترف بالاختصاص بالعترة، أجب عن الاستدلال بالآيه المباركه بوجوه واضحه البطلان:

«فأول شيء قاله هو: «هذا الحديث قد شرکه فيه فاطمه...».

و فيه: إنَّ العلامه الحلی لم یدع کون الحديث من خصائص علی علیه السلام، بل الآيه المبارکه و الحديث يدلان علی عصمه «أهل البيت» و هم: النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و علی و فاطمه و الحسن و الحسين.. و المعصوم هو المتعين للإمامه بعد رسول الله، غير أنَّ المرأه لا تصلح للإمامه. نعم، هو من خصائصه فی مقابل أبي بكر و غيره، و هذا هو المهم.

□
«ثم قال: «ثم إنَّ مضمون هذا الحديث أنَّ النبي دعا لهم... بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس... فغايه هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور و ترك المحذور».

و هذا من قلّه فهمه أو شدّه تعصّبه:

□
أمّا أولاً: فلأنّه ينافی صريح الآيه المبارکه، لأنَّ «إنّما» دالّه علی الحصر، و كلامه دالّ علی عدم الحصر، فما ذكره ردّ علی الله و الرسول.

□
أمّا ثانياً: فلأنّ فی كثير من «الصحيح» أنّ الآيه نزلت، فدعا رسول الله علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً فجلّلهم بكساء و قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي... فالله عزّ و جلّ يقول: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...» و النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يعين «أهل البيت» و أنّهم هؤلاء دون غيرهم.

و أمّا ثالثاً: فلأنّه لو كان المراد هو مجرّد الدعاء لهم بأن يكونوا «من المتقين» و «الطهاره مأمور بها كلّ مؤمن» «فغايه هذا أن يكون دعاءً لهم بفعل المأمور و ترك المحذور» فلا فضيله فی الحديث، و هذا يناقض قوله من قبل:

«فعلّم أنّ هذه الفضيله...»!!

و أمّا رابعاً: فلأنّه لو كان «غايه ذلك أن يكون دعاءً لهم بفعل الأمور و ترك المحظور» فلما ذا لم يأذن لأمّ سلمه بالدخول معهم؟!

أ كانت «من المتّقين الذين أذهب الله عنهم الرجس...» فلا حاجه لها إلى الدعاء؟! أو لم يكن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يريد منها أن تكون «من المتّقين...»؟!

و أمّا خامساً: فلو سلّمنا أنّ «غايه هذا أن يكون دعاء لهم...» لكن إذا كان الله سبحانه «يريد» و الرسول «يدعو» -و دعاؤه مستجاب قطعاً- كان «أهل البيت» متّصّفين بالفعل بما دلّت عليه الآيه و الحديث.
*فقال: «و الصديق قد أخبر الله عنه...».

و حاصله: إنّ غايه ما كان في حقّ «أهل البيت» هو «الدعاء» و ليس في الآيه و لا الحديث إشارة إلى «استجابته» هذا الدعاء، فقد يكون و قد لا يكون، و أمّا ما كان في حقّ «أبي بكر» فهو «الأخبار» فهو كائن، فهو أفضل من «أهل البيت»!!
و فيه:

أولاً: في «أهل البيت» في الآيه شخص النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لا ريب في أفضليّته المطلقه.
و ثانياً: في «أهل البيت» في الآيه فاطمه الزهراء، و قد اعترف غير واحد من أعلام القوم بأفضليّتها من أبي بكر:

فقد ذكر العلامة المناوي بشرح الحديث المتّفق عليه بين المسلمين:

«فاطمه بضعه مني فمن أغضبها أغضبني»: «استدلَّ به السهيلي (١) على أن من سبَّها كفر، لأنه يغضبه، و أنها أفضل من الشيخين».

وقال: «قال الشريف السهمودي: و معلوم أن أولادها بضعه منها، فيكونون بواسطتها بضعه منه، و من ثم لما رأت أم الفضل في النوم أن بضعة منه وضعت في حجرها أولها رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم بأن تلد فاطمه غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها. فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعه من تلك البضعة و إن تعددت الوسائط، و من تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم و تجنَّب بغضهم على أي حال كانوا عليه.

قال ابن حجر: و فيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم بتأذيه، فكل من وقع منه في حق فاطمه شيء فتأذت به فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم يتأذى به بشهادته هذا الخبر، و لا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها، و لهذا عرف بالاستقراء معاجله من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ» (٢) «(٣).

و ثالثاً: في «أهل البيت» في الآية: الحسن و الحسين، و إن نفس الدليل

ص: ٢٤٤

-
- ١ - ١) عبد الرحمن بن عبد الله، العلّامة الأندلسي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف، برع في العربيّة و اللغات و الأخبار و الأثر، و تصدر للإفاده، من أشهر مؤلفاته: الروض الأنف - شرح «السيره النبويه» لابن هشام - توفي سنة ٥٨١هـ، له ترجمه في: مرآة الجنان ٣: ٣٢٠، النجوم الزاهره ١٠٠: ٦ - ١٠١، العبر ٨٢: ٣.
- ٢ - ٢) سورة طه ١٢٧: ٢٠.
- ٣ - ٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٤٢١.

الذى أقامه الحافظ السهيلي و غيره على تفضيل الزهراء دليل على أفضليته الحسين، بالإضافة إلى الأدلة الأخرى، و منها آية التطهير و«حديث الثقلين» الدالين على «العصمة»، و لا ريب فى أفضليته المعصوم من غيره.

و رابعاً: فى «أهل البيت» فى الآية: أمير المؤمنين عليه السلام، و هى - مع أدله غيرها لا تحصى - تدلّ على أفضليته على جميع الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و خامساً: كون المراد من الآية «الأتقى...» «أبو بكر» هو قول انفرد القوم به، فلا يجوز أن يعارض به القول المتفق عليه.

و سادساً: كون المراد بها «أبو بكر» أوّل الكلام، و قد تقدّم الكلام على ذلك.

«قال:» و أيضاً: فإن السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار... فما دعا به النبى...».

و حاصله: أفضليه «السابقين الأولين...» من «أهل البيت» المذكورين.

و يرد عليه: ما ورد على كلامه السابق، فإن هذا فرع أن يكون الواقع من النبى صلى الله عليه و آله و سلم هو صرف «الدعاء». و قد عرفت أن الآية تدلّ على أن الإرادة الإلهية تعلقت بإذهاب الرجس عن أهل البيت و تطهيرهم تطهيراً، فهى داله على عصمه «أهل البيت» و قد قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أعلن للأمم الإسلاميه أنهم: هو و على و فاطمه و الحسن و الحسين.

ثم إن الآية: «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ...» (١) المراد فيها أمير المؤمنين عليه السلام، و يشهد بذلك تفسير قوله تعالى: «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» أو لئِكَ

ص: ٢٤٥

الْمُقَرَّبُونَ» (١) يعلى عليه السلام.

□
فعن ابن عتياس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «السَّبَقُ ثلاثه، السابق إلى موسى: يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى: صاحب ياسين، والسابق إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه: حسين بن حسن الأشقر، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح» (٢).

قلت:

«الحسين بن حسن الأشقر» من رجال النسائي في (صحيحه) وقد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد من شرط الشيخين (٣). وقد روى عنه كبار الأئمة الأعلام: كأحمد بن حنبل، وابن معين، والفلاس، وابن سعد، وأمثالهم (٤).

□
وقد حكى الحافظ بترجمته، عن العقيلي، عن أحمد بن محمد بن هاني، قال: قلت لأبي عبد الله -يعني ابن حنبل- تحدث عن حسين الأشقر؟! قال: لم يكن عندي ممن يكذب.

□
وذكر عنه التشيع فقال له العتياس بن عبد العظيم: إنه يحدث في أبي بكر وعمر. قلت أنا: يا أبا عبد الله! إنه صنّف باباً في معابيهما. فقال: ليس هذا

ص: ٢٤٦

١-١ (١) سورة الواقعة ١٠: ٥٦ و ١١.

٢-٢ (٢) مجمع الزوائد ١٠٢: ٩.

٣-٣ (٣) تذكره الحفاظ ٧٠٠: ٢.

٤-٤ (٤) تهذيب التهذيب ٢٩١: ٢.

بأهل أن يحدث عنه» (١).

و كأنّ هذا هو السبب في تضعيف غير أحمد، و عن الجوزجاني: غال، من الشتامين للخيره (٢). و لذا يقولون: له مناكير، و أمثال هذه الكلمه مّا يدلّ على طعنهم في أحاديث الرجل في فضل عليّ أو الحظ من مناوئيه، و ليس لهم طعن في الرجل نفسه، و لذا قال ابن معين: كان من الشيعة الغاليه. فقيل له: فكيف حديثه؟! قال لا بأس به. قيل: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه (٣).

و من هنا قال الحافظ: «الحسين بن حسن الأشقر، الفزارى، الكوفى صدوق، بهم و يغلو في التشيع، من العاشره، مات سنه ٢٠٨، س» (٤).

و أمّا أبو بكر.. فلم يكن من السابقين الأولين:

قال أبو جعفر الطبرى: «و قال آخرون: أسلم قبل أبي بكر جماعه. ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا كنانة بن جبلة، عن إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج بن الحجاج، عن قتاده، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمّد بن سعد، قال: قلت لأبى:

أ كان أبو بكر أولكم إسلاماً؟

فقال: لا؛ و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين؛ و لكن كان أفضلنا إسلاماً» (٥).

ص: ٢٤٧

١-١) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩١.

٢-٢) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩١.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩٢.

٤-٤) تهذيب التهذيب ١: ١٧٥.

٥-٥) تاريخ الطبرى ٢: ٣١٦.

ثم إن ابن تيمية تعرض لآية التطهير في موضع آخر، ولكنه هذه المرة لم ينص على صحه الحديث! ولم يعترف بمفاده! بل ادعى كون الأزواج من أهل البيت! وهو القول الثالث الذي نسبه ابن الجوزي إلى الضحّاك بن مزاحم، وهذه هي عبارته.

«و أمّا آية الطهاره فليس فيها إخبار بطهاره أهل البيت و ذهاب الرجس عنهم، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم و ذهاب الرجس عنهم، فإنّ قوله:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ و قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ و قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ و الله يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا* يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا .

فالإرادة هنا متضمنة للأمر و المحبة و الرضا، و ليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، فإنه لو كان كذلك لكان قد تطهر كل من أراد الله طهارته.

و هذا على قول هؤلاء القدرية الشيعة أوجه، فإنّ عندهم أنّ الله يريد ما لا يكون! و يكون ما لا يريد!

فقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إذا كان هذا بفعل المأمور و ترك المحذور كان ذلك متعلقاً بإرادتهم و أفعالهم، فإن فعلوا ما أمروا به طهروا و إلّا فلا.

و هم يقولون: إنّ الله لا يخلق أفعالهم و لا يقدر على تطهيرهم و إذهاب الرجس عنهم، و أمّا المثبتون للقدر فيقولون: إنّ الله قادر على ذلك، فإذا ألهمهم

فعل ما أمر و ترك ما حظر حصلت الطهاره و ذهاب الرجس.

و ممّا يبيّن أنّ هذا ممّا أمروا به لا ممّا أُخبروا بوقوعه: ما ثبت في الصحيح أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم أدار الكساء على عليّ و فاطمه و حسن و حسين ثمّ قال اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشه، و رواه أهل السنن عن أمّ سلمه.

و هو يدلّ على ضدّ قول الرافضه من وجهين:

أحدهما: أنّه دعا لهم بذلك. و هذا دليل على ان الآيه لم يخبر بوقوع ذلك، فإنّه لو كان قد وقع لكان يثنى على الله بوقوعه و يشكره على ذلك، لا يقتصر على مجرد الدعاء به.

الثاني: إنّ هذا يدلّ على أنّ الله قادر على إذهاب الرجس عنهم و تطهيرهم، و ذلك يدلّ على أنّه خالق أفعال العباد.

و ممّا يبيّن أنّ الآيه متضمّنه للأمر و النهي قوله في سياق الكلام: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ... وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً».

و هذا السياق يدلّ على أنّ ذلك أمر و نهى.

و يدلّ على أنّ أزواج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم من أهل بيته، فإن السياق إنّما هو في مخاطبتهن.

و يدلّ على أن قوله «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» عمّ غير أزواجه، كعليّ و فاطمه و حسن و حسين رضي الله عنهم، لأنّه ذكره بصيغه التذكير لما اجتمع المذكّر و المؤنث. و هؤلاء خصّوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه، فلهذا

خَصَّيْهِم بِالِدَعَاءِ لَمَا أَدخَلَهُمْ فِي الكِسَاءِ، كما أَنَّ مَسْجِدَ قِبَاءِ أُسَيْسَ عَلَى التَّقْوَى، وَ مَسْجِدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَ سَلَّمَ أَيْضاً أُسَيْسَ عَلَى التَّقْوَى وَ هُوَ أَكْمَلُ فِي ذَلِكَ. فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَمَسِيْ جِدُّ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ...» (١) بِسَبَبِ مَسْجِدِ قِبَاءِ تَنَاولَ اللَّفْظَ لِمَسْجِدِ قِبَاءِ وَ لِمَسْجِدِهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ] بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ.

وَ قَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ أَزْوَاجُهُ مِنْ آلِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، هُمَا رَوَايَتَانِ عَنِ أَحْمَدَ، أَصْحَبَهُمَا أَنَّهُنَّ مِنْ آلِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ، كما دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى أَزْوَاجِهِ وَ ذُرِّيَّتِهِ. وَ هَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ» (٢).

أقول:

لَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ التَّهَرَّبَ مِنَ الْإِلْتِزَامِ بِمَفَادِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ وَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الثَّابِتَةِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ بِشَأْنِهَا- كما اعترف هو أيضاً- بِشَبَهَاتٍ وَاهِيَةٍ وَ كَلِمَاتٍ مَتَهافتِهِ، وَ مِنْ رَاجِعِ كُتُبِ الْأَصْحَابِ فِي بَيَانِ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ- عَلَى ضَوْءِ السُّنَّةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا- عَرَفَ مَوَارِدَ النَّظَرِ وَ مَوَاضِعَ التَّعَصُّبِ فِي كَلَامِهِ...

وَ قَدْ ذَكَرْنَا نَحْنُ أَيْضاً طَائِفَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى وَقُوعِ إِذْهَابِ الرَّجْسِ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَ تَطْهِيرِهِمْ عَنْهُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِإِرَادَتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ غَيْرِ الْمَنَافِيَةِ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي مَسْأَلَةِ الْجَبْرِ وَ الْإِخْتِيَارِ.

ص: ٢٥٠

١-١) سورة التوبة ١٠٨:٩.

٢-٢) منهاج السنَّة ٢١:٤-٢٤.

فالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَيَّنَ الْمَرَادَ مِنْ «أَهْلِ الْبَيْتِ» عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَدَعَا لَهُمْ أَيْضاً وَلا رَيْبَ فِي أَنَّ دَعَاءَهُ مُسْتَجَابٌ.

كَمَا عَلِمْنَا مِنَ الْخُصُوصِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي نَفْسِ الْآيَةِ، وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي مَعْنَاهَا أَنَّ الْآيَةَ خَاصَّةً بِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَهَذَا مَا اعْتَرَفَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ كَالطُّحَاوِيِّ وَابْنِ حَبَّانَ تَبَعاً لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَاعْلَامِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّهَا نَازَلَتْ فِي قَضِيئِهِ خَاصَّةً، غَيْرَ أَنَّهَا وَضَعَتْ ضَمْنَ آيَاتِ نِسَاءِ النَّبِيِّ، وَكَمْ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ، حَيْثُ وَضَعَتْ الْآيَةَ الْمَكِّيَّةَ ضَمْنَ آيَاتِ مَدِينِهِ أَوْ الْمَدِينِيَّةَ ضَمْنَ آيَاتِ مَكِّيَّةِ.

وَكَانَتْ دَلَّتْ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ وَالْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ وَغَيْرَهَا عَلَى أَنَّ عِنْوَانَ «أَهْلِ الْبَيْتِ» -أَيُّ: أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ- لَا يَعْمُّ أَزْوَاجَهُ، بَلْ لَا يَعْمُّ أَحَدًا مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَسْرَتِهِ إِلَّا بِقَرِينِهِ.

هَذَا، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي ذَيْلِ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، أَنَّهُ سَأَلَ: هَلْ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: «لَا وَ أَيْمَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرِ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يَطْلُقُهَا فَتَرْجِعُ إِلَى أَبِيهَا وَ قَوْمِهَا».

وَ هَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ.

وَ أَمَّا مَا رَوَاهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ: «أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ حَرَمِ الصَّدَقَةِ مِنْ بَعْدِهِ» فَيُرَدُّ تَطْبِيقُهُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ الْمَذْكُورَةَ بَعْضُهَا، وَ مِنْ الْوَاضِحِ عَدَمُ جَوَازِ رَفْعِ الْيَدِ عَنْ مَفَادِهَا بِقَوْلِ زَيْدِ هَذَا.

و تلخص: أن الآيه المباركه لم تنزل إلما في العتره الطاهره، وهذا ما أشار إليه السيد-رحمه الله-بقوله: «هل حكمت محكماته بذهاب الرجس عن غيرهم؟! و هل لأحدٍ من العالمين كآيه تطهيرهم؟!».

ف قيل:

«هذه الآيه لم تنزل في آل البيت- كما يفهم المؤلف- بل نزلت في نساء النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم، و إن كان معناها متضمناً لآل البيت بالمفهوم الضيق الذي يفهمه الشيعة، و هم أبناء علي و فاطمه.

و ليس فيها اخبار بذهاب الرجس و بالطهاره، و إنما فيها الأمر بما يوجب طهارتهم و ذهاب الرجس عنهم، و ذلك كقوله تعالى (المائد: ٦) «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ» و كقوله تعالى: (النساء: ٢٦): «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ» و كقوله (النساء: ٢٨): «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» ...

و ممّا يبين أنّ ذلك ممّا أمروا به لا- ممّا أخبر بوقوعه: إنّ النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم أدار الكساء على علي و فاطمه و الحسن و الحسين ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. رواه مسلم من حديث عائشه، و رواه أصحاب السنن من حديث أم سلمه. و فيه دليل على أنه تعالى قادر على إذهاب الرجس و التطهير.

و مما يبين أن الآيه متضمنه للأمر و النهى قوله فى سياق الكلام (الأحزاب:

٣٠-٣٤) ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ إلى قوله: «وَلَا تَبْرَجْنَ بِرُجَحِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا* وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ...».

فهذا السياق يدل على أن ذلك أمر و نهى، و أن الزوجات من أهل البيت، فإن السياق إنما هو فى مخاطبتهن. و يدل الضمير المذكور على أنه عم غير زوجته كعلي و فاطمه و ابنيهما، كما أن مسجد قبا أسس على التقوى، و مسجده أيضاً أسس على التقوى و هو أكمل فى ذلك، فلما نزلت (التوبة: ١٠٨): «لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ» تناول اللفظ مسجد قبا و لمسجده بطريق الأولى.

و فى صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم (١): (... و أهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتي. ثلاثاً).

فقال الحصين: و من أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟!

قال: نساؤه من أهل بيته، و لكن أهل بيته من حرم الصدقه بعده.

قال: و من هم؟

قال: آل علي، و آل عقيل، و آل جعفر، و آل عباس.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقه؟!

قال: نعم. (مسلم ١٢٢٧-١٢٣).

و فى الصحيحين: اللهم صل على محمد و على أزواجه و ذريته (٢).

ص: ٢٥٣

(١-١) كذا.

(٢-٢) صحيح البخارى ٢٠٦/٤٣٦٠:٤. صحيح مسلم ٣٧١/٤٠٧:١.

و على هذا، فإن كلام المؤلف عن هذه بأنها قد حكمت بذهاب الرجس عنهم و تطهيرهم كلام تنقصه الدقه، بل فيها حكم بإرادته الله ذهاب الرجس عنهم و تطهيرهم، و ذلك إذا فعلوا ما سبق أن خوطبت به نساء النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم في الآيات السابقة.

أقول:

و هذا الكلام هو كلام ابن تيميه، و قد ذكرنا غير مره أن هؤلاء المتأخرين، المناوئين لأهل البيت الطاهرين، يلجأون إلى كلمات ابن تيميه متى ما أعوزهم الدليل، و قد عرفت التهافت و التناقض في كلمات ابن تيميه حول آيه التطهير.

لكن هذا الرجل اختار هذا الكلام دون كلامه السابق، لخلو هذا من التصريح بصحة الحديث و كونه فضيله خاصه بأهل البيت عليهم السلام !!

على أن نفس هذا الكلام أيضاً متهافت - كما لا يخفى على أهل النظر و التدقيق - لأنه يقول أولاً: «هذه الآيه لم تنزل في آل البيت كما يفهم المؤلف» ففي من نزلت؟!

يقول: «بل نزلت في نساء النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم».

و هذا قول عكرمه الخارجي !

لكنه يستدرك قائلاً: «و إن كان معناها متضمناً لآل البيت...».

و هذا عدول عن رأى عكرمه و قبول للقول الآخر.

ثم يناقض نفسه فيقول: «و يدل الضمير المذكور على أنه عم غير زوجاته كعلي و فاطمه و ابنيهما» لأن ظاهر قوله: «كان معناها متضمناً...» نزول الآيه في

النساء فقط و هو قول عكرمه، و قوله: «و يدلّ الضمير المذكّر...» صريح في شمول الآيه لغير النساء !!

لكنّ قوله -تبعاً لابن تيميه-: «كعلّى...» خروج عمّا ذهب إليه المسلمون قاطبه...

و على كلّ حالٍ فإنّها محاولات يائسه.. للتملّص عمّا جاءت به السنّه النبويه الشريفه الثابته لدى المسلمين..

و ما كلّ هذه التمحّلات و المكابرات و أمثالها من الكُتّاب المتأخّرين كالدكتور السالوس، كما في كتابنا: مع الدكتور السالوس في آيه التطهير -إلّا لعلم القوم بما تنطوى عليه الآيه المباركه و الأحاديث الوارده في معناها من دلالات...

و الله هو العاصم، و هو ولى التوفيق.

ص: ٢٥٥

قال السيد رحمه الله:

«هل حكم بافتراض الموده لغيرهم محكم التنزيل؟!».

قال في الهامش:

«كلاً، بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم على من سواهم فقال:

«قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يُقْتَرِفْ حَسْبَةً (وهي هنا مودتهم) نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْبَانًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ (لأهل مودتهم) شَكُورٌ (لهم على ذلك)» (١).

ف قيل:

«هذه الآية قال الإمام أحمد في سبب نزولها:

حدّثنا يحيى، عن شعبه، حدّثني عبد الملك بن ميسره، عن طاووس، قال: أتى ابن عباس رجل فسأله..

و سليمان بن داود، قال: أخبرنا شعبه، أنبأني عبد الملك، قال سمعت طاووساً يقول: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قول الله عزّ و
جَلَّ: «قُلْ لَا

ص: ٢٥٧

أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقال سعيد بن جبیر: قربي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم؛ قال ابن عباس: عجلت! و إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم فيهم قرابه. فنزلت «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» إلا أن تصلوا قرابه ما بينى و بينكم (١).

و كذلك روى البخارى (٢) هذا الحديث، و ليس عنده (فنزلت). و أخرجه الطبرى ٢٣:٢٥ و فيه: إنما القرابه التى بينى و بينكم أن تصلوها. و عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالى ٣٦٨:٣ إلى أحمد بن منيع و قال: صحيح.

هذا، و يدل أن هذه الآيه تدل على هذا المعنى: أن الله تعالى لم يقل:

(إلا الموده لذى القربى)، بل قال: (فى القربى). ألا ترى أنه لما أراد ذوى قربته قال: «وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى».

و ليس موالاتنا لأهل البيت من أجر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم فى شىء، و هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم لا- يسألنا أجراً، بل أجره على الله تعالى.

ثم إن الآيه مكيهه باتفاق، و لم يكن على تزوج بفاطمه بعد، و لا ولد و ولد لهما.

و بهذا يتبين لك التكلف الممقوت، و تحمیل كلام الله عزّ و جلّ ما لا يحتمل عند ما يقول المؤلف: (بل اختصهم الله سبحانه بذلك تفضيلاً لهم على من سواهم:

«قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَ مَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً (و هى هنا مودّتهم)

ص: ٢٥٨

١- (١) مسند أحمد ٣٧٩/٢٥٠٢٥:١.

٢- (٢) صحيح البخارى ٣٢٠/٤٨١٨:٣.

نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ (لاهل مودتهم) شَكُورٌ (لهم على ذلك)».

و من أين له هذا التفسير؟! و هل يستقيم له ذلك بعقل أو نقل؟! اللهم لا..

أقول:

إن هذا الذى ذكر ما هو إلما خلاصه لما قاله المتمادون فى التعصّب من أهل السّنة، و منهم ابن تيمية فى غير موضع من كتابه «منهاج السّنة» فليس هذا بشىء جديد، و إنّما هو تقليد، كما سيظهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد...

فها هنا فصول:

ص: ٢٥٩

إِنَّهُ إِذَا كُنَّا تَبَعًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَرِيدُ -حَقًّا- الْأَخْذَ -اعْتِقَادًا وَ عَمَلًا- بِمَا جَاءَ فِي كَلَامِ اللَّهِ الْعَزِيزِ وَ أَتَى بِهِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... كَانَ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا الرَّجُوعَ إِلَى النَّبِيِّ نَفْسَهُ وَ تَحْكِيمَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَنَا وَ اخْتَلَفْنَا فِيهِ، كَمَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (١).

لقد وقع الاختلاف في معنى قوله تعالى: «ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...» (٢)... لكنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سبق و أن بيّن المعنى و أوضح المراد من «القربى» في أخبار طرفي الخلاف كليهما، فلما ذا لا يقبل قوله و يبقى الخلاف على حاله؟!

لقد عيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المراد من «القربى» في الآيه، فالمراد أقرباؤه، وهم عليّ و الزهراء و ولداهما.. فهؤلاء هم المراد من «القربى»

ص: ٢٦٠

١- (١) سورة النساء ٤:٦٥.

٢- (٢) سورة الشورى ٢٣:٤٢.

هنا كما كانوا المراد من «أهل البيت» في آية التطهير بتعيين منه كذلك.

ذكر من رواه من الصحابه و التابعين:

وقد روى ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عدّه كبيره من الصحابه و أعلام التابعين، المرجوع إليهم في تفسير آيات الكتاب المبين، و منهم:

- ١- أمير المؤمنين عليه عليه السلام.
- ٢- الإمام السبط الأكبر الحسن بن عليّ عليه السلام.
- ٣- الإمام السبط الشهيد الحسين بن عليّ عليه السلام.
- ٤- الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام.
- ٥- الإمام الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام.
- ٦- الإمام الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام.
- ٧- عبد الله بن عباس.
- ٨- عبد الله بن مسعود.
- ٩- جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٠- أبو أمامه الباهلي.
- ١١- أبو الطفيل عامر بن واثله الليثي.
- ١٢- سعيد بن جبير.
- ١٣- مجاهد بن جبر.
- ١٤- مقسم بن بجره.
- ١٥- زاذان الكندي.

١٦-السدي.

١٧-فضال بن جبير.

١٨-عمرو بن شعيب.

١٩-ابن المبارك.

٢٠-زرّ بن حبيش.

٢١-أبو إسحاق السبيعي.

٢٢-زيد بن وهب.

□
٢٣-عبد الله بن نجى.

٢٤-عاصم بن ضمره.

و ممن رواه من أئمة الحديث و التفسير:

و قد روى نزول الآيه المباركه فى أهل البيت عليهم السلام-هذا الذى أرسله إرسال المسلم إمام الشافعيه فى شعره المعروف المشهور،المذكور فى الكتب المعتمده،كالصواعق المحرقه-مشاهير الأئمة فى التفسير و الحديث و غيرهما فى مختلف القرون،و نحن نذكر أسماء عدده منهم:

١-سعيد بن منصور،المتوفى سنة ٢٢٧.

٢-أحمد بن حنبل،المتوفى سنة ٢٤١.

٣-عبد بن حميد،المتوفى سنة ٢٤٩.

٤-محمد بن إسماعيل البخارى،المتوفى سنة ٢٥٦.

٥-مسلم بن الحجاج النيسابورى،المتوفى سنة ٢٦١.

٦-أحمد بن يحيى البلاذرى،المتوفى سنة ٢٧٦.

- ٧-محمّد بن عيسى الترمذى، المتوفّى سنة ٢٧٩.
- ٨-أبو بكر البزار، المتوفّى سنة ٢٩٢.
- ٩-محمّد بن سليمان الحضرمى، المتوفّى سنة ٢٩٧.
- ١٠-محمّد بن جرير الطبرى، المتوفّى سنة ٣١٠.
- ١١-أبو بشر الدولابى، المتوفّى سنة ٣١٠.
- ١٢-أبو بكر بن المنذر النيسابورى، المتوفّى سنة ٣١٨.
- ١٣-عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، المتوفّى سنة ٣٢٧.
- ١٤-الهيثم بن كليب الشاشى، المتوفّى سنة ٣٣٥.
- ١٥-أبو القاسم الطبرانى، المتوفّى سنة ٣٦٠.
- ١٦-أبو الشيخ ابن حبان، المتوفّى سنة ٣٦٩.
- ١٧-محمّد بن إسحاق ابن منده، المتوفّى سنة ٣٩٥.
- ١٨-أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، المتوفّى سنة ٤٠٥.
- ١٩-أبو بكر ابن مردويه الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤١٠.
- ٢٠-أبو إسحاق الثعلبى، المتوفّى سنة ٤٢٧.
- ٢١-أبو نعيم الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤٣٠.
- ٢٢-علّى بن أحمد الواحدى، المتوفّى سنة ٤٦٨.
- ٢٣-محيى السنّه البغوى، المتوفّى سنة ٥١٦.
- ٢٤-جار الله الزمخشرى، المتوفّى سنة ٥٣٨.
- ٢٥-الملا عمر بن محمّد بن خضر، المتوفّى سنة ٥٧٠.
- ٢٦-أبو القاسم ابن عساكر الدمشقى، المتوفّى سنة ٥٧١.

٢٧- أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٠٦.

ص: ٢٦٣

- ٢٨- الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٩- عز الدين ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠.
- ٣٠- محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.
- ٣١- أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٥٦.
- ٣٢- أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.
- ٣٣- القاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥.
- ٣٤- محب الدين الطبري الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤.
- ٣٥- الخطيب الشربيني، المتوفى سنة ٦٩٨.
- ٣٧- أبو البركات النسفي، المتوفى سنة ٧١٠.
- ٣٨- أبو القاسم الجزري، المتوفى سنة ٧٤١.
- ٣٩- علاء الدين الخازن، المتوفى سنة ٧٤١.
- ٤٠- أبو حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥.
- ٤١- ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.
- ٤٢- أبو بكر نور الدين الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧.
- ٤٣- ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.
- ٤٤- نور الدين ابن الصبأغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
- ٤٥- شمس الدين السخاوي، المتوفى سنة ٩٠٢.
- ٤٦- نور الدين السمهودي، المتوفى سنة ٩١١.
- ٤٧- جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
- ٤٨- شهاب الدين القسطلاني، المتوفى سنة ٩٢٣.

٤٩- أبو السعود العمادى، المتوفى سنة ٩٥١.

ص: ٢٦٤

٥٠- ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.

٥١- الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.

٥٢- عبد الله الشبراوي، المتوفى سنة ١١٦٢.

٥٣- محمد الصبان المصري، المتوفى سنة ١٢٠٦.

٥٤- قاضي القضاة الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

٥٥- شهاب الدين الألوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠.

٥٦- الصديق حسن خان، المتوفى سنة ١٣٠٧.

٥٧- محمد مؤمن الشبلنجي، المتوفى بعد سنة ١٣٠٨.

نصوص الحديث في الكتب المعتمدة:

و هذه ألفاظ من هذا الحديث بأسانيد كما في الكتب المعتمدة من الصحاح و المسانيد و المعاجم و غيرها:

* أخرج البخاري قائلاً: «قوله: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ طَاوُوسًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجَلْتَ! إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ. فَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَصَلُّوا مَا بَيْنِي و بَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ» (١).

ص: ٢٦٥

*و أخرجه مسلم، كما نصّ عليه الحاكم و الذهبي، و سيأتي.

□
*و أخرجه أحمد، ففي «المسند»: «حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا يحيى، عن شعبه، حدّثني عبد الملك بن ميسره، عن طاووس، قال أتى ابن عباس رجل فسأله. و سليمان بن داود، قال: أخبرنا شعبه، أنبأني عبد الملك، قال: سمعت طاووساً يقول: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قوله عزّ و جلّ:

□
«قُلْ لَا أَشِدُّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقال سعيد بن جبیر: قرابه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم. قال ابن عباس: عجبت! إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم لم يكن بطن من قريش إلّا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلّم فيهم قرابه فنزلت: «قُلْ لَا أَشِدُّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» إلّا أن تصلوا قرابه ما بيني و بينكم» (١).

□
*و في (المناقب) ما هذا نصّه: «و في ما كتب إلينا محمّد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، يذكر أنّ حرب بن الحسن الطحان حدّثهم، قال: حدّثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: لما نزلت «قُلْ لَا أَشِدُّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ابناها» (٢).

*و أخرج الترمذی فقال: «حدّثنا بندار، حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبه، عن عبد الملك بن ميسره، قال: سمع طاووساً قال: سئل ابن عباس عن هذه الآية «قُلْ لَا أَشِدُّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقال سعيد بن جبیر:

ص: ٢٦٦

١- ١) مسند أحمد ٣٧٩/٢٠٢٥: ١.

٢- ٢) فضائل الصحابه ١١٤١/٦٦٩: ٢، و رواه غير واحدٍ من الحفاظ قائلين: «أحمد في المناقب» كالمحبّ الطبري في ذخائر العقبي: ٦٢، و السخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ٣٢٣/٤٩: ١.

قربى آل محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم. فقال ابن عباس: أعلمت؟! إن رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابه فقال:

إلا أن تصلوا ما بينى و بينكم من القرابه.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح» (١).

*و أخرج ابن جرير الطبرى، قال:

[١] «حدثني محمد بن عماره، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المرى، عن السدى، عن أبي الديلم، قال: لما جىء بعلى بن الحسين -رضى الله عنهما- أسيراً فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذى قتلكم و استأصلكم و قطع قرنى الفتنة! فقال له على بن الحسين -رضى الله عنه- أقرأت القرآن؟! قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟! قال: قرأت القرآن و لم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»؟! قال: و إنكم لأنتم هم؟! قال: نعم (٢).

[٢] حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا عبد السلام، قال: ثنا يزيد بن أبى زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار: فعلنا و فعلنا؛ فكأنهم فخرُوا، فقال ابن عباس -أو العباس، شكك عبد السلام-: لنا الفضل عليكم.

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، فأتاهم فى مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار! أ لم تكونوا أذله فأعزكم الله بى؟! □ □ □

ص: ٢٦٧

١- ١) الجامع الصحيح ٣٢٥١/٢٩٥: ٥.

٢- ٢) و أرسله أبو حيان إرسال المسلم، حيث ذكر القول الحق، قال: «و قال بهذا المعنى على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و استشهد بالآيه حين سيق إلى الشام أسيراً» البحر المحيط ٣٣٥: ٩.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أ لم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أ فلا تجيئونى؟

قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

قال: ألا تقولون: أ لم يخرجك قومك فآويناك؟! أ و لم يكذبوك فصدقناك؟! أ و لم يخذلوك فنصرناك؟

قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا و ما فى أيدينا لله و لرسوله، قال: فنزلت «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

[٣] حدّثنى يعقوب، قال: ثنا مروان، عن يحيى بن كثير، عن أبى العالیه، عن سعيد بن جبیر، فى قوله «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قال:

هى قربى رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم.

[٤] حدّثنى محمد بن عمّاره الأسدى و محمد بن خلف، قالوا: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عزّ و جلّ «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قال: قربى النبى صلّى الله عليه [و آله] و سلّم» (١).

أقول:

و لا يخفى أنّ ابن جرير الطبرى ذكر فى معنى الآية أربعة أقوال، و قد جعل

ص: ٢٦٨

القول بنزولها في «أهل البيت» القول الثاني، فذكر هذه الأخبار.

و جعل القول الأول أنّ المراد قرابته مع قريش، فذكر روايه طاووس عن ابن عباس، التي أخرجها أحمد و الشيخان، و قد تقدّمت، و فيها قول سعيد بن جبير بنزولها في «أهل البيت» خاصّة.

و أمّا القولان الثالث و الرابع فستنعرّض لهما فيما بعد.

*و أخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي -صاحب المسند الكبير- في مسند عبد الله بن مسعود، في ما رواه عنه زرّ بن حبيش، قال:

«حدّثنا الحسن بن عليّ بن عفّان، حدّثنا محمّد بن خالد، عن يحيى ابن ثعلبه الأنصاري، عن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ، عن عبد الله، قال:

كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم في مسير، فهتف به أعرابي بصوت جهوري: يا محمّد! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم: يا هناه! فقال: يا محمّد! ما تقول في رجل يحبّ القوم و لم يعمل بعملهم؟ قال: المرء مع من أحبّ. قال: يا محمّد! إلى ما تدعو؟ قال: إلى شهاده أن لا إله إلاّ الله، و أنّي رسول الله، و إيتاء الزكاه، و صوم رمضان، و حجّ البيت. قال: فهل تطلب على هذا أجراً؟ قال: لا إلاّ المودّه في القربي. قال: أقرباى يا محمّد أم أقرباك؟ قال: بل أقرباى. قال: هات يدك حتّى أبايعك، فلا خير في من يودّك و لا يودّ أقرباك» (1).

*و أخرج الطبراني: «حدّثنا محمّد بن عبد الله، ثنا حرب بن الحسن الطحان، ثنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن

ص: ٢٦٩

جبير، عن ابن عبيّاس رضى الله عنهما، قال: لَمَّا نزلت «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، و من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي و فاطمه و ابناهما» (١).

و أخرج أيضاً: «حدّثنا محمّد بن عبد الله الحضرمي، ثنا محمّد بن مرزوق، ثنا حسين الأشقر، ثنا نصير بن زياد، عن عثمان أبي اليقظان، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عبيّاس، قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم مالاّ فنبسّط يده لا- يحول بينه و بين أحد، فأتوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله! إنا أردنا أن نجمع لك من أموالنا. فأنزل الله عزّ و جلّ «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» فخرجوا مختلفين، فقال بعضهم: أ لم تروا إلى ما قال رسول الله؟! و قال بعضهم: إنّما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته و نصرهم...» (٢).

*و أخرج الحاكم قائلًا: «حدّثنا أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى بن أخي طاهر العقيقي الحسنى، ثنا إسماعيل بن محمّد بن إسحاق بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، حدّثني عمي عليّ بن جعفر بن محمّد، حدّثني الحسين بن زيد، عن عمر بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، قال:

خطب الحسن بن عليّ الناس حين قتل عليّ، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأوّلون بعمل ولا يدركه الآخرون،

ص: ٢٧٠

١-١) المعجم الكبير ٣:٣٩ رقم ٢٦٤١ و ١١:٤٤٤ رقم ١٢٢٥٩.

٢-٢) المعجم الكبير ١٢:٣٣ رقم ١٢٣٨٤.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعطيه رايته فيقاتل و جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، و ما ترك على أهل الأرض صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطايه أراد أن يتاع بها خادماً لأهله.. ثم قال:

أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، و أنا ابن النبي، و أنا ابن الوصي، و أنا ابن البشير، و أنا ابن النذير، و أنا ابن الداعي إلى الله بأذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا و يصعد من عندنا، و أنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أنا من أهل البيت الذي افترض الله موذتهم على كل مسلم فقال تبارك و تعالی لبنيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» فاقتراف الحسنه موذتنا أهل البيت» (١).

و قال الحاكم بتفسير الآيه من كتاب التفسير: «إنما اتفقا في تفسير هذه الآيه على حديث عبد الملك بن ميسره الزراد عن طاووس عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه في قربي آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (٢).

□
*و أخرج أبو نعيم: «حدثنا الحسين بن أحمد بن علي أبو عبد الله، ثنا الحسن بن محمد بن أبي هريره، ثنا إسماعيل بن يزيد، ثنا قتيبة بن مهران، ثنا عبد الغفور، عن أبي هاشم، عن زاذان، عن علي، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»

ص: ٢٧١

١-١) المستدرک علی الصحیحین ١٧٢:٣.

٢-٢) المستدرک علی الصحیحین ٤٤٤:٢.

عليه [و آله] و سلم: عليكم بتعلم القرآن و كثره تلاوته تنالون به الدرجات و كثره عجائبه في الجنة، ثم قال علي: وفينا آل حم، إنه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (١).

□
و أخرج أيضاً: «حدّثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن مخلد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبادة بن زياد، ثنا يحيى بن العلاء، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم فقال: يا محمد! اعرض علي الإسلام. فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمداً عبده و رسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال:

□
لا، إلا المودّة في القربى، قال: قرباي أو قرباك؟ قال: قرباي. قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك و لا يحبّ قرباك لعنه الله. قال صلى الله عليه [و آله] و سلم:

آمين.

هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد، لم نكتبه إلا من حديث يحيى بن العلاء، كوفي ولي قضاء الرّي» (٢).

*و أخرج أبو بشر الدولابي خطبه الإمام الحسن السبط، فقال: «أخبرني أبو القاسم كهمس بن معمر: أن أبا محمد إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر ابن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب حدّثهم: حدّثني عمي علي ابن جعفر بن محمد بن حسين بن زيد، عن الحسن بن زيد بن حسن بن علي، عن أبيه، قال: خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي...»

ص: ٢٧٢

١-١) ذكر أخبار اصبهان ١٦٥:٢.

٢-٢) حليه الأولياء ٢٠١:٣.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، حدّثني أبي، حدّثني حسين بن زيد، عن الحسن ابن زيد بن حسن - ليس فيه: عن أبيه -، قال: خطب الحسن بن عليّ الناس...

□
حدّثنا أحمد بن يحيى الأودي، نا إسماعيل بن أبان الوراق، نا عمر، عن جابر، عن أبي الطفيل، و زيد بن وهب، و عبد الله بن نجى، و عاصم بن ضميره، عن الحسن بن عليّ، قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل... (١).

* و أخرج ابن عساكر: «أخبرنا أبو الحسن الفرضي، أنبأنا عبد العزيز الصوفي، أنبأنا أبو الحسن بن السمسار، أنبأنا أبو سليمان...

قال: و أنبأنا ابن السمسار، أنبأنا عليّ بن الحسن الصوري، أنبأنا سليمان ابن أحمد بن أيوب الطبراني اللخمي بأصبهان، أنبأنا الحسين بن إدريس الحريري التستري، أنبأنا أبو عثمان طالوت بن عباد البصري الصيرفي، أنبأنا فضال بن جبير، أنبأنا أبو أمامه الباهلي، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: خلق الله الأنبياء من أشجار شتى، و خلقني و عليّاً من شجره واحده، فأنا أصلها و عليّ فرعها و فاطمه لقاحها و الحسن و الحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، و من زاغ هوى، و لو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا و المروه ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام، ثمّ لم يدرك محبّتنا إلّا أكبه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا «قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلّا المودّة في القُربى».

و رواه عليّ بن الحسن الصوفي مرّة أخرى عن شيخ آخر، أخبرناه أبو الحسن الفقيه السلمى، أنبأنا عبد العزيز الكتّاني، أنبأنا أبو نصر بن الجبان، أنبأنا

ص: ٢٧٣

أبو الحسن عليّ بن الحسن الطرسوسي، أنبأنا أبو الفضل العيّاس بن أحمد الخواتيمي بطرسوس، أنبأنا الحسين بن إدريس التستري...» (١).

□ □
* وأخرج ابن عساكر خبر خطبه مروان -بأمرٍ من معاوية- ابنه عبد الله بن جعفر ليزيد، وأنّ عبد الله أوكل أمرها إلى الحسين عليه السلام فزوجها من القاسم ابن محمّد بن جعفر، وتكلّم عليه السلام في المسجد النبوي و بنو هاشم و بنو أميّة مجتمعون -فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: «إنّ الإسلام دفع الخسيسه و تمّم النقيصه و أذهب اللائمه، فلا لوم على مسلم إلّا في أمر مآثم. و إنّ القرابه التي عظم الله حقّها و أمر برعايتها و أن يسأل نبيّه الأجر له بالمودّه لأهلها: قرابتنا أهل البيت...» (٢).

* وأخرج ابن الأثير: «روى حكيم بن جبير، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنت أجالس أشياخاً لنا، إذ مرّ علينا عليّ بن الحسين -و قد كان بينه و بين أناس من قریش منازعه في امرأه تزوّجها منهم لم يرض منكحها- فقال أشياخ الأنصار: ألا دعوتنا أمس لما كان بينك و بين بني فلان؟! إنّ أشياخنا حدّثونا أنّهم أتوا رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فقالوا: يا محمّد! ألا نخرج إليك من ديارنا و من أموالنا لما أعطانا الله بك و فضّلنا بك و أكرمنا بك؟ فأنزل الله تعالى: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ». و نحن ندلّكم على الناس.

أخرجه ابن منده» (٣).

ص: ٢٧٤

١- (١) تاريخ مدينة دمشق ٤٥: ٤٢-٤٦.

٢- (٢) تعليق العلّامة المحمودي على شواهد التنزيل ٢: ١٤٤ عن أنساب الأشراف بترجمه معاويه، و تاريخ دمشق بترجمه مروان بن الحكم.

٣- (٣) أسد الغابه في معرفه الصحابه ٤١١: ٥.

*و أخرج ابن كثير: «وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وغيره رواه عن سعيد بن جبير... وقال السدي عن أبي الديلم، قال: لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيراً... وقال أبو إسحاق السبيعي: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقال: قربي النبي. رواهما ابن جرير.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام، حدثني يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس...

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن علي بن الحسين، عن عبد المؤمن بن علي، عن عبد السلام، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده، مثله أو قريباً منه.

وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية...

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنه -، قال: لما نزلت هذه الآية «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمه وولدها. رضي الله عنهم. وهذا إسناده ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي متخرق وهو حسين الأشقر (1).

*و روى الهيثمي: «عن ابن عباس قال: لما نزلت «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

ص: ٢٧٥

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذى وجبت علينا مودتهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ابناهما.

رواه الطبرانى من روايه حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع، و قد وثقوا كلهم و ضعّفهم جماعة، و بقيه رجاله ثقات» (١).

و رواه مره أخرى كذلك و قال: «فيه جماعه ضعفاء و قد وثقوا» (٢).

و روى خطبه الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: «باب خطبه الحسن ابن عليّ رضى الله عنهما:

عن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فحمد الله و أتنى عليه و ذكر أمير المؤمنين عليّاً رضى الله عنه خاتم الأوصياء و وصى الأنبياء و أمين الصديقين و الشهداء، ثم قال: يا أيها الناس، لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون و لا يدركه الآخرون. لقد كان رسول الله يعطيه الرايه فيقاتل جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه. و لقد قبضه الله فى الليله التى قبض فيها وصى موسى و عرج بروحه فى الليله التى...

ثم قال: من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم. ثم تلا هذه الآيه قول يوسف: «و اتبعت مله آبائى إبراهيم و إسحاق و يعقوب» (٣) ثم أخذ فى كتاب الله.

ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، و أنا ابن النبى، أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا ابن الذى أرسل رحمته للعالمين، و أنا من أهل

ص: ٢٧٦

١-١) مجمع الزوائد ١٠٣: ٧.

٢-٢) مجمع الزوائد ١٦٨: ٩.

٣-٣) سوره يوسف ٣٨: ١٢.

البيت العذرين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أنا من أهل البيت العذرين افترض الله عزّ و جلّ مودّتهم و ولايتهم فقال في ما أنزل على محمّد صلى الله عليه [و آله] و سلم: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط و الكبير باختصار... و أبو يعلى باختصار، و البزار بنحوه... و رواه أحمد باختصار كثير!

و إسناد أحمد و بعض طرق البزار و الطبراني في الكبير حسان» (١).

و روى السيوطي الحديث عن طاووس عن ابن عباس كما تقدّم.

قال: «و أخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عباس في قوله:

«إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» قال: تحفظوني في قرابتي».

قال: «و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه من طريق مقسم، عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار...» الحديث، و قد تقدّم.

قال: «و أخرج الطبراني في الأوسط و ابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبیر، قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله...» الحديث، و قد تقدّم.

قال: «و أخرج أبو نعيم و الديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم: لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى، أن تحفظوني في أهل بيتي و تودّوهم بي».

قال: «و أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس، قال لما نزلت هذه الآية «قُلْ لَا

ص: ٢٧٧

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت موَدَّتْهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ولداها.

قال: «و أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبیر: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قال: قُربى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ».

قال: «و أخرج ابن جرير عن أبي الديلم، قال: لَمَّا جِئْتُ بَعْلَى بِنِ الْحَسَنِ...» الحديث، و قد تقدّم.

ثم روى السيوطى حديث الثقلين و غيره ممّا فيه الوصية باتّباع أهل البيت و التحذير من بغضهم... (1).

«و قال الآلوسى: «و ذهب جماعه إلى أنّ المعنى: لا أطلب منكم أجراً إلّا محبتكم أهل بيتى و قرابتى. و فى البحر: أنّه قول ابن جبیر و السدى و عمرو بن شعيب. و «فى» عليه للظرفية المجازية، و «القربى» بمعنى الأقباء، و الجار و المجرور فى موضع الحال. أى: إلّا المودّة ثابتة فى أقبائى متمكّنه فيهم، و لمكانه هذا المعنى لم يقل: إلّا مودّة القربى... و روى ذلك مرفوعاً:

أخرج ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه، من طريق ابن جبیر عن ابن عبّاس، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية...» الحديث، كما تقدّم. قال:

«و سند هذا الخبر -على ما قال السيوطى فى الدرّ المنثور- ضعيف، و نصّ على ضعفه فى تخريج أحاديث الكشاف ابن حجر.

و أيضاً: لو صحّ لم يقل ابن عبّاس ما حكى عنه فى الصحيحين و غيرهما و قد تقدّم. إلّا أنّه روى عن جماعه من أهل البيت ما يؤيد ذلك: أخرج ابن جرير

ص: ٢٧٨

عن أبي الديلم، قال: لما جىء بعلي بن الحسين... الحديث، وقد تقدّم.

□
«و روى زاذان عن عليّ كرم الله تعالى وجهه، قال: فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلّا مؤمن؛ ثمّ قرأ هذه الآية.

و إلى هذا أشار الكميت في قوله: وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقى و معرب

□
و لله تعالى درّ السيّد الهيتى - أحد الأقراب المعاصرين - حيث يقول: بأيّه آية يأتى يزيد

و الخطاب على هذا القول لجميع الأئمّه لا- للأنصار فقط، و إن ورد ما يوهم ذلك، فإنّهم كلّهم مكلفون بمودّه أهل البيت، فقد أخرج مسلم و الترمذى و النسائى...» فروى حديث الثقلين، و نحوه، ثمّ قال: «إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة من الأخبار» (١).

*و روى الشوكانى الأخبار التى نقلناها عن «الدرّ المنثور» كالحديث الذى رواه الأئمّه من طريق مقسم عن ابن عبّاس. ثمّ قال: «و فى إسناده يزيد بن أبى زياد، و هو ضعيف» و ما رواه أبو نعيم و الديلمى من طريق مجاهد عن ابن عبّاس، و لم يتكلّم فى سنده، و ما رواه الجماعة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: «قال السيوطى: بسند ضعيف».

ثمّ إنّه أشار إلى التعارض الموجود بين الأخبار فى ما روى عن ابن عبّاس، و رجح ما أخرج عنه فى كتابى البخارى و مسلم، و قال: «و قد أغنى الله

ص: ٢٧٩

آل محمّد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليله و المزايا الجميله، و قد بيّنا بعض ذلك عند تفسيرنا لقوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» (١).

تنبيه:

حاول القوم أن لا ينقلوا خطبه الإمام الحسن عليه السلام كامله، و حتّى المنقوص منها تصرّفوا فى لفظه ! فراجع: المسند ١: ٧٢٢/٣٢٨، و المناقب - لأحمد - ١٠١٣/٥٩٥، و المعجم الكبير - للطبرانى - ٣: الرقم ٢٧١٧ إلى ٢٧٢٥، و تاريخ الطبرى ٥: ١٥٧، و المستدرک ٣: ١٧٢، و الكامل ٣: ٤٠٠، و مجمع الزوائد ٩: ١٤٦، و قارن بين الألفاظ لترى مدى إخلاص أمناء الحديث و حرصهم على حفظه و نقله !!

و لننقل الخبر كما رواه أبو الفرج و بأسانيد مختلفه، فقال:

«حدّثنى أحمد بن عيسى العجلي، قال: حدّثنا حسين بن نصر، قال:

حدّثنا زيد بن المعدل، عن يحيى بن شعيب، عن أبي مخنف، قال: حدّثنى أشعث ابن سوار، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سعيد بن رويم.

و حدّثنى عليّ بن إسحاق المخرمى و أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا عبد الله ابن عمر مشكدانه، قال: حدّثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو ابن حبشى.

و حدّثنى عليّ بن إسحاق، قال: حدّثنا عبد الله بن عمر، قال: حدّثنا عمران بن عيينه، عن الأشعث عن أبي إسحاق، موقوفاً.

ص: ٢٨٠

و حدّثني محمّد بن الحسين الخثعمي، قال: حدّثنا عبّاد بن يعقوب، قال:

حدّثنا عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، قال:

قال عمرو بن ثابت: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي سنه أسأله عن خطبه الحسن بن عليّ، فلا يحدّثني بها، فدخلت إليه في يوم شات و هو في الشمس و عليه برنسه كأنه غول، فقال لي: من أنت؟ فأخبرته، فبكي و قال: كيف أبوك؟ كيف أهلك؟ قلت: صالحون. قال: في أيّ شيء تردّد منذ سنه؟ قلت: في خطبه الحسن بن عليّ بعد وفاه أبيه.

قال: حدّثني هبيرة بن يريم، و حدّثني محمّد بن محمّد الباغندي و محمّد ابن حمدان الصيدلاني، قالوا: حدّثنا إسماعيل بن محمّد العلوي، قال: حدّثني عمّي عليّ بن جعفر بن محمّد، عن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد ابن الحسن، عن أبيه - دخل حديث بعضهم في حديث بعض، و المعنى قريب - قالوا:

خطب الحسن بن عليّ بعد وفاه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه، و لقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، و لقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى، و ما خلّف صفراء و لا بيضاء إلّا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله.

ثمّ خنفته العبره فبكي و بكى الناس معه.

ثمّ قال: أيّها الناس! من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن

ابن محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ، أَنَا ابْنُ النَّذِيرِ، أَنَا ابْنُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِذْنِهِ، وَأَنَا ابْنُ السَّرَاجِ الْمَنِيرِ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً، وَالَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ:

«وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» (١) فَاقْتِرَافِ الْحَسَنَةَ مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عبّاس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّبه إلينا وأحقّقه بالخلافه؛ فبايعوه.

ثمّ نزل عن المنبر» (٢).

أقول:

و هكذا روى الشيخ المفيد بإسناده (٣).

و ذيل الخبر من الشواهد على بطلان خبر طاووس عن سعيد عن ابن عبّاس، كما لا يخفى.

ص: ٢٨٢

١-١) سورة الشورى ٢٣:٤٢.

٢-٢) مقاتل الطالبيين: ٥٠-٥٢.

٣-٣) الإرشاد ٧:٢-٨.

إشارة

قد ذكرنا في الفصل الأوّل طرفاً من الأخبار في أنّ المراد من «القريب» في «آية المودّة» هم «أهل البيت»، وقد جاء في بعضها التصريح بأنهم «علّيّ و فاطمه و ابناهما».

و قد نقلنا تلك الأخبار عن أهمّ و أشهر كتب الحديث و التفسير عند أهل السنّة، من القدماء و المتأخّرين... و بذلك يكون القول بنزول الآية المباركة في «أهل البيت» قولاً متفقاً عليه بين الخاصّة و العامّة.

فأمّا ما رواه طاووس من جزم سعيد بن جبير بأنّ المراد هم «أهل البيت» عليهم السلام خاصّة، و هو الذي أخرجه الشيخان و أحمد و الترمذی و غيرهم...

فلم أجد طاعناً في سنده... و إن كان لنا كلام فيه، و سيأتي.

و أمّا ما أخرج في (المناقب) لأحمد بن حنبل فهو من الزيادات، فالقائل «كتب إلينا» هو «القطيعي»: أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي - المتوفى سنة ٣٦٨ - هو راوي: المسند، و الزهد، و المناقب، لأحمد بن حنبل.

حدّث عنه: الدارقطني، و الحاكم، و ابن رزقويه، و ابن شاهين، و البرقاني، و أبو نعيم، و غيرهم من كبار الأئمّه.

و وثّقه الدارقطني قائلاً: ثقّه زاهد قديم، سمعت أنّه مجاب الدعوة؛ و قال

البرقاني: ثبت عندي أنه صدوق، وقد لئنته عند الحاكم فأنكر عليّ و حسن حاله و قال: كان شيخى؛ قالوا: قد ضعف و اختلّ فى آخر عمره، و توقّف بعضهم فى الروايه عنه لذلك.

و من هنا أورده الذهبى فى (ميزانه) مع التصريح بصدقه، و هذه عبارته:

«[صحّ] أحمد بن جعفر بن حمدان أبو بكر القطيعى، صدوق فى نفسه مقبول، تغير قليلاً. قال الخطيب: لم نر أحداً ترك الإحتجاج به» ثم نقل ثقته عن الدارقطنى و غيره، و ردّ على من تكلم فيه لاختلاله فى آخر عمره (١).

و«محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى» هو «مطين» المتوفى سنة ٢٩٧، قال الدارقطنى: ثقّه جبل، و قال الخليلى: ثقّه حافظ، و قال الذهبى:

الشيخ الحافظ الصادق، محدث الكوفه... (٢).

و سيأتى الكلام على سائر رجاله؛ بما يثبت صحّه السند و حجّيته الخبر.

و أمّا ما رواه ابن جرير الطبرى حجّه للقول بنزول الآية فى «أهل البيت» و قد كان أربع روايات... فما تكلم إلّا فى الثانى منها، و هذا إسناده:

«حدّثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا عبد السلام، قال:

ثنا يزيد بن أبى زياد، عن مقسم، عن ابن عباس...».

قال ابن كثير: «و هكذا رواه ابن أبى حاتم، عن عليّ بن الحسين، عن عبد المؤمن بن عليّ، عن عبد السلام، عن يزيد بن أبى زياد - و هو ضعيف - بإسناده مثله أو قريباً منه».

ص: ٢٨٤

١- (١) تاريخ بغداد ٤: ٧٣، المنتظم ١٤: ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ١٦: ٢١٠، ميزان الاعتدال ١: ٨٧، الوافى بالوفيات ٦: ٢٩٠، و غيرها.

٢- (٢) تذكره الحفاظ ٢: ٦٦٢، الوافى بالوفيات ٣: ٣٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤: ٤١.

و تبعه الشوكاني حيث إنّه بعد أن رواه قال: «و في إسناده يزيد بن أبي زياد، و هو ضعيف».

و أمّا ما رواه الأئمّه، كابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الطبراني، و ابن مردويه، و عنهم السيوطي، فقد ضعّف السيوطي سنده، و تبعه الشهاب الآلوسي، و قد سبقهما إلى ذلك الهيثمي و ابن كثير و ابن حجر العسقلاني، قال الأخير في شرح البخاري:

«و هذا الذي جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعاً، فأخرج الطبري و ابن أبي حاتم من طريق قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لَمَّا نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتك اللّذين وجبت علينا مودّتهم؟... الحديث. و إسناده ضعيف... و قد جزم بهذا التفسير جماعه من المفسّرين، و استندوا إلى ما ذكرته عن ابن عباس من الطبراني و ابن أبي حاتم، و إسناده واهٍ، فيه ضعيف و رافضي» (١).

و قال في تخريج أحاديث الكشّاف: «أخرجه الطبراني و ابن أبي حاتم و الحاكم في مناقب الشافعي، من روايه حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، و حسين ضعيف ساقط» (٢).

و قال ابن كثير: «و قال ابن أبي حاتم: حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا رجل سماه، حدّثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... و هذا إسناده ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي

ص: ٢٨٥

١-١ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٥٧:٨-٤٥٨.

٢-٢ الكافي الشافعي في تخريج أحاديث الكشّاف-مع الكشّاف-٤٠٤:٥.

متخرق، و هو حسين الأشقر» (١).

و تبعه القسطلانى بقوله: «و أما حديث ابن عباس أيضاً عند ابن أبي حاتم، قال: لما نزلت هذه الآية «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمه و ولدها عليهم السلام.

فقال ابن كثير إسناده ضعيف، فيه متهم لا يعرف إلا عن شيخ شيعي مخترق، و هو حسين الأشقر» (٢).

و قال الهيثمي: «رواه الطبراني من روايه حرب بن الحسن الطخّان، عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، و قد وثقوا كلهم و ضعّفهم جماعه و بقيه رجاله ثقات».

أقول:

فالأخبار الدالّة على القول الحقّ، المرويّه في كتب القوم، منقسمه بحسب آرائهم في رجالها إلى ثلاثة أقسام:

١- ما اتفقوا على القول بصحّته؛ و هو حديث طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٢- ما ذكروه و سكتوا عن التكلّم في سنده و لم يتفوّهوا حوله بينت شفه ! بل منه ما لم يجدوا بداً من الاعتراف باعتباره، كأخبار قول النبيّ لمن سأله عمّا يطلب في قبال دعوته، و خطبه الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاه أبيه، و كلام

ص: ٢٨٦

١- (١) تفسير القرآن العظيم ٧:٢٠١.

٢- (٢) إرشاد الساري ٧:٣٣١.

الإمام السَّجَاد في الشام، و نحو ذلك.

٣- ما رووه و تكلموا في سنده.

أما الأوّل فلنا كلام حوله، و سيأتي في أوّل الفصل الرابع.

و أما القسم الثاني، فلا حاجة إلى بيان صحّته بعد أن أقرّ القوم بذلك.

و أما القسم الثالث، فهو المقصود بالبحث هنا.

و لنفصّل الكلام في تراجم من ضعفوه من رجال أسانيد هذه الأخبار، ليتبين أنّ جميع ما ذكره ساقط مردود! على ضوء كلمات أعلام الجرح و التعديل منهم:

١- ترجمه يزيد بن أبي زياد:

□

و هو: القرشي الهاشمي الكوفي، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل.

هو من رجال الكتب الستّه، قال المزي: «قال البخاري في اللباس من صحيحه عقيب حديث عاصم بن كليب عن أبي بردة: قلنا لعلّي: ما القسيه؟ و قال جرير عن يزيد في حديثه: القسيه ثياب مصلعه... الحديث.

و روى له في كتاب رفع اليدين في الصلاة. و في الأدب. و روى له مسلم مقروناً بغيره، و احتجّ به الباقر» (١).

□

و روى عنه جماعه كبيره من أعلام الأئمّه كسفيان الثوري، و سفيان بن عيينه، و شريك بن عبد الله، و شعبه بن الحجاج، و عبد الله بن نمير، و أمثالهم (٢).

ص: ٢٨٧

١- (١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٢: ١٤٠.

٢- (٢) تهذيب الكمال ٣٢: ١٣٧، سير أعلام النبلاء ٦: ١٢٩، تهذيب التهذيب ١١: ٢٨٧ رقم ٥٣١.

قال الذهبي: حدّث عنه شعبه مع براعته في نقد الرجال (١).

أقول:

يكفى في جواز الاعتماد عليه و صحّحه الاحتجاج به روايه أصحاب الكتب السنّه و كبار الأئمه عنه.

مضافاً إلى قول مسلم في مقدمه كتابه: «فإنّ اسم الستر و الصدق و تعاطى العلم يشملهم، كعطاء بن السائب و يزيد بن أبي زياد و ليث بن أبي سليم و أضرابهم» (٢).

و قد وثّقه عدّه من الأئمه أيضاً:

قال ابن سعد: كان ثقّه في نفسه إلّا أنّه اختلط في آخر عمره فجاء بالعجائب.

و قال ابن شاهين- في الثقات-: قال أحمد بن صالح المصري: يزيد ابن أبي زياد ثقّه و لا يعجبني قول من تكلم فيه.

و قال ابن حبان: كان صدوقاً إلّا أنّه لَمّا كبر ساء حفظه و تغير، و كان يلقن ما لَقن فوقعت المناكير في حديثه.

و قال الآجري عن أبي داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه، و غيره أحبّ إليّ منه.

و قال يعقوب بن سفيان: و يزيد و إن كانوا يتكلمون فيه لتغيره فهو على

ص: ٢٨٨

١-١) سير أعلام النبلاء ١٣٠:٦.

٢-٢) صحيح مسلم ١:٧.

العدالة الثقة و إن لم يكن مثل الحكم و منصور (١).

ثمّ إنّنا نظرنا في كلمات القادحين-بالرغم من كون الرجل من رجال الكتب السنّة، إذ احتجّ به الأربعة و روى له الشيخان-فوجدنا أوّل شيء يقولونه:

كان من أئمّه الشيعة الكبار (٢).

فسألنا: ما المراد من «الشيعة»؟ و من أين عرف كونه «من أئمّه الشيعة الكبار»؟

فجاء الجواب: تدلّ على ذلك أحاديث رواها، موضوعه (٣).

فنظرنا فإذا به يروى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبي برزه، قال: «تغنّى معاوية و عمرو بن العاص، فقال النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم:

اللهمّ اركسهما في الفتنة ركساً، و دعّهما في النار دعّاً» (٤).

فهذا الحديث موضوع (٥) أو غريب منكر (٦) لأنّه ذمّ لمعاوية رأس الفئه الباغية و عمرو بن العاص رأس النفاق!! فيكون راويه «من أئمّه الشيعة الكبار»!!

لكن يبدو أنّهم ما اكتفوا-في مقام الدفاع عن معاوية و عمرو-برمى الحديث بالوضع و راويه بالتشيع، فالتجأوا إلى تحريف لفظ الحديث، و وضع

ص: ٢٨٩

١- ١) هذه الكلمات بترجمته من تهذيب التهذيب ٢٨٨: ١١-٢٨٩، و غيره.

٢- ٢) الكامل- لابن عدى- ١٦٤: ٩، تهذيب الكمال ١٣٨: ٣٢، تهذيب التهذيب ٢٨٨: ١١.

٣- ٣) تهذيب الكمال ١٣٨: ٣٢. الهامش.

٤- ٤) أخرجه أحمد في المسند ١٩٢٨١/٥٨٠: ٥، و الطبراني و البزار كما في مجمع الزوائد ١٢١: ٨.

٥- ٥) الموضوعات لابن الجوزي، لكن لا يخفى أنّه لم يطعن في الحديث إلّا من جهة «يزيد» و لم يقل فيه إلّا «كان يلقن بأخره فيتلقن»، و لذا تعقبه السيوطي بما سنذكره.

٦- ٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤٢٤: ٤.

كلمه «فلان و فلان» فى موضع الاسمين، فى المسند:

«حدّثنا عبد الله، حدّثنى أبى، ثنا عبد الله بن محمّد - و سمعته أنا من عبد الله بن محمّد بن أبى شيبه -، ثنا محمّد بن فضيل، عن يزيد بن أبى زياد، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: اخبرنى ربّ هذه الدار أبو هلال، قال:

سمعت أبا برزه، قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فى سفر، فسمع رجلين يتغنّيان و أحدهما يجيب الآخر و هو يقول: لا يزال جوادى تلوح عظامه ذوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبرا

فقال النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: انظروا من هما؟ قال: فقالوا: فلان و فلان !!

قال: فقال النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: اللهمّ اركسهما ركساً، و دعّهما إلى النار دعّاً.

و كأنّ هذا المقدار لم يشف غليل القوم، أو كان هذا التحريف لأجل الإبهام، فيكون مقدّمه ليأتى آخر فيزيله و يضع «معاويه» و «عمرأ» آخرين !! بخبرٍ مختلق:

قال السيوطى - بعد أن أورد الحديث عن أبى يعلى و تعقّب ابن الجوزى بقوله: هذا لا يقتضى الوضع، و الحديث أخرجه أحمد فى مسنده: حدّثنا... و له شاهد من حديث ابن عباس: قال الطبرانى فى الكبير... -: «و قال ابن قانع فى معجمه: حدّثنا محمّد بن عبدوس كامل، حدّثنا عبد الله بن عمر، حدّثنا سعيد أبو العباس التيمى، حدّثنا سيف بن عمر، حدّثنى أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحه، عن زيد بن أسلم، عن صالح، عن شقران، قال: بينما نحن ليلة فى سفر، إذا سمع النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم صوتاً فقال: ما هذا؟! فذهبت أنظر، فإذا هو

معاويه بن رافع، و عمرو بن رفاعه بن التابوت يقول: لا يزال جوادى تلوح عظامه ذوى الحرب عنه أن يموت فيقبرا

فأتيت النبي ﷺ عليه [و آله] و سلم فأخبرته فقال: اللهم اركسهما و دعهما إلى نار جهنم دعاً فمات عمرو بن رفاعه قبل أن يقدم النبي ﷺ عليه [و آله] و سلم من السفر.

قال السيوطي: «و هذه الروايه أزاله الإشكال و بينت أن الوهم وقع فى الحديث الأول، فى لفظه واحده و هى قوله: ابن العاصى، و إنما هو ابن رفاعه أحد المنافقين، و كذلك معاويه بن رافع أحد المنافقين، و الله أعلم» (١).

بل السيوطى نفسه أيضاً يعلم واقع الحال و حقيقه الأمر، و إلا فما أجهله !!

أما أولاً: فلم يكن فى الحديث الأول إشكال أو وهم حتى يزال !! غايه ما هناك أن فى «المسند» لفظ «فلان و فلان» بدل «معاويه و عمرو» و السيوطى يعلم - كغيره - أنه تحريف، إن لم يكن عن عمد فعن سهو !! على أنه لم يوافق ابن الجوزى فى الطعن فى الحديث، بل ذكر له ما يشهد له بالصحة.

و أمراً ثانياً: فلو سلمنا وجود إبهام و إشكال فى الحديث الأول، فهل يزال و يرتفع بحديث لا - يرتضى أحد سنده مطلقاً، لمكان «سيف بن عمر»... و لنلق نظرة سريعة فى ترجمته.

قال ابن معين: ضعيف الحديث.

و قال أبو حاتم: متروك الحديث.

و قال أبو داود: ليس بشى.

ص: ٢٩١

و قال النسائي: ضعيف.

و قال الدارقطني: ضعيف.

و قال ابن عدى: بعض أحاديثه مشهوره و عامتها منكروه لم يتابع عليها.

و قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات. قالوا: كان يضع الحديث، اتهم بالزندقة.

و قال البرقاني عن الدارقطني: متروك.

و قال الحاكم: اتهم بالزندقة و هو فى الروايه ساقط (١).

و العجيب أن السيوطى نفسه يردّ أحاديثه قائلاً: «إنّه وضاع» (٢)!

أقول:

فلينظر الباحث المنصف كيف يردون حديثاً- يروونه عن رجل اعتمد عليه أرباب الصحاح الستة- لكونه فى ذمّ ابن هند و ابن النابغه، و هم شيعه لهما...

و يقابلونه بحديث يرويه رجل اتفقوا على سقوطه و اتهموه بالوضع و الزندقة !!

فلينظر! كيف يتلاعبون بالدين و سنّه رسول ربّ العالمين !!

و لا يتوهّم أنّ هذه طريقتهم فى أبواب المناقب و المثالب فحسب، بل هى فى الأصولين و الفقه أيضاً !!

فلنرجع إلى ما كنّا بصدده، و نقول:

إن «يزيد بن أبى زياد» ثقه، و من رجال الكتب الستة، و لا عيب فيه إلّا

ص: ٢٩٢

١- (١) تهذيب التهذيب ٢٥٩:٤.

٢- (٢) اللآلى المصنوعه فى الأحاديث الموضوعه ١٩٩:١.

روايته بعض مثالب أئمة القوم!! و لذا جعلوه «من أئمة الشيعة الكبار»!!

على أنّ كون الراوى شيعياً، بل رافضياً-حسب اصطلاحهم- لا يضّرّ بوثاقته كما قرّروا فى محلّه و بنوا عليه فى مواضع كثيره (١).

و تلخص: صحّحه روايته فى نزول آيه المودّه فى خصوص «أهل البيت» الطاهرين، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

٢- ترجمه حسين الأشقر:

و قد ترجمنا لأبى عبد الله الحسين بن حسن الاشقر الفزارى الكوفى، فى مبحث آيه التطهير، و قلنا هناك بأنّه من رجال النسائى فى (صحيحه) و أنّهم قد ذكروا أنّ للنسائى شرطاً فى صحيحه أشدّ من شرط الشيخين (٢).

و أنّه روى عنه كبار الأئمة الأعلام: كأحمد بن حنبل، و ابن معين، و الفلاس، و ابن سعد، و أمثالهم (٣).

و قد حكى الحافظ ابن حجر بترجمته عن العقيلي، عن أحمد بن محمد بن هانى، قال: قلت لأبى عبد الله -يعنى أحمد بن حنبل- تحدّث عن حسين الأشقر؟ قال: لم يكن عندى ممّن يكذب.

و ذكر عنه التشيع فقال له العباس بن عبد العظيم: إنّه يحدّث فى أبى بكر و عمر، و قلت أنا: يا أبا عبد الله، إنّه صنّف باباً فى معايبهما! فقال: ليس هذا

ص: ٢٩٣

١-١) مقدّمه فتح البارى شرح صحيح البخارى: ٣٩٨.

٢-٢) تذكره الحفاظ ٧٠٠: ٢.

٣-٣) تهذيب التهذيب ٢٩١: ٢.

بأهلٍ أن يحدث عنه (١).

و هذا هو السبب في تضعيف غير أحمد.

و عن الجوزجاني: غالٍ من الشتامين للخيره (٢).

و لذا يقولون: «له مناكير» و أمثال هذه الكلمه، ممّا يدلّ على طعنهم في أحاديث الرجل في فضل عليّ أو الحطّ من مناوئيه، و ليس لهم طعن في الرجل نفسه، و لذا قال يحيى بن معين:

كان من الشيعة الغاليه، فقليل له: فكيف حديثه؟! قال: لا بأس به. قلت:

صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه (٣).

هذا، فالرجل ثقة و صدوق عند: أحمد، و النسائي، و يحيى بن معين، و ابن حبان... و إنّما ذنبه الوحيد هو «التشيع» و قد نصّوا على أنّه غير مضرّ.

أقول:

لكنّ المهمّ - هنا - أنّه «صدوق» عند الحافظ ابن حجر أيضاً، فقد قال:

«الحسين بن حسن الأشقر، الفزاري، الكوفي، صدوق، يهيم و يغلو في التشيع، من العاشره، مات سنه ٢٠٨.س» (٤).

و إنّما أعدنا ترجمه الرجل هنا لتؤكد على أنّ ابن حجر قد ناقض نفسه

ص: ٢٩٤

١- ١) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩١.

٢- ٢) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩١.

٣- ٣) تهذيب التهذيب ٢: ٢٩٢.

٤- ٤) تقريب التهذيب ١: ١٧٥.

١- فى تضعيفه الرجل فى «تخريج أحاديث الكشاف» مع وصفه ب «الصدق» فى «تقريب التهذيب»!

٢- فى طعنه فى الرجل بسبب التشيع أو الرفض -حسب تعبيره- مع أنه نصّ فى «مقدمه فتح البارى» على أن الرفض -فضلاً عن التشيع- غير مضرّ.

و بذلك يسقط طعنه فى حديثنا، وكذا طعن غيره تبعاً له.

تنبيه:

قد اختلف طعن الطاعنين فى روايه الأئمه: الطبرانى، و ابن أبى حاتم، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن مردويه: عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس...

فالسقوطى لم يقل إلّا «بسنَدٍ ضعيف» و تبعه الآلوسى.

و ابن حجر قال فى «تخريج أحاديث الكشاف»: «و حسين ضعيف ساقط» فلا كلام له فى غيره، لكن فى «فتح البارى»: «إسناده واهٍ، فيه ضعيف و رافضى».

و ابن كثير -و تبعه القسطلانى- قال عن حسين الأشقر: «شيخ شيعى محترق» و أضاف فى خصوص إسناد ابن أبى حاتم لقوله: حدّثنا رجل سمّاه:-

«فيه مبهم لا يعرف».

و الهيثمى أفرط فقال: «رواه الطبرانى من روايه حرب بن الحسن الطحّان، عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع. و قد وثّقوا كلّهم و ضعّفهم جماعة، و بقيه رجاله ثقات».

و بما ذكرنا فى ترجمه الأشقر -يسقط كلام السيوطى و الآلوسى، و كذا كلام ابن كثير فى «الأشقر» أمّا قوله: «فيه مبهم لا يعرف» فيرده أنه إن كان هو

«حرب بن الحسن الطحان» فهو، وإن كان غيره فالإشكال مرتفع بمتابعته.

و كذا يسقط كلام ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف».

أمّا كلامه في «فتح الباري» فيمكن أن يكون ناظراً إلى «الأشقر» فقط، بأن يكون وصفه بالرفض و ضعفه من أجل ذلك، و يمكن أن يكون مراده من «ضعيف» غير الأشقر الذي وصفه بالرفض... و هذا هو الأظهر، و مراده -على الظاهر- هو «قيس بن الربيع» الذي زعم غيره ضعفه، فلنترجم له:

٣- ترجمه قيس بن الربيع:

و هو: قيس بن الربيع الأسدي، أبو محمد الكوفي:

من رجال: أبي داود و الترمذي، و ابن ماجه (١).

روى عنه جماعه كبيره من الأئمه في الصحاح و غيرها، كسفيان الثوري، و شعبه بن الحجاج، و عبد الرزاق بن همام، و أبي نعيم الفضل بن دكين، و أبي داود الطيالسي، و معاذ بن معاذ، و غيرهم.

و هذه بعض الكلمات في توثيقه و مدحه و الثناء عليه باختصار:

قال: أبو داود الطيالسي عن شعبه: سمعت أبا حصين يثنى على قيس بن الربيع.

قال: قال لنا شعبه: أدركوا قيساً قبل أن يموت!

قال عفان: قلت ليحيى بن سعيد: أفتتهمه بكذب؟! قال: لا.

قال عفان: كان قيس ثقة، يوثقه الثوري و شعبه.

ص: ٢٩٦

١- ١) تهذيب الكمال ٢٤: ٢٥، تهذيب التهذيب ٨: ٣٥٠، و غيرهما.

قال حاتم بن الليث، عن أبي الوليد الطيالسي: كان قيس بن الربيع ثقة حسن الحديث.

قال أحمد بن صالح: قلت لأبي نعيم: في نفسك من قيس بن الربيع شيء؟ قال: لا.

قال عمرو بن علي: سمعت معاذ بن معاذ يحسن الثناء على قيس.

وقال يعقوب بن شيبة السدوسي: وقيس بن الربيع عند جميع أصحابنا صدوق، وكتابه صالح، وهو ردى الحفظ جداً مضطرب به، كثير الخطأ، ضعيف في روايته.

وقال ابن عدي: عامه رواياته مستقيمه، والقول فيه ما قال شعبه (١).

هذا، وقد أخذ عليه أمور:

أحدها: إنه ولى المدائن من قبل المنصور، فأساء إلى الناس فنفروا عنه.

و الثاني: التشيع، نقله الذهبي عن أحمد (٢).

و الثالث: وجود أحاديث منكره عنده. قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد بن حنبل: قيس بن الربيع أى شيء ضعفه؟ قال: روى أحاديث منكره.

لكن قالوا: هذه الأحاديث أدخلها عليه ابنه لما كبر فحدث بها (٣).

و لكونه صدوقاً فى نفسه، ثقة، وإن هذه الروايات مدخوله عليه و ليست

ص: ٢٩٧

١- ١) تهذيب الكمال ٢٧: ٢٤-٣٦.

٢- ٢) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ٣: ٣٩٣ و ٣٩٥.

٣- ٣) تاريخ بغداد ٤٥٦: ١٢-٤٦٢، تهذيب الكمال ٢٥: ٢٤-٣٧، سير أعلام النبلاء ٤١: ٨-٤٤، تهذيب التهذيب ٣٥٠: ٨-٣٥٣.

منه، قال الذهبي: «صدوق في نفسه، سيئ الحفظ» (١).

و قال الحافظ ابن حجر: «صدوق، تعبر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به» (٢).

فإن كان يقصد في «مقدمه فتح الباري» تضعيف هذا الرجل فقد ناقض نفسه كذلك...

٤- ترجمه حرب بن حسن الطحان:

و هذا الرجل لم يتعرض له بالتضعيف، و لم ينقل كلاماً فيه إلا الهيثمي، و لكنّه مع ذلك نصّ على أنّه «وثق» و لم يذكر المضعف و لا وجه التضعيف.

و قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقال: شيخ» (٣).

و قال ابن حجر: «حرب بن الحسن الطحان. ليس حديثه بذاك. قاله الأزدي. انتهى.

و ذكره ابن حبان في الثقات.

و قال ابن النجاشي: عامي الروايه. أى شيعي قريب الأمر. له كتاب.

روى عنه: يحيى بن زكريا اللؤلؤي» (٤).

ص: ٢٩٨

١- ١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣:٣٩٣.

٢- ٢) تقريب التهذيب ٢:١٢٨.

٣- ٣) الجرح و التعديل ٣:٢٥٢.

٤- ٤) لسان الميزان ٢:١٨٤.

أقول:

لكن لا يلتفت إلى قول الأزدي، كما نصّ عليه الذهبي، حيث قال: «لا يلتفت إلى قول الأزدي، فإنّ في لسانه في الجرح رهقاً» (١).

تتمّه:

فيها مطلبان:

الأول: قال الذهبي معقّباً-على حديث خطبه الإمام الحسن عليه السلام، الذي أخرجه الحاكم عن أبناء أئمّه أهل البيت و الذريّه الطاهره-: «ليس بصحيح»! (٢).

ولما كان هذا القدح مجملاً و مبهماً، فإنّه لا يعبأ به... و أظنّ أنّه من جهه المتن و المعنى لا السند، و عذر الذهبي في قدحه في مناقب آل البيت عليهم السلام معلوم !!

و الثاني: قال ابن عساكر-بعد أن أخرج من طريق الطبراني حديث أبي أمامه الباهلي-: «هذا حديث منكر، و قد وقع الينا جزء ابن عبّاد و بعلوّ و ليس هذا الحديث فيه» (٣).

و هذا الحديث بهذا اللفظ رواه عن طريق الطبراني الحافظ أبو عبد الله الكنجي، و قال: «هذا حديث حسن عال، رواه الطبراني في معجمه كما أخرجه»

ص: ٢٩٩

١-١) ميزان الاعتدال ١:٦١.

٢-٢) تلخيص المستدرک ٣:١٧٢.

٣-٣) تاريخ مدينه دمشق ٤٢:٦٦.

سواء، ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتى» (١) والحافظ ابن حجر (٢). ورواه لا- عن طريق الطبراني: الحاكم الحسكاني النيسابوري (٣).

أما عدم وجوده في الجزء الذي وقع إلى ابن عساكر من حديث طلوت بن عبّاد فغير مضرّ كما هو واضح.

وَأَمَّا نِكَارُهُ الْحَدِيثَ فَفِي أَيِّ فَقْرِهِ مِنْهُ؟! أَوْ فِي حَدِيثِ الشَّجَرَةِ؟! أَوْ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا...»؟! أَوْ فِي تَلَاوِهِ آيَةِ الْمَوَدَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟!

أَمَّا حَدِيثُ الشَّجَرَةِ فَقَدْ رَوَاهُ مِنْ أُنْمَةِ الْحَدِيثِ كَثِيرُونَ (٤) وَإِلَيْهِ أَشَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (٥) وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِنِكَارَتِهِ.

وَأَمَّا تَلَاوَتُهُ الْآيَةَ هُنَا، فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهَا نَازِلَةٌ فِي عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهِمَا.

بَقِيَ قَوْلُهُ: «وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا...» وَأُظْنُهُ يَرِيدُ هَذَا، وَهُوَ كَلَامٌ جَلِيلٌ، وَمَعْنَاهُ دَقِيقٌ، وَخِلَاصُهُ بَيَانُهُ: أَنَّ الْحَبَّ هُوَ وَسِيلَةُ الْإِتِّبَاعِ وَالْقُرْبِ، وَالْعَمَلُ بِلَا دَرَكِ حَبِّ النَّبِيِّ وَآلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مَقْرَبٍ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا تَقْرَبُ فِيهِ إِلَيْهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَصَاحِبُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَبُئْسَ الْقَرَارُ.

ص: ٣٠٠

١-١) كفايه الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٣١٧.

٢-٢) لسان الميزان ٤: ٤٣٤.

٣-٣) شواهد التنزيل ٢: ١٤١.

٤-٤) راجع الجزء الخامس من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار» ففيه روايات أنهما مخلوقان من نور واحد، ومن شجره واحده.

٥-٥) نهج البلاغه: ١٦٢.

هذا إذا أخذنا الكلام على ظاهره.

و أما إذا كان كنايةً عن البغض، فالأمر أوضح، لأنَّ بغض النبيِّ و أهل بيته مبعد عن الله عزَّ و جلَّ، و لا ينفع معه عمل...

اللهم اجعلنا من المحييين للنبيِّ و آله، و من المتقريين بهم إليك.

ص: ٣٠١

إشاره

و إذا ثبت صححه الأحاديث الدالّه على نزول الآيه المباركه في «أهل البيت» حتّى التي تكلم في أسانيدّها، بعد بيان سقوط ما تدرّعوا به، تندفع جميع الشبهات التي يطرحونها حول ذلك.

و لكننا مع ذلك نذكر ما قالوه في هذا الباب، و نجيب عنه بالأدله و الشواهد القويمه، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِهِ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِهِ».

و لعلّ أشدّ القوم مخالفه في المقام هو ابن تيميه في «منهاج السنه» فلنقدّم كلماته:

* يقول ابن تيميه: «ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير: أنّ ابن عباس سئل عن قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» قال: فقلت:

إلّا أن تؤدوا ذوى قربي محمّد. فقال ابن عباس: عجلت! إنّه لم يكن بطن من قريش إلّا لرسول الله منهم قرابه فقال: قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا أن تؤدوني في القرابه التي بيني و بينكم.

فابن عباس كان من كبار أهل البيت و أعلمهم بتفسير القرآن، و هذا تفسيره الثابت عنه.

و يدلّ على ذلك أنّه لم يقل: إلّا المودّه لذوى القربي، و لكن قال: إلّا المودّه

فى القربى. ألا- ترى أنه لَمَّا أراد ذوى قرياه قال: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِتْيَا الْقُرْبَىٰ». و لا يقال: المودَّة فى ذوى القربى، و إنما يقال:

المودَّة لذوى القربى، فكيف و قد قال «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»!؟

و يبيِّن ذلك: إنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ لا يسأل أجراً أصلاً، إنما أجره على الله، و على المسلمين موالاه أهل البيت لكن بأدله أخرى غير هذه الآية و ليست موالاتنا لأهل البيت من أجر النبى فى شيء.

و أيضاً، فإنَّ هذه الآية مكّيه، و لم يكن على بعد قد تزوّج بفاطمه، و لا ولد له أولاد» (١).

*و قال ابن تيمية:

«و أمّا قوله: و أنزل الله فيهم «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» فهذا كذب ظاهر، فإنَّ هذه الآية فى سورة الشورى، و سورة الشورى مكّيه بلا ريب، نزلت قبل أن يتزوّج على بفاطمه...

و قد تقدّم الكلام على الآية و أنّ المراد بها ما بينه ابن عباس... رواه البخارى و غيره.

و قد ذكر طائفة من المصنّفين من أهل السنيّة و الجماعة و الشيعة، من أصحاب أحمد و غيرهم، حديثاً عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ أنّ هذه الآية لَمَّا نزلت قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء؟ قال: على و فاطمه و ابناهما.

ص: ٣٠٣

و هذا كذب باتفاق أهل المعرفة!»! (١).

*و كزّر ابن تيمية:

تكذيب الحديث المذكور..

و أنّ الآية في سورة الشورى و هي مكّيه، و أنّ عليّاً إنّما تزوّج فاطمه بالمدينه..

و أنّ التفسير الذى فى الصحيحين يناقض ذلك الحديث، قال: سئل ابن عباس..

و أنّه قال: «لا- أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا- الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» و لم يقل: إلبا المودّة للقربى، و لا- المودّة لذوى القربى كما قال: «وَ اعْلَمُوا...» ..

و أنّ النبى لا يسأل على تبليغ رساله ربّه أجراً البته، بل أجره على الله..

و أنّ القربى معرّفه باللام، فلا- بدّ أن تكون معروفة عند المخاطبين، و قد ذكرنا أنّها لمّا نزلت لم يكن قد خلق الحسن و لا الحسين، و لا تزوّج على فاطمه، فالقربى التى كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه، بخلاف القربى التى بينه و بينهم، فإنّها معروفة عندهم (٢).

*و لم يذكر ابن حجر العسقلانى فى (تخريج الكشاف) إلبا «المعارضه» قال: «و قد عارضه ما هو أولى منه، ففى البخارى...» (٣) و كذا فى «فتح البارى» و أضاف: «و يؤيد ذلك أنّ السوره مكّيه» (٤).

ص: ٣٠٤

١- (١) منهاج السنه ٥٦٢:٤-٥٦٣.

٢- (٢) منهاج السنه ٩٥:٧-١٠٣.

٣- (٣) الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف-مع الكشاف-٤:٤٠٤.

٤- (٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨:٤٥٨.

* وقال ابن كثير: «و ذكر نزول الآية في المدينة بعيد، فإنها مكّيه، و لم يكن إذ ذاك لفاطمه رضى الله عنها أولاد بالكليّه، فإنها لم تتزوج بعليّ - رضى الله عنه - إلّا بعد بدر من السنه الثانيه من الهجره. و الحقّ تفسير هذه الآية بما فسّرها حبر الأّمه...» (١).

* وقال القسطلانى: «و الآية مكّيه و لم يكن إذ ذاك لفاطمه أولاد بالكليّه، فإنها لم تتزوج بعليّ إلّا بعد بدر من السنه الثانيه من الهجره. و تفسير الآية بما فسّر به حبر الأّمه و ترجمان القرآن ابن عبّاس أحقّ و أولى» (٢).

* و الشوكانى اقتصر على المعارضه و ترجيح الحديث عن طاووس عن ابن عبّاس (٣).

□
* و ابن روزبهان ما قال إلّا: «ظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم» (٤).

* و قال عبد العزيز الدهلوى ما حاصله:

«إنّه و إن أخرج أحمد و الطبرانى ذلك عن ابن عبّاس، لكنّ جمهور المحدثين يضعّفونه، لكون سوره الشورى بتمامها مكّيه، و ما خلق الحسن و الحسين حينذاك، و لم يتزوج عليّ بعد بفاطمه... و الحديث فى طريقه بعض الشيعه الغلاة، و قد وصفه المحدثون بالصدق، و الظنّ الغالب أنّه لم يكذب و إنّما نقل الحديث بالمعنى. إذ كان لفظه «أهل بيتي» فخصّهم الشيعى بالأربعه...»

ص: ٣٠٥

١- ١) تفسير القرآن العظيم ٧: ٢٠١.

٢- ٢) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ٧: ٣٣١.

٣- ٣) فتح القدير ٤: ٥٣٧.

٤- ٤) إبطال الباطل - المطبوع مع إحقاق الحقّ - ٣: ٢٠.

و المعنى المذكور لا يناسب مقام النبوة، وإنما ذلك من شأن أهل الدنيا، و أيضاً ينافيه الآيات الكثيره كقوله تعالى: ﴿مَا سَأَلْتِكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ فلو كان خاتم الأنبياء طالباً للأجر لزم أن تكون منزلته أدنى من سائر الأنبياء، و هو خلاف الإجماع» (١).

فهذه شبهات أعلام القوم فى هذا المقام، فلنذكر الشبهات بالترتيب و نتكلم عليها:

١- سورة الشورى مكّيه و الحسنان غير موجودين:

و لعل هذه أهمّ الشبهات فى المسألة، و هى الأساس... و نحن تارةً نبحث عن الآيه المباركه بالنظر إلى الروايات، و أخرى بقطع النظر عنها، فيقع البحث على كلا التقديرين.

أمّا على الأول: فإنّ الآيه المباركه بالنظر إلى الروايات المختلفه الوارده- سواء المفسّره بأهل البيت، أو القائله بأنّها نزلت بمناسبه قول الأنصار كذا و كذا- مدنيه، و لذا قال جماعه بأنّ سورة الشورى مكّيه إلّا آيات:

قال القرطبي: «سورة الشورى مكّيه فى قول الحسن و عكرمه و عطاء و جابر. و قال ابن عبّاس و قتاده: إلّا أربع آيات منها أنزلت بالمدينه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» إلى آخرها» (٢).

و قال أبو حيان: «قال ابن عبّاس: مكّيه إلّا أربع آيات، من قوله تعالى:

ص: ٣٠٦

١- (١) التحفه الاثنا عشرية: ٢٠٥.

٢- (٢) الجامع لأحكام القرآن ١: ١٦٠.

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة» (١).

وقال الشوكاني: «و روى عن ابن عباس و قتاده أنها مكّيه إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...» (٢).

وقال الآلوسى: «و فى البحر: هى مكّيه إلا أربع آيات من قوله تعالى:

«قُلْ لَا- أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» إلى آخر أربع آيات. وقال مقاتل: فيها مدنى، قوله تعالى: «ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ...» و استثنى بعضهم قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى» ...

و جَوَزَ أن يكون الإِطلاق باعتبار الأَغلب» (٣).

و بهذا القدر كفايه.

و وجود آيات مدنيّه فى سورة مكّيه أو بالعكس كثير، و لا كلام لأحدٍ فى ذلك.

و أمّا على الثانى: فالآيه دالّه على وجوب مودّه «القربى» أى: أقرباء النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم، و الخطاب للمسلمين لا لغيرهم.

أمّا أنّها دالّه على وجوب مودّه «قربى» النبىّ، فلتبادر هذا المعنى منه، و قد أذعن بهذا التبادر غير واحد من الأئمّه، نذكر منهم:

الكرمانى، صاحب «الكواكب الدرارى فى شرح البخارى» (٤).

ص: ٣٠٧

١- (١) البحر المحيط ٣٢٢: ٩.

٢- (٢) فتح القدير ٥٢٤: ٤.

٣- (٣) روح المعانى ١٠: ٢٥.

٤- (٤) صحيح البخارى بشرح الكرمانى ١٨: ٨٠.

و العيني، صاحب «عمده القارى فى شرح البخارى».

قال العيني بشرح حديث طاووس: «و حاصل كلام ابن عباس: إن جميع قريش أقارب النبى صلى الله عليه [و آله] و سلم و ليس المراد من الآيه بنو هاشم و نحوهم كما يتبادر الذهن إلى قول سعيد بن جبير» (١).

و أما أن الخطاب للمسلمين، فلوجوه، منها: السياق، فإن الله سبحانه و تعالى يقول:

«تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِعَذَاتِ الصُّدُورِ * وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

فقد جاءت الآيه المباركه بعد قوله تعالى: «ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

فإن قلت:

فبعدها: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...»!؟

ص: ٣٠٨

قلت:

ليس المراد من ذلك المشركين، بل المراد هم المسلمون ظاهراً المنافقون باطناً، يدلّ على ذلك قوله بعده: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» فالخطاب ليس للمشركين، و لم تستعمل «التوبه» فى القرآن إلّا فى العصاه من المسلمين.

فإن قلت:

فقد كان فى المسلمين فى مكّه منافقون!؟

قلت:

نعم، فراجع (سوره المنافقون) و(سوره المدثر) و ما قاله المفسرون (1).

و على هذا، فقد كان الواجب على المسلمين عامّه «موّده» أقرباء النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم... فهل -يا ترى- أمروا حينذاك بموّده أعمامه و بنى عمومته!؟

أما المشركون منهم.. فلا، قطعاً.. و أما المؤمنون منهم وقت نزول الآيه أو بعده... فأولئك لم يكن لهم أى دورٍ يذكر فى مكّه...

ص: ٣٠٩

١-١) يراجع بهذا الصدد: تفاسير الفريقين، خاصّه فى سوره المدثر، المكيه عند الجميع، و يلاحظ اضطراب كلمات أبناء العامه و تناقضها، فى محاولات يائسه لصرّف الآيات الداله على ذلك عن ظواهرها، فراراً، من الإجابة عن السؤال ب«من هم إذا؟!!» أما الشيعة.. فقد عرفوا المنافقين منذ اليوم الأوّل... و للتفصيل مكان آخر، و لو وجدنا متسعاً لوضعنا فى هذه المسأله القرآنيه التاريخيه المهمه جدّاً رساله مفرده و بالله التوفيق.

بل المراد «عليّ» عليه السلام، فإنه الذي كان المشركون ييغضونه و يعادونه، و المنافقون يحسدونه و يعاندونه، و المؤمنون يحبونه و يوادونه.

و لا يخفى ما تدلّ عليه كلمتا «المودّه» و «يقترف».

ثم إنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم لما سئل في المدينة عن المراد من:

«القربى» في الآية المباركه قال: «عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين».

٢- الرسول لا يسأل أجراً:

إنّ الرسول من قبيل الله سبحانه و تعالى لا يسأل الناس أجراً على تبليغ الرساله إليهم أصلاً، و إنّما أجره على الله، و هكذا كان الأنبياء السابقون:

قال نوح لقومه: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١).

و قال هود: «يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلَا تَعْقِلُونَ» (٢).

و قال صالح: «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٣).

و من هنا أصرّ بعضهم على أن الاستثناء منقطع، و جوز بعضهم - كالزمخشري و جماعه (٤) - أن يكون متصلاً و أن يكون منقطعاً.

ص: ٣١٠

١- (١) سورة الشعراء ١٠٧: ٢٦-١٠٨.

٢- (٢) سورة هود ٥١: ١١.

٣- (٣) سورة الشعراء ١٤٣: ٢٦-١٤٥.

٤- (٤) الكشاف ٤٠٤: ٥، روح المعاني ٣١: ٢٥، فتح القدير ٤: ٥٣٤، زاد المسير ٧: ٢٨٤.

أقول:

و نبينا أيضاً كذلك كما جاء في آياتٍ عديدة، منها:

«...قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (١).

«قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (٢).

«قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» (٣).

وقد أجاب المفسرون من الفريقين عن هذه الشبهة بأكثر من وجه، و في تفسيري الخازن و الخطيب الشرييني (٤) منها وجهان...

و لكن يظهر-بالدقة-أن الآيات في الباب بالنسبة إلى نبينا صلى الله عليه و آله و سلم على أربعة أنحاء:

١-ما اشتمل على عدم سؤال الأجر.

٢-ما اشتمل على سؤال الأجر لكنّه «لكم».

٣-ما اشتمل على عدم سؤال الأجر، و طلب «اتخاذ السبيل إلى الله» عن اختيار.

٤-ما اشتمل على سؤال الأجر و هو «المودّه في القربى».

و أي تناقض بين هذه الآيات؟! يا منصفون!

ص: ٣١١

١-١ (١) سورة ص ٨٦:٣٨-٨٧.

٢-٢ (٢) سورة سبأ ٤٧:٣٤.

٣-٣ (٣) سورة الفرقان ٥٧:٢٥.

٤-٤ (٤) تفسير الخازن ٤:٩٨، تفسير السراج المنير ٢:٦٦٨.

إِنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُسْأَلُ النَّاسَ أَجْرًا، وَإِنَّمَا يُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا سَبِيلًا إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ مَا لَا يَتَّحِقُّ إِلَّا بِمُودَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَهُوَ لَهُمْ... وَلِذَا وَرَدَ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَحْنُ السَّبِيلُ» (١)... نَعَمْ هُمُ السَّبِيلُ وَخَاصَّةً «إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا هَرَجًا وَرَجًّا، وَتَظَاهَرَتِ الْفِتْنُ، وَتَقَطَّعَتِ السَّبِيلُ...» (٢).

فَإِذَنْ..هُمْ..السَّبِيلُ... وَهَذَا مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَلا يَخْفَى لَوَازِمُ هَذَا الدَّلِيلِ فَافْهَمْ وَاغْتَنِمْ، وَ«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...» وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

٣- لما ذا لم يقل: إنا المودّة للقربى؟

وَطَرَحَ هَذِهِ الشَّبَهَةَ مِنْ مِثْلِ الدَّهْلَوِيِّ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ بَعِيدٍ، لَكِنَّهُ مِنْ مِثْلِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الَّذِي يَدَّعِي الْعَرَبِيَّةَ عَجِيبٌ!! وَلَيْتَهُ رَاجَعَ كَلَامَ أَهْلِ الْفَنِّ:

قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: «يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا، أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا هَذَا وَهُوَ أَنْ تُوَدُّوا أَهْلَ قَرَابَتِي، وَلا يَكُنْ هَذَا أَجْرًا فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ قَرَابَتَهُ قَرَابَتَهُمْ، فَكَانَتْ صِلَتُهُمْ لَازِمَةً لَهُمْ فِي الْمَرْوَةِ.

وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا، أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا قَطُّ وَ لَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا قَرَابَتِي الَّذِينَ هُمْ قَرَابَتُكُمْ وَ لا تُؤْذُوهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: إِلَّا مُودَّةَ الْقَرِيبِ، أَوْ: إِلَّا الْمُودَّةَ لِلْقَرِيبِ؟ وَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ «إِلَّا الْمُودَّةَ فِي الْقُرْبَى»؟

ص: ٣١٢

١-١) فرائد السمطين ٢٥٣/٥٢٣، و عنه في ينابيع المودّة ٣٥٩/٢:٣.

٢-٢) فرائد السمطين ٢٥٣/٥٢٣، و عنه في ينابيع المودّة ٣٥٩/٢:٣.

قلت: جعلوا مكاناً للموَدَّة و مقرّاً لها، كقولك: لى فى آل فلانٍ موَدَّة، و لى فىهم هوئى و حبّ شديد. تريد: أحبهم و هم مكان حبّى و محلّه، و ليست «فى» بصله للموَدَّة كاللام إذا قلت: إلّا الموَدَّة للقربى، إنّما هى متعلّقه بمحذوفٍ تعلق الظرف به فى قولك: المال فى الكيس. و تقديره: إلّا الموَدَّة ثابتة فى القربى و متمكّنه فيها. و القربى مصدر كالزلفى و البشرى بمعنى قرابه، و المراد: فى أهل القربى. و روى أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا موَدّتهم؟ قال: علىّ و فاطمه و ابناهما.

و يدلّ عليه ما روى عن علىّ رضى الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم حسد الناس لى، فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنّة أنا و أنت و الحسن و الحسين، و أزواجنا عن أيماننا و شمائلنا، و ذريتنا خلف أزواجنا (١)!

و قرره الفخر الرازى حيث قال: «أورد صاحب الكشّاف على نفسه سؤالاً - فقال: هلّا قيل: إلّا موَدّة القربى، أو: إلّا الموَدّة للقربى، و ما معنى قوله: «إلّا الموَدّة فى القربى»؟»

و أجاب بأن قال: جعلوا مكاناً للموَدّة و مقرّاً لها كقولك: لى فى آل فلانٍ موَدّة، و لى فىهم هوئى و حبّ شديد. تريد أحبهم و هم مكان حبّى و محلّه» (٢).

و كذا أبو حيان و استحسّنه (٣).

و قال النيسابورى: «ثمّ أمر رسوله بأن يقول: «لَا أَسْأَلُكُمْ» على هذا

ص: ٣١٣

١- ١) الكشّاف فى تفسير القرآن ٤٠٤: ٥.

٢- ٢) التفسير الكبير ١٦٧: ٢٧.

٣- ٣) البحر المحيط ٣٣٥: ٩.

التبليغ «أَجْرًا إِلَّا- الْمَوَدَّةَ» الكائنه «فِي الْقُرْبَى» جعلوا مكاناً للمودَّة و مقرّاً لها، و لهذا لم يقل: مودَّة القربى، أو: المودَّة للقربى، و هى مصدر بمعنى القرابه، أى:

فِي أَهْلِ الْقُرْبَى، و فِي حَقِّهِمْ» (١).

و قال أبو السعود بعد أن جعل الإستثناء متّصلاً: «و قيل: الإستثناء منقطع و المعنى: لا أسألكم أجراً قط و لكن أسألكم المودَّة.

و «فِي الْقُرْبَى» حال منها. أى: إلّا المودَّة ثابتة فى القربى متمكّنه فى أهلها أو فى حقّ القرابه. و القربى مصدر كالزلفى، بمعنى القرابه. روى: أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك...» (٢).

و راجع أيضاً تفاسير: البيضاوى و النسفى و الشريينى، و غيرهم.

٤- المعارضه:

و هذه هى الشبهه الأخيره، و هى تتوقّف على اعتبار ما أخرج أحمد و غيره عن طاووس عن ابن عباس، و الجواب عنها بالتفصيل فى الفصل الرابع..

ص: ٣١٤

١- ١) تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٧٣:٦.

٢- ٢) تفسير أبى السعود ٣٠:٨.

إشاره

قد ظهر إلى الآن أنّ نزول الآية المباركه في «أهل البيت» هو المتبادر من الآية، و أنّ القول بذلك مستند إلى أدلّه معتبره في كتب السنّه، و أنّه محكّي عن أئمّه أهل البيت: أمير المؤمنين عليه السلام، و هو أعلم الأصحاب بكتاب الله بالإجماع، و الحسن السبط عليه السلام، و الحسين الشهيد عليه السلام، و الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام، و الإمام الباقر عليه السلام، و الإمام الصادق عليه السلام.

و رواه عدّه من كبار الصحابه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و قال به ابن عباس، في ما رواه عنه سعيد بن جبیر و مجاهد و الكلبي و غيرهم، بل أرسله عنه أبو حنّان إرسال المسلّم، و سندك عبارته.

و هو قول: سعيد بن جبیر، و عمرو بن شعيب، و السدي، و جماعه.

أدلّه و شواهد أخرى للقول بنزول الآية في أهل البيت:

و رد ذكر هذا القول غير واحد من المفسّرين و غيرهم فلم يردّوه.

بل لم يرجحوا عليه غيره، بل ذكروا له أدلّه و شواهد و مؤيّدات، من الأخبار و الروايات.

* كالتزمخشرى، فإنه ذكر هذا القول، وروى فيه الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قيل: يا رسول الله، من قرابتك...» قال: «و يدل عليه ما روى عن علي...» الحديث، وقد تقدم، ثم قال بعده:

□
□
«و عن النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي و آذاني في عترتي، و من اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب و لم يجازيه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة.

و روى: أن الأنصار قالوا: فعلنا و فعلنا...» الحديث، و قد تقدم.

□ □
قال: «و قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم: من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا و من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر و نكير، ألا و من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حب آل محمد مات على السنة و الجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة» (١).

□ □
* و الرازي حيث قال: «روى الكلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم لما قدم المدينة كانت تعروه نواب و حقوق، و ليس في يده سعه، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله على يده

ص: ٣١٦

و هو ابن اختكم و جاركم فى بلدكم، فاجمعوا له طائفه من أموالكم، ففعلوا، ثم أتوه به فردّه عليهم، فنزل قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» أى على الإيمان إلّا أن تودّوا أقاربي. فحثّهم على مودّه أقاربه».

□
ثم إنّه أورد الروايه عن الزمخشري قائلاً: «نقل صاحب الكشّاف عن النّبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أنّه قال: من مات على حبّ آل محمّد... إلى آخره. ثم قال:

«و أنا أقول: آل محمّد هم اللّذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل، و لا شكّ أن فاطمه و عليّاً و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أشدّ التعلّقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

و أيضاً: اختلف الناس فى الآل، ف قيل: هم الأقارب، و قيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابه فهم الآل، و إن حملناه على الأّمه اللّذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل. فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل، و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه.

□
و روى صاحب الكشّاف: إنّه لمّا نزلت هذه الآيه قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء اللّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: علىّ و فاطمه و ابناهما. فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النّبىّ.

و إذا ثبت هذا و جب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، و يدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» و وجه الاستدلال به ما سبق.

□
الثانى: لا شكّ أنّ النّبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم كان يحبّ فاطمه

عليها السلام، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلَّمَ: فاطمه بضعه مني، يؤذيني ما يؤذيها. و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله أنه كان يحب علياً و الحسن و الحسين. و إذا ثبت ذلك وجب على كل الأئمة مثله لقوله: «وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» و لقوله سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ».

الثالث: إن الدعاء لآل منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمه التشهد في الصلاة، و هو قوله: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، و ارحم محمدًا و آل محمد. و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب. و قال الشافعي رضي الله عنه: يا ركباً قف بالمحصب من منى

* و ذكر النيسابوري محصل كلام الرازي قائلاً: «و لا ريب أن هذا فخر عظيم، و شرف تام؛ و يؤيده ما روى...» (١).

* و قال القرطبي: «و قيل: «الْقُرْبِيُّ» قرابه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سَلَّمَ، أى: لا- أسألکم أجراً إلّا أن تودّوا قرابتي و أهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوى القربى. و هذا قول علي بن حسين و عمرو بن شعيب و السدي. و فى روايه سعيد بن جبیر عن ابن عباس: لما أنزل الله عزّ و جلّ «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: عليّ

ص: ٣١٨

و فاطمه و ابناؤهما. و يدلّ عليه أيضاً ما روى عن عليّ رضی الله عنه: قال:

شكوت إلى النبيّ حسد الناس... و عن النبيّ: حرّمت الجنّة...

و كفى قبحاً بقول من يقول: إنّ التقرب إلى الله بطاعته و موّدته نبيّه صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و أهل بيته منسوخ، و قد قال النبيّ: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، و من مات على حبّ آل محمّد جعل الله زوّار قبره الملائكة و الرحمه (١) و من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه:

أيس اليوم من رحمه الله، و من مات على بغض آل محمّد لم يرح رائحه الجنّة، و من مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي.

قلت: و ذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم... فذكره... (٢).

* و قال الخطيب الشربيني: «ف قيل: هم فاطمه و عليّ و ابناؤهما. و فيهم نزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» (٣).

* و قال الآلوسى: «و قيل: عليّ و فاطمه و ولدها رضی الله تعالى عنهم، و روى ذلك مرفوعاً: أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبرانى و ابن مردويه، من طريق ابن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ» إلى آخره. قالوا: يا رسول الله... و قد تقدّم.

إلّا أنّه روى عن جماعه من أهل البيت ما يؤيد ذلك...».

فروى خبر ابن جرير عن أبي الديلم «لما جرى بعلى بن الحسين...» و خبر

ص: ٣١٩

١- ١) كذا.

٢- ٢) الجامع لاحكام القرآن ٢١: ١٦-٢٣.

٣- ٣) السراج المنير ٥٣٨: ٣.

زاذان عن علي عليه السلام...و أورد قول كميث الشاعر و الهيتي أحد أقاربه...

و قد تقدّم ذلك كله. ثم روى حديث الثقلين، ثم قال:

«و أخرج الترمذى و حسيّنه و الطبرانى و الحاكم و البيهقى فى الشعب، عن ابن عبّاس، قال: قال عليه الصلاه و السلام: أحبوا الله تعالى لما يغذوكم به من نعمه، و أحبوني لحبّ الله تعالى، و أحبوا أهل بيتى لحبى.»

و أخرج ابن حبان و الحاكم، عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم: و الذى نفسى بيده، لا يبغضنا أهل البيت رجل إلّا أدخله الله تعالى النار. إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثره من الأخبار، و فى بعضها ما يدلّ على عموم القربى و شمولها لبني عبد المطلب:

أخرج أحمد و الترمذى -و صحّحه و النسائى، عن المطلب بن ربيعه، قال:

«دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم فقال: إنّا لنخرج فنرى قريشاً تحدث، فإذا رأونا سكتوا؛ فغضب رسول الله و درّ عرق بين عينيه، ثم قال:

و الله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتّى يحبكم لله تعالى و لقرايتى.»

و هذا ظاهر إن خصّ «القربى» بالمؤمنين منهم، و إلّا فقليل: إنّ الحكم منسوخ. و فيه نظر. و الحقّ و جوب محبّه قرايته عليه الصلاه و السلام من حيث إنهم قرايته كيف كانوا، و ما أحسن ما قيل: داريت أهلك فى هواك و هم عدى و لأجل عين ألف عين تكرم

و كلّما كانت جهه القرايه أقوى كان طلب المودّه أشدّ، فمودّه العلويين ألزم من محبّه العباسيين على القول بعموم «القربى» و هى على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات و الاعتبارات، و آثار تلك المودّه التعظيم و الاحترام و القيام بأداء الحقوق أتمّ قيام، و قد تهاون كثير من الناس بذلك حتّى

عدّوا من الرّفص السلوك فى هاتيك المسالك، و أنا أقول قول الشافعى الشافى العى:

يا راكباً قف بالمحصّب من منى.....«الأبيات (1).

أقول:

هذا هو القول الأول، و هو الحقّ، أعنى نزول الآيه المباركه فى خصوص:

علّى و فاطمه و الحسنين، و على فرض التنزّل و شمولها لجميع قريى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فما ورد فى خصوص أهل البيت يخصّصها.

فهذا هو القول الأول.

الردّ على الأقوال الأخرى:

و فى مقابله أقوال:

أحدها: إنّ المراد من «القُرْبى» القرابه التى بينه صلّى الله عليه و آله و سلّم و بين قريش «فقال: إلّا أن تصلوا ما بينى و بينكم من القرابه».

و الثانى: إنّ المراد من «القُرْبى» هو القرب و التقرب إلى الله، أى إلّا أن تودّوا إلى الله فى ما يقربكم إليه من التودّد إليه بالعمل الصالح.

و الثالث: إنّ المراد من «القُرْبى» هو «الأقرباء» و لكن لا أقرباء النبى مطلقاً، بل المعنى: إلّا أن تودّوا قرابتكم و تصلوا أرحامكم.

و الرابع: إنّ الآيه منسوخه بقوله تعالى: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوْ

ص: ٣٢١

لَكُمْ» (١).

أقول:

أما القول الأخير فقد ردّه الكل، حتّى نصّ بعضهم على قبحه، وقد بيّنا أن لا منافاه بين الآيتين أصلاً، بل إحداهما مؤكّده لمعنى الأخرى.

و أما الذى قبله، فلا ينبغى أن يذكر فى الأقاويل، لأنّه قول بلا دليل، ولذا لم يعبأ به أهل التفسير و التأويل.

و أما القول بأنّ المراد هو «التقرّب» فقد حكى عن الحسن البصرى (٢) و ظاهر العينى اختياره له (٣). و استدلّ له فى «فتح البارى» بما أخرجه أحمد من طريق مجاهد عن ابن عباس أيضاً: إنّ النّبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم قال: «قل لا أسألكم عليه أجرأ على ما جئتكم به من البيّنات و الهدى إلّا أن تقرّبوا إلى الله بطاعته».

لكن قال ابن حجر: «و فى إسناده ضعف» (٤).

و هو مردود أيضاً بأنّه خلاف المتبادر من الآية، و أنّ النصوص على خلافه... و هو خلاف الذوق السليم.

و أمّا القول الأوّل من هذه الأقوال، فهو الذى اقتصر عليه ابن تيمية فلم يذكر غيره، و اختاره ابن حجر، و رجّحه الشوكانى... و الدليل عليه ما أخرجه

ص: ٣٢٢

١-١ (١) سورة سبأ ٤٧:٣٤.

٢-٢ (٢) التفسير الكبير ١٦٥:٢٧، فتح البارى ٨:٤٥٨ و غيرهما.

٣-٣ (٣) عمده القارى ١٥٧:١٩.

٤-٤ (٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨:٤٥٨.

أحمد و الشيخان و غيرهم عن طاووس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، و قد تقدّم في أوّل أخبار المسأله.

و يقع الكلام على هذا الخبر في جهتين:

الأولى: جهه السند:

فإنّ مدار الخبر على «شعبه بن الحجاج» و قد كان هذا الرجل ممّن يكذب و يضع على أهل البيت، فقد ذكر الشريف المرتضى رحمه الله أنّه روى عن جعفر ابن محمّد أنّه كان يتولّى الشيخين (١) ! فمن يضع مثل هذا لا يستبعد منه أن يضع على ابن عباس في نزول الآيه.

ثمّ إنّ الراوى عن شعبه عند أحمد «يحيى بن عباد الضبعى البصرى» قال الخطيب: «نزل بغداد و حدّث بها عن شعبه... روى عنه أحمد بن حنبل...» (٢).

و قد أورد ابن حجر هذا الرجل فيمن تكلم فيه من رجال البخارى، فنقل عن الساجى أنّه ضعيف، و عن ابن معين أنّه ليس بذاك و إن صدّقه (٣).

و روى الخطيب بإسناده عن ابن المدينى، قال: سمعت أبى يقول: يحيى ابن عباد ليس ممّن أحدث عنه، و بشار الخفّاف أمثل منه. و بإسناده عن يحيى بن معين: لم يكن بذاك، قد سمع و كان صدوقاً، و قد أتيناها فأخرج كتاباً فإذا هو لا يحسن يقرأه فانصرفنا عنه.

و بإسناده عن الساجى: ضعيف، حدّث عنه أهل بغداد. سمعت الحسن بن

ص: ٣٢٣

١-١) الشافى فى الإمامه ١١١:٤.

٢-٢) تاريخ بغداد ١٤٤:١٤.

٣-٣) مقدّمه فتح البارى: ٤٥٢.

محمد الزعفراني يحدث عنه عن الشعبي وغيره، لم يحدث عنه أحد من أصحابنا بالبصرة، لا بNDAR و لا ابن المثنى (١).

و قد أورده الذهبي في ميزانه مقتصراً على تضعيف الساجي (٢).

و الراوى عن شعبه عند البخارى «محمد بن جعفر-غندر» و قد أدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه بمناسبة قول أبى حاتم: «يكتب حديثه عن غير شعبه و لا يحتج به» (٣)، و بهذه المناسبه أيضاً أورده الذهبي في ميزانه (٤).

و الراوى عنه: «محمد بن بشر» و هو أيضاً ممن تكلم فيه غير واحد من أئمتهم، و أدرجه ابن حجر فيمن تكلم فيه فذكر تضعيف الفلاس، و أن يحيى بن معين كان يستضعفه، و عن أبى داود: لو لا سلامه فيه لترك حديثه (٥).

لكن في ميزان الاعتدال: «كذب الفلاس» و روى عن الدورقي: «كنا عند يحيى بن معين فجرى ذكر بNDAR، فرأيت يحيى لا يعبا به و يستضعفه» قال:

«و رأيت القواريري لا يرضاه» و كان صاحب حمام (٦).

أقول:

لقد كان هذا حال عمده أسانيد حديث طاووس عن ابن عباس، و الإنصاف

ص: ٣٢٤

١-١ تاريخ بغداد ١٤:١٤٥.

٢-٢ ميزان الاعتدال ٤:٣٨٧.

٣-٣ مقدمه فتح البارى: ٤٣٧.

٤-٤ ميزان الاعتدال ٣:٥٠٢.

٥-٥ مقدمه فتح البارى: ٤٣٧.

٦-٦ ميزان الاعتدال ٣:٤٩٠.

أنه لا يصلح للاحتجاج فضلاً عن المعارضه، على أن كلام الحاكم في كتاب التفسير صريح في روايه البخارى و مسلم هذا الحديث عن طريق طاووس عن ابن عباس باللفظ الدال على القول الحق، وهذا نص كلامه: «إنما اتفقا في تفسير هذه الآية على حديث عبد الملك بن ميسره الزراد عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه في قري آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

و أرسل ذلك أبو حيان عن ابن عباس إرسال المسلم، فإنه بعد أن ذكر القول الحق قال: «وقال بهذا المعنى على بن الحسين بن على بن أبى طالب و استشهد بالآيه حين سيق إلى الشام أسيراً، و هو قول ابن جبير و السدى و عمرو ابن شعيب. و على هذا التأويل قال ابن عباس: قيل: يا رسول الله، من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم؟ فقال: على و فاطمه و ابناهما» (1).

و الثانيه: جهه فقه الحديث:

و فيه:

□
أولاً: إن من غير المعقول أن يخاطب الله و رسوله المشركين بطلب الأجر على أداء رساله، فإن المشركين كافرون و مكذبون لأصل هذه رساله، فكيف يطلب منهم الأجر؟!

و ثانياً: إن هذه الآية مدنيه، و قد ذكرت في سبب نزولها روايات تتعلق بالأنصار.

و ثالثاً: على فرض كونها مكيه فالخطاب للمسلمين لا للمشركين كما بينا.

ص: ٣٢٥

و بعد، فلو تنزلنا و جؤزنا الأخذ سننداً و دلالة بما جاء فى المسند و كتابى البخارى و مسلم عن طاووس عن ابن عباس، فلا ريب فى أنه نصّ فى ذهاب سعيد بن جبير إلى القول الحقّ.

و أمّا رأى ابن عباس فمتعارض، و التعارض يؤدّى إلى التساقط، فلا يبقى دليل للقول بأنّ المراد «القرايه» بين النبى و قريش، لأنّ المفروض أن لا دليل عليه إلّا هذا الخبر.

لكنّ الصحيح أنّ ابن عباس -و هو من أهل البيت و تلميذهم- لا يخالف قولهم، و قد عرفت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينصّ على نزول الآيه فيهم، و كذا الإمام السجّاد... و لم يناقش أحد فى سند الخبرين، و كذا الإمامان السبطان و الإمامان الصادقان... فكيف يخالفهم ابن عباس فى الرأى!؟

لكن قد تمادى بعض القوم فى التروير و التعصّب، فوضعوا على لسان ابن عباس أشياء، و نسبوا إليه المخالفه لأمير المؤمنين عليه السلام فى قضايا، منها قضيه المتعه، حتّى وضعوا حديثاً فى أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول بحرمه المتعه فبلغه أنّ ابن عباس يقول بحليتها، فخاطبه بقوله:

«إنك رجل تائه!» و مع ذلك لم يرجع ابن عباس عن القول بالحليته! (1).

و لهذا نظائر لا نطيل المقام بذكرها...

و المقصود أنّ القوم لما رأوا روايه غير واحد من الصحابه -و بأسانيد معتبره- نزول الآيه المباركه فى «أهل البيت» و وجدوا أئمه أهل البيت عليهم السلام مجمعين على هذا القول... حاولوا أولاً تضعيف تلك الأخبار ثمّ وضع

ص: ٣٢٦

شئ في مقابلها عن واحدٍ من علماء أهل البيت ليعارضوها به، وليلقوا الخلاف بينهم بزعمهم... ثم يأتي مثل ابن تيمية-و من تبعه- فيستدل بالحديث الموضوع و يكذب الحديث الصحيح المتفق عليه بين المسلمين.

تنبيهان:

الأول:

قد تنبه الفخر الرازي إلى أنّ ما ذكره في ذيل الآيه من الأدله على وجوب محبة أهل البيت و إطاعتهم و احترامهم، و حرمة بغضهم و عدائهم... يتنافى مع القول بإمامه الشيخين و تعظيم الصحابه قاطبه... مع ما كان منهم بالنسبه إلى أهل البيت و صدر منهم تجاههم، فحاول أن يتدارك ذلك فقال:

«قوله «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فيه منصب عظيم للصحابه !! لأنه تعالى قال: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ». فكلّ من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالى فدخل تحت قوله: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»!

و الحاصل: إنّ هذه الآيه تدلّ على وجوب حبّ آل رسول الله و حبّ أصحابه، و هذا المنصب لا يسلم إلّا على قول أصحابنا أهل السنّه و الجماعة الذين جمعوا بين حبّ العتره و الصحابه.

و سمعت بعض المذكرين قال: إنّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم قال: مثل أهل بيتي كمثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا. و قال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؛ و نحن الآن في بحر التكليف و تضربنا أمواج الشبهات و الشهوات، و راكب البحر يحتاج إلى أمرين: أحدهما: السفينه الخاليه عن العيوب و الثقب. و الثاني: الكواكب الظاهره الطالعه التيره، فإذا ركب تلك السفينه

ص: ٣٢٧

و وقع نظره على تلك الكواكب الظاهره كان رجاء السلامه غالباً. فكذلك ركب أصحابنا أهل السُّيِّئَة سفينه حبّ آل محمّد و وضعوا أبصارهم على نجوم الصحابه، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامه و السعاده فى الدنيا و الآخرة!! (١).

و كذلك النيسابورى، فإنّه قال: «قال بعض المذكّرين: إنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم قال: مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها غرق. و عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

فنحن نركب سفينه حبّ آل محمّد و نضع أبصارنا على الكواكب التيره، أعنى آثار الصحابه لتتخلّص من بحر التكليف و ظلمه الجهاله، و من أمواج الشبهه و الضلاله!!» (٢).

و كذلك الآلوسى، فإنّه قال مثله و قد استظرف ما حكاه الرازى، قال الآلوسى بعد ما تقدّم نقله عنه فى وجوب محبّه أهل البيت و متابعتهم و حرمة بغضهم و مخالفتهم:

«و مع هذا، لا- أعدّ الخروج عمياً يعتقدده أكابر أهل السُّيِّئَة فى الصحابه- رضى الله تعالى عنهم- ديناً، و أرى حبّهم فرضاً على مبيناً، فقد أوجب أيضاً الشارع، و قامت على ذلك البراهين السواطع. و من الطرائف ما حكاه الإمام عن بعض المذكّرين...» (٣).

ص: ٣٢٨

١- (١) التفسير الكبير ١٦٦: ٢٧.

٢- (٢) تفسير غرائب القرآن ٧٤: ٦.

٣- (٣) روح المعانى ٣٢: ٢٥.

أقول:

لقد أحسن النيسابورى و الآلوسى إذ لم يتبع الفخر الرازى فى ما ذكره فى صدر كلامه، فإننى لم أفهم وجه ارتباط مطلبه بآيه المودّه...على أنّ فيه مواضع للنظر، منها: إنّ قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» قد فسّر فى كتب الفريقين فى هذه الأئمّه بعلىّ أمير المؤمنين عليه السلام (١).

و أمّا الحكايه الظريفه عن بعض المذكرين، فإنّ من سوء حظّ هذا المذكر- و هؤلاء المذكرين!!-تنصيص عشرات من الأئمّه المعتمدين على بطلان حديث النجوم و وضعه و سقوطه:

قال أحمد: حديث لا يصحّ.

و قال البزار: هذا الكلام لا يصحّ عن النبىّ.

و قال الدارقطنى: ضعيف.

و قال ابن حزم: هذا خبر مكذوب موضوع باطل، لم يصحّ قطّ.

و قال البيهقى: أسانيدّه كلّها ضعيفه.

و قال ابن عبد البر: إسناده لا يصحّ.

و قال ابن الجوزى: هذا لا يصحّ.

و قال أبو حيان: لم يقل ذلك رسول الله، و هو حديث موضوع لا يصحّ به عن رسول الله.

و قال الذهبى: هذا باطل.

و قال ابن القيم-بعد الإشاره إلى بعض طرقه-: لا يثبت شىء منها.

ص: ٣٢٩

١-١) مجمع الزوائد ١٠٢: ٩.

و ضعفه أيضاً: ابن حجر العسقلاني، و السيوطي، و السخاوي، و المتقي الهندي، و المناوي، و الخفاجي، و الشوكاني... و غيرهم...

و من شاء التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه (١).

الثاني:

قال الرازي- في الوجوه الداله على اختصاص الأربعة الأطهار بمزيد التعظيم-: «الثالث: إن الدعاء لآل منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمه التشهد في الصلاة و هو قوله: اللهم صل...» و قد تعقب بعض علمائنا هذا الكلام بما يعجبني نقله بطوله، قال:

«فائده: قال القاضي النعمان: أجمل الله في كتابه قوله «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» فبينه النبي صلى الله عليه و آله و سلم لأُمَّته، و نصب أولياءه لذلك من بعده، و ذلك معجز لهم لا يوجد إلا فيهم، و لا يعلم إلا فيهم، فقال حين سألوا عن الصلاة عليه قولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

فالصلاه المأمور بها على النبي و آله ليست هي الدعاء لهم كما تزعم العامه، إذ لا نعلم أحداً دعا للنبي فاستحسنه، و لا أمر أحداً بالدعاء له، و إلا لكان شافعاً فيه، و لأنه لو كان جواب قوله تعالى «صَلُّوا عَلَيْهِ» اللهم صل على محمد و آل محمد، لزم أن يكون ذلك ردّاً لأمره تعالى، كمن قال لغيره: إفعل كذا، فقال:

ص: ٣٣٠

إفعل أنت. و لو كانت الصلاة الدعاء، لكان قولنا: اللهم صل على محمد و آل محمد، بمعنى: اللهم ادع له، و هذا لا يجوز.

و قد كان الصحابه عند ذكره يصلون عليه و على آله، فلما تغلب بنو أميه قطعوا الصلاة عن آله فى كتبهم و أقوالهم، و عاقبوا الناس عليها بغضاً لآله الواجبه مودتهم، مع روايتهم أنّ النبى سمع رجلاً يصلّى عليه و لا يصلّى على آله فقال: لا تصلّوا على الصلاة البتره، ثمّ علمه ما ذكرناه أولاً. فلما تغلب بنو العباس أعادوها و أمروا الناس بها، و بقى منهم بقيه إلى اليوم لا يصلّون على آله عند ذكره.

هذا فعلهم، و لم يدركوا أنّ معنى الصلاة عليهم سوى الدعاء لهم - و فيه شمه لهضمه منزلتهم حيث إنّ فيه حاجه ما إلى دعاء رعيتهم - فكيف لو فهموا أنّ معنى الصلاة هنا المتابعه؟! و منه المصلّى من الخيل، فأول من صلّى النبى - أى تبع - جبريل، حين علمه الصلاة، ثمّ صلّى على النبى، إذ هو أول ذكر صلّى بصلاته، فبشّر الله النبى أنّه يصلّى عليه بإقامه من ينصبه مصلياً له فى أمته، و ذلك لما سأل النبى بقوله: «وَ اجْعَلْ لِي وَ زِيْرًا مِنْ أَهْلِى» علياً «أَشْدُّ بِهِ أَرْزِي» ثمّ قال تعالى: «صَلُّوا عَلَيْهِ» أى: اعتقدوا و لايه على و سلّموا لأمره. و قول النبى:

قولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد. أى: أسألوا الله أى يقيم له و لايه و لايه يتبع بعضهم بعضاً كما كان فى آل إبراهيم، و قوله: و بارك عليهم، أى: أوقع النموّ فيهم، فلا تقطع الإمامه عنهم.

و لفظ الآل و إن عمّ غيرهم إلا أنّ المقصود هم، لأنّ فى الأتباع و الأهل و الأولاد فاجر و كافر لا تصلح الصلاة عليه.

فظهر أنّ الصلاة عليه هى اعتقاد وصيته و الأئمه من ذريته، إذ بهم كمال دينهم و تمام النعمه عليهم، و هم الصلاة التى قال الله إنّها تنهى عن الفحشاء

و المنكر، لأنّ الصلاه الراتبه لا تنهى عن ذلك فى كثير من الموارد» (١).

دلاله الآيه سواء كان الإستثناء متصلاً أو منقطعاً:

و تلخص: إنّ الآيه المباركه داله على وجوب مودّه «أهل البيت»..

*سواء كانت مكّيه أو مدنيّه، بغضّ النظر عن الروايات أو بالنظر إليها.

وسواء كان الإستثناء منقطعاً كما ذهب إليه غير واحد من علماء العامه و بعض أكابر أصحابنا كالشيخ المفيد البغدادي رحمه الله، نظراً إلى أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم لا يطلب أجراً على تبليغ الرساله، قال رحمه الله:

«لا- يصحّ القول بأنّ الله تعالى جعل أجر نبيه مودّه أهل بيته عليهم السلام، و لا أنّه جعل ذلك من أجره عليه السلام، لأنّ أجر النبىّ فى التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم، و هو مستحقّ على الله تعالى فى عدله وجوده و كرمه، و ليس المستحقّ على الأعمال يتعلّق بالعباد، لأنّ العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً، و ما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا، مع أن الله تعالى يقول: «و يا قوم لا- أسئلكم عليه مالاّ إنّ أجرى إلاّ على الله» و فى موضع آخر: «و يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إنّ أجرى إلاّ على الذى فطرني».

فإن قال قائل: فما معنى قوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّه فى القربى»؟ أ و ليس هذا يفيد أنّه قد سألهم مودّه القربى لأجره على الأداء؟

قيل له: ليس الأمر على ما ظننت. لما قدّمناه من حججه العقل و القرآن،

ص: ٣٣٢

و الاستثناء فى هذا المكان لىس هو من الجملة، لكنّه استثناء منقطع. و معناه: قل لا- أسألکم علیه أجرًا لكن أزمکم المودّه فى القربى و أسألکموها، فىكون قوله:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» كلاماً تاماً قد استوفى معناه، و يكون قوله: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» كلاماً مبتدأ فائدته: لكن المودّه فى القربى سألتكموها، و هذا كقوله:

«فَسَيَجِدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ» و المعنى فيه: لكنّ إبليس، و لىس باستثناء من جملة. و كقوله: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» معناه: لكنّ ربّ العالمين لىس بعدوّ لى. قال الشاعر: و بلده لىس بها أنىس إلّا اليعافىر و إلّا العىس» (١)

*أو كان متصلاً كما جوزه آخرون، من العامّه كالزمخشرى و النسفى (٢) و غيرهما.

و من أعلام أصحابنا كشيخ الطائفة، قال: «فى هذا الإستثناء قولان:

أحدهما: أنّه استثناء منقطع، لأنّ المودّه فى القربى لىس من الأجر، و يكون التقدير: لكن أذكركم المودّه فى قرابتى. الثانى: أنّه استثناء حقيقه، و يكون:

أجرى المودّه فى القربى كأنه أجر و إن لم يكن أجر» (٣).

و كالشيخ الطبرسى، قال: «و على الأقوال الثلاثة فقد قيل فى «إِلَّا الْمَوَدَّةَ» قولان، أحدهما: أنّه استثناء منقطع، لأنّ هذا ممّا يجب بالإسلام فلا يكون أجرًا للنبوّه.

و الآخر: أنّه استثناء متّصل، و المعنى: لا أسألکم علیه أجرًا إلّا هذا فقد

ص: ٣٣٣

١- ١) تصحيح الاعتقاد- مصنفات الشيخ المفيد:- ١٤٠-١٤٢.

٢- ٢) الكشاف فى تفسير القرآن ٤٠٤:٥، تفسير النسفى ٥٠٩:٢.

٣- ٣) التبيان فى تفسير القرآن ١٥٨:٩.

رضيت به أجراً، كما أنك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك براً فتقول له: إجعل بزي قضاء حاجتي. و على هذا يجوز أن يكون المعنى: لا- أسألكم عليه أجراً إلّا هذا، و نفعه أيضاً عائد عليكم، فكأنّي لم أسألكم أجراً، كما مرّ بيانه في قوله: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ».

و ذكر أبو حمزه الثمالي في تفسيره: حدّثنى عثمان بن عمير، عن سعيد بن جبیر، عن عبد الله بن عباس: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين قدم المدينة و استحکم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها: نأتى رسول الله فنقول له:

تعروك أمور، فهذه أموالنا...» (١).

*هذا، و لكن قد تقرّر في محلّه، أنّ الأصل في الإستثناء هو الاتّصال، و أنّه يحمل عليه ما أمكن، و من هنا اختار البعض- كالبيضاوى حيث ذكر الانقطاع قولاً- الاتّصال (٢)، بل لم يجوّز بعض أصحابنا الانقطاع فقد قال السيّد الشهيد التستري: «تقرّر عند المحقّقين من أهل العربيّه و الأصول أن الاستثناء المنقطع مجاز واقع على خلاف الأصل، و أنّه لا يحمل على المنقطع إلّا لتعذّر المتّصل، بل ربّما عدلوا عن ظاهر اللفظ الذى هو المتبادر إلى الذهن المخالفين له، لفرض الحمل على المتّصل الذى هو الظاهر من الاستثناء كما صرّح به الشارح العضدى حيث قال: و اعلم أنّ الحقّ أنّ المتّصل أظهر، فلا يكون مشتركاً و لا للمشترك، بل حقيقه فيه و مجاز في المنقطع، و لذلك لم يحمله علماء الأمصار على المنفصل إلّا عند تعذّر المتّصل حتّى عدلوا للحمل على المتّصل عن الظاهر

ص: ٣٣٤

١- ١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٩: ٥.

٢- ٢) انوار التنزيل و اسرار التأويل: ٦٤٢.

و خالفوه، و من ثمّ قالوا فى قوله: له عندى مائه درهم إلبا ثوباً، و له على إبل إلبا شاه، معناه: إلبا قيمه ثوب أو قيمه شاه، فیر تکبون الإضمار و هو خلاف الظاهر لیصیر متصلاً، و لو كان فى المنقطع ظاهراً لم یر تکبوا مخالفه ظاهر حذراً عنه انتهى» (١).

ص: ٣٣٥

١-١) إحقاق الحقّ و إزهاق الباطل ٢١:٣-٢٢.

إشاره

و كيف كان... فالآيه المباركه تدلّ على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام و أهل البيت عليهم السلام من وجوه:

١- القرابه النسبيه و الإمامه:

إنّه إن لم يكن للقرابه النسبيه دخل و أثر فى الإمامه و الخلافه، فلا ريب فى تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كلّما يكون وجهاً لاستحقاقها فهو موجود فيه على النحو الأتمّ الأكمل الأفضل... لكنّها دخلت و أثراً كما سنرى..

و لقد أجاد السيّد ابن طاووس الحلى حيث قال-ردّاً على الجاحظ فى رسالته العثمانيه- ما نصّه:

«قال: و زعمت العثمانيه: أنّ أحداً لا ينال الرئاسه فى الدين بغير الدين.

و تعلق فى ذلك بكلام بسيط عريض من يملأ كتابه و يكثر خطابه، بألفاظ منضّده، و حروف مسدّده كانت أو غير مسدّده. بيان ذلك:

إنّ الإماميه لا تذهب إلى أنّ استحقاق الرئاسه بالنسب، فسقط جميع ما أسهب فيه الساقط، و لكنّ الإماميه تقول: إن كان النسب وجه الإستحقاق فبنو هاشم أولى به، ثمّ على أولاهم به، و إن يكن بالسبب فعلى أولى به إذ كان صهر

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالتَّرْبِيَةِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالْوَالِدَةِ مِنْ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالْهَجْرَةِ فَعَلَى مَسْبِيهَا بِمَبِيَّتِهِ عَلَى الْفِرَاشِ، فَكُلُّ مَهَاجِرٍ بَعْدَ مَبِيَّتِهِ فِي ضِيَاقَتِهِ عِدَا رَسُولِ اللَّهِ، إِذَا الْجَمِيعُ فِي مَقَامِ عِبِيدِهِ وَخَوْلِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالْجِهَادِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِحِفْظِ الْكِتَابِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِتَفْسِيرِهِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ عَلَى مَا أَسْفَلَتْ، وَإِنْ يَكُنْ بِالْعِلْمِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالْخُطَابَةِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالشَّعْرِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ.

قال الصولي فيما رواه: كان أبو بكر شاعراً و عمر شاعراً و عليّ أشعرهم.

وَإِنْ يَكُنْ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْمُبَاحِثِ الْكَلَامِيَةِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِحَسَنِ الْخَلْقِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، إِذْ عَمَرَ شَاهِدَ بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالصَّدَقَاتِ فَعَلَى -عَلَى مَا سَلَفَ- أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِالقُوَّةِ الْبَدَنِيَّةِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، بَيَانُهُ: بَابُ خَيْرٍ، وَإِنْ يَكُنْ بِالزُّهْدِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ فِي تَقَشُّفِهِ وَبِكَائِهِ وَخَشْوَعِهِ وَفَنُونِ أَسْبَابِهِ وَتَقَدُّمِ إِيمَانِهِ، وَإِنْ يَكُنْ بِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي فَضْلِهِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، بَيَانُهُ: مَا رَوَاهُ ابْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ عَلَى مَا سَلَفَ، وَإِنْ يَكُنْ بِالقُوَّةِ الْوَاعِيَةِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، بَيَانُهُ:

قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَدْنِيكَ وَلا أَقْصِيكَ، وَأَنْ أَعْلَمَكَ وَتَعَى، وَحَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَعَى»، وَإِنْ يَكُنْ بِالرَأْيِ وَالحِكْمِ فَعَلَى أَوْلَى بِهِ، بَيَانُهُ:

شَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ عَلَى مَا مَضَى بِالحِكْمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَبَهَّنَا عَلَيْهِ فِي مَا مَضَى.

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا بِأَنْ مَعْنَى التَّلَقُّ لِمَنْ يَذْكُرُ النِّسْبَ إِذَا ذَكَرَهُ، وَلِهَذَا تَعَجَّبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَسْتَوْلِي عَلَى الْخُلَافَةِ بِالصَّحَابَةِ، وَلا يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا بِالقُرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ.

ثُمَّ إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ أبا عَثْمَانَ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ أَحَدًا لا يَنَالُ الرِّئَاسَةَ فِي

بيانه: أنه لو تخلى صاحب الدين من السداد ما كان أهلاً للرئاسه، و هو منع أن ينالها أحد إلا بالدين، و الاستثناء من النفي إثبات حاضر في غير ذلك من صفات ذكرتها في كتابي المسمى «بالآداب الحكيمه» متكثره جداً، و منها ما هو ضرورى، و منها ما هو دون ذلك.

و من بغى عدو الإسلام أن يأتي متلفظاً بما تلفظ به، و أمير المؤمنين عليه السلام الخصم، و تيجان شرفه المصادمه، و مجد سؤدده المدفوع، إذ هو صاحب الدين، و به قام عموده، و رست قواعده، و به نهض قاعده، و أفرغت على جيد الإسلام قلائده.

و أقول بعد هذا: إنَّ للنسب أثراً في الرئاسه قوياً.

بيانه: أنه إذا تقدّم على أرباب الشرف النسبى من لا يدانيهم، و قادهم من لا يقاربهم و لا يضاهيهم، كانوا بالأخلق عنه نافرين آنفين، بل إذا تقدّم على أهل الرئيس الفئات غير عصبته، و قادهم غير القريب الأذنى من لحمته، كانوا بالأخلق عنه حائدين متباعدين، و له قالين، و ذلك مظنه الفساد فى الدين و الدنيا، و قد ينخرم هذا اتفاقاً، لكنّ المناط الظاهر هو ما إليه أشرت، و عليه عوّلت.

و أقول: إنَّ القرآن المجيد لما تضمّن العنايه بالأقربين من ذريّه رسول الله صلى الله عليهم و مواددتهم، كان ذلك مادّه تقديمهم مع الأهليه التى لا يرجح غيرهم عليهم فيها، فكيف إذا كان المتقدم عليهم لا يناسبهم فيها و لا يدانيها؟! □ □

قال الثعلبى بعد قوله تعالى «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» بعد أن حكى شيئاً ثم قال: فأخبرنى الحسين بن محمّد [قال:] حدّثنا برهان بن

علیّ الصوفی، [قال:] حدّثنا حرب بن الحسن الطّحان [قال:] حدّثنا حسین الأشقر، عن قیس، عن الأعمش، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: لَمَّا نزلت «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ابناهما.

و روى فنوناً جمّه غير هذا من البواعث على محبّه أهل البيت، فقال:

أخبرنا أبو حسان المزكى، [قال:] أخبرنا أبو العبّاس، محمّد بن إسحاق، [قال:] حدّثنا الحسن بن عليّ بن زياد السرى، [قال:] حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى، [قال:] حدّثنا حسين الأشقر، [قال:] حدّثنا قيس، [قال:] حدّثنا الأعمش، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: لَمَّا نزلت «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» فقالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمه و ولدهما.

و قال: أخبرنا أبو بكر بن الحرث، [قال:] حدّثنا أبو السبح، [قال:] حدّثنا عبد الله بن محمّد بن زكريّا، [قال:] أخبرنا إسماعيل بن يزيد، [قال:] حدّثنا قتيبه بن مهران، [قال:] حدّثنا عبد الغفور أبو الصباح، عن أبى هاشم الرقانى، عن زاذان، عن عليّ رضى الله عنه، قال: فينا فى آل حم، إنّه لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ».

و قال الكلبي: قل لا أسألكم على الإيمان جعلاً إلّا أن توادوا قرابتي، و قد رأيت أن أذكر شيئاً من الآى الذى يحسن أن تتحدّث عنده» (1).

ص: ٣٣٩

أقول:

لا ريب في أنّ للنسب و القرب النسبى تأثيراً، و أنّ للعناية الإلهية بـ«القربى»-أى: بعلىّ و الزهراء بضعة النبىّ و ولديهما-حكمه، و فى السنّه النبويّه على ذلك شواهد و أدلّه نشير إلى بعضها بإيجاز:

أخرج مسلم و الترمذى و ابن سعد و غيرهم عن وائله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم يقول: «إن الله عزّ و جلّ اصطفى كنانه من ولد إسماعيل عليه الصلاه و السلام، و اصطفى قريشاً من كنانه، و اصطفى من قريش بنى هاشم، و اصطفانى من بنى هاشم» (١).

قال النووى بشرحه: «استدلّ به أصحابنا على أنّ غير قريش من العرب ليس بكفٍ لهم، و لا- غير بنى هاشم كف لهم إلّا بنى المطّلب، فإنّهم هم و بنو هاشم شىء واحد، كما صرّح به فى الحديث الصحيح» (٢).

و عقد الحافظ أبو نعيم: «الفصل الثانى: فى ذكر فضيلته صلى الله عليه [و آله] و سلم بطيب مولده و حسبه و نسبه و غير ذلك» فذكر فيه أحاديث كثيره بالأسانيد، منها ما تقدّم، و منها الروايه التاليه:

«إنّ الله عزّ و جلّ حين خلق الخلق جعلنى من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلنى من خير قبيلتهم، و حين خلق الأنفس جعلنى من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم، فأنا خيرهم أباً و خيرهم نفساً» (٣).

ص: ٣٤٠

١-١) جامع الأصول ٥٣٥/٦٣٣٧:٨ عن مسلم (١٠٦/٢٢٧٦:٤) و الترمذى (٥/٣٦٠٦:٦)، الطبقات الكبرى [٢٠:١، الشفا بتعريف حقوق المصطفى] ١:١٨١.

٢-٢) المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٣٦:١٥.

٣-٣) دلائل النبوه ١٦/٦٦:١.

و ذكر الحافظ محب الدين الطبري بعض هذه الأحاديث تحت عنوان «ذكر اصطفائهم» و «ذكر أنهم خير الخلق» (١).

□
وقال القاضي عياض: «الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً و خلقاً، و قرانه جميع الفضائل الدينيه و الدنيويه فيه نسقاً» فذكر فيه فوائد جمه في كلام طويل (٢).

□
إذن، هناك ارتباط بين «آيه الموده» و «آيه التطهير» و أحاديث «الاصطفاء» و «أنهم خير خلق الله».

ثم إن في أخبار السقيفه و الاحتجاجات التي دارت هناك بين من حضرها من المهاجرين و الأنصار ما يدل على ذلك دلالة واضحة، فقد أخرج البخاري أن أبا بكر خاطب القوم بقوله: «لن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسباً و داراً» (٣) و لا يستريب عاقل في أن علياً عليه السلام هو الأشرف - من المهاجرين و الأنصار كلهم - نسباً و داراً، فيجب أن يكون هو الإمام.

□
بل روى الطبري و غيره أنه قال كلمه أصرح و أقرب في الدلالة، فقال الطبري إنه قال في خطبته: «فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و الإيمان به و المواساه له و الصبر معه على شدّه أذى قومهم لهم و تكذيبهم اياهم، و كل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقله عددهم و شنف الناس لهم

ص: ٣٤١

١ - ١) ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى: ٣٥-٣٦.

٢ - ٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٣٧: ١.

٣ - ٣) صحيح البخاري ٣٤٦/٦٨٣٠: ٤، و انظر: الطبري ٢٠٥: ٣، سيره ابن هشام ٣١٠: ٤، و غيرهما.

و إجماع قومهم عليهم.

فهم أول من عبد الله في الأرض و آمن بالله و بالرسول، و هم أولياؤه و عشيرته و أحق الناس بهذا الأمر من بعده، و لا ينازعهم ذلك إلا ظالم» (١).

و في روايه ابن خلدون: «نحن أولياء النبي و عشيرته و أحق الناس بأمره، و لا ينازع في ذلك» (٢).

و في روايه المحب الطبري عن موسى بن عقبه عن ابن شهاب: «فكنا -معشر المهاجرين- أول الناس إسلاماً، و نحن عشيرته و أقاربه و ذوو رحمه، و نحن أهل الخلافه، و أوسط الناس أنساباً في العرب، و ولدتنا العرب كلها، فليس منهم قبيله إلا لقريش فيها ولاده، و لن تصلح إلا لرجل من قريش...» (٣).

و هل اجتمعت هذه الصفات -في أعلى مراتبها و أسمى درجاتها- إلا في علي عليه السلام؟! إن علياً عليه السلام هو الذي توفرت فيه هذه الصفات و اجتمعت الشروط... فهو «عشيرته النبي» و «ذو رحمه» و «وليه» و هو «أول من عبد الله في الأرض و آمن به» فهو «أحق الناس بهذا الأمر من بعده» و «لا ينازعه في ذلك إلا ظالم»!!

و من هنا نراه عليه السلام يحتج على القوم في الشورى ب «الأقربيه» فيقول: «أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم في الرحم مني، و من جعله نفسه و أبناءه أبناءه و نساءه نساءه غيري؟! قالوا: اللهم لا» الحديث (٤).

ص: ٣٤٢

١- ١) تاريخ الطبري ٣: ٢١٩.

٢- ٢) تاريخ ابن خلدون ٤: ٨٥٤.

٣- ٣) الرياض النضرة ١: ٢٣٦.

٤- ٤) الصواعق المحرقة: ٢٣٩ عن الدارقطني.

و هذا ما اعترف به له عليه السلام طلحه و الزبير، حين راجعه الناس بعد قتل عثمان ليبايعوه، فقال-في ما روى عن ابن الحنفية-:«لا حاجة لي في ذلك، عليكم بطلحه و الزبير.

قالوا: فانطلق معنا. فخرج عليّ و أنا معه في جماعه من الناس، حتّى أتينا طلحه بن عبيد الله فقال له: إن الناس قد اجتمعوا ليبايعوني و لا حاجة لي في بيعتهم، فابسط يدك أبايعك على كتاب الله و سنّه رسوله.

فقال له طلحه: أنت أولى بذلك منّي و أحقّ، لسابقتك و قرابتك، و قد اجتمع لك من هؤلاء الناس من تفرّق عنّي.

فقال له عليّ: أخاف أن تنكث بيعتي و تغدر بي !

قال: لا تخافنّ ذلك، فو الله لا ترى من قبلي أبداً شيئاً تكرهه.

قال: الله عليك بذلك كفيلاً.

ثمّ أتى الزبير بن العوّام- و نحن معه- فقال له مثل ما قال لطلحه و ردّ عليه مثل الذي ردّ عليه طلحه» (١).

هذا، و قد كابر الجاحظ في ذلك، في رسالته التي وضعها للدفاع عن العثمانيين، فردّ عليه السيّد ابن طاووس الحلّي- طاب ثراه- قائلاً:

«و تعلق بقوله تعالى: «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى».

و ليس هذا دافعاً كون القرابه إذا كان ذا دين و أهليه أن يكون أولى من غيره و أحقّ ممّن سواه بالرئاسه.

و تعلق بقول رسول الله لجماعه من بني عبد المطلب: إنّي لا أغني عنكم

ص: ٣٤٣

و هي روايه لم يسندها عن رجالٍ، و لم يضيفها إلى كتاب.

□
و ممّا يردّ عليها ما رواه الثعلبي، قال: و أخبرنا يعقوب بن السرى، [قال:] أخبرنا محمد بن عبد الله الحفيد، [قال:] حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عامر، [قال:] حدّثني أبي، حديث عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: حدّثني أبي موسى ابن جعفر، [قال:] حدّثني أبي جعفر بن محمد، [قال:] حدّثنا أبي محمد بن عليّ، [قال:] حدّثنا أبي عليّ بن الحسين، [قال:] حدّثنا أبي الحسين بن عليّ، [قال:] حدّثنا أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «حرّمت الجنّه علي من ظلم أهل بيتي و آذاني في عترتي، و من اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب و لم يجازه عليها، فأنا جازيه [به] غداً إذا لقيني في القيامة.

□
و من كتاب الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني «في ما نزل من القران في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام» ما يشهد بتكذيب قصد الجاحظ ما حكايته:

و من سوره النساء، حدّثنا عليّ بن محمّد، قال: حدّثني الحسن بن الحكم الحبري، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حيان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله تعالى: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ» ...

□ □
الآيه، نزلت في رسول الله صلّى الله عليه و آله و أهل بيته و ذوى أرحامه، و ذلك أنّ كلّ سبب و نسب منقطع [يوم القيامة] إلّا ما كان من سببه و نسبه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيباً».

و الروايه عن عمر شاهده بمعنى هذه الروايه حيث ألخ بالترويح عند أمير

المؤمنين صلوات الله عليه.

و تعلق بقوله تعالى: «وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ».

أقول: إن الجاحظ جهل أو تجاهل، إذ هي في شأن الكافرين، لا في سادات المسلمين أو أقرباء رسول رب العالمين.

بيانه: قوله تعالى: «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ».

و تعلق بقوله تعالى: «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا» و لم يتمم الآية، تدليسياً و انحرافاً، أو جهلاً، أو غير ذلك، و الأقرب بالأمارات الأول، لأن الله تعالى تمم ذلك بقوله: «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

و خالص الذرية و القرابه مرحومون بالآى و الأثر، فسقط تعلقه، مع أن هذا جميعه ليس داخلاً فى كون ذى الدين و الأهليه لا يكون له ترجيح فى الرئاسة و تعلق له بالرئاسه.

و تعلق بقوله تعالى: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» و ليس هذا مما يدخل فى تقريره الذى شرع فيه، و إن كان حديثاً خارجاً عن ذلك، فالجواب عنه: بما أن المفسرين أو بعضهم قالوا فى معنى قوله تعالى:

«سَلِيمٍ» أى: لا يشرك، و هذا صحيح.

و تعلق بقوله تعالى: «أَتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ أَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ» و ليس هذا من الرئاسة الدنياويه فى شىء.

و بعد، فهو مخصوص بقرابه النبى عليه السلام بالأثر السالف عن الرضا.

و بعد، فإن المفسرين قالوا عند قوله تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» قالوا: الشفاعه، و إذا كان الرسول شافعاً فى عموم الناس فأولى أن

يشفع في ذرّيته ورحمه، وكذا قيل في قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ» إنها الشفاعة.

و تعلق بقوله تعالى: «وَ اتُّلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ» و ليس هذا ممّا حاوله من سابق تقريره في شيء.

و تعلق في قصّه نوح و كنعان، و ليس هذا ممّا نحن فيه في شيء، أين كنعان من سادات الإسلام؟!.

و تعلق بقوله تعالى: «لَا يَذَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و للإماميه في هذا مباحث سديده، إذ قالوا: من سبق كفره، ظالم لا محاله فيما مضى، فلا يكون أهلاً للرئاسه، فهذه وارده على الجاحظ لا له.

و روى في شيء من ذلك الروايه من طرق القوم، و ساق ما لا صيور له فيما نحن بصدده» (١).

٢- وجوب المودّه يستلزم وجوب الطاعه:

إنّه ليس المراد من «المودّه» هو «المحبّه المجرّده»، لا- سيّما في مثل الآيه المباركه «ذَلِكَ الَّذِي يَبْسُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسِبْنَاهُ...» فإنّه قد جعلت «المودّه»- بناءً على اتّصال الاستثناء- أجراً للرساله، و من المعلوم أنّه لو لا التساوى و التناسب بين الشى و مقابله لم يصدق على الشىء عنوان «الأجر»، و حينئذ، فإذا لاحظنا عظمه الرساله المحمّديه عند الله و عند البشريّه، اهتدينا إلى عظمه

ص: ٣٤٦

هذا الأجر و هو «الموَدَّه في القُرْبَى».

و كذا بناءً على الانقطاع، لأن الروايات قد دلّت على أنّ المسلمين اقترحوا عليه صلّى الله عليه وآله و سلم أن يدفعوا إليه في مقابل أداء رساله من الأموال ما يكون معه في سعه فأجاب-بناءً على هذا القول-بالردّ و أنّه لا يسألهم أجراً أصلاً، ثم قال: و لكن «الموَدَّه في القُرْبَى» فجعلها هي الشى المطلوب منهم و الواجب عليهم..

فإيجاب الموَدَّه في مثل هذا المقام، دون غيرها ممّا كان بالإمكان أن يطلبه منهم-يدلّ على أنّ هذا الأمر أهمّ الأشياء عند الله و الرسول.

و على الجملة.. ليس المراد مجرد الموَدَّه و المحبّه، بل هي المحبّه المستتبعه للانقياد و الطاعه، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (١) و الاتباع يعنى إطاعه الأمر كما فى الآيه المباركه: «وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي» (٢). و الاتباع، و الانقياد التام، و الإطاعه المطلقه، هو معنى الإمامه و الولاية...

قال العلامة الحلّى: «الرابعه: قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِي الْقُرْبَى» روى الجمهور...

و وجوب الموَدَّه يستلزم وجوب الطاعه» (٣).

و قال أيضاً: «البرهان السابع: قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِي الْقُرْبَى» روى أحمد بن حنبل...

ص: ٣٤٧

١-١) سورة آل عمران ٣:٣١. و راجع التفاسير كالرازى ٨:١٨.

٢-٢) سورة آل عمران ٣:٣١. و راجع التفاسير كالرازى ٨:١٨.

٣-٣) نهج الحق: ١٧٥.

و غير عليّ من الصحابه الثلاثة لا تجب مودّته، فيكون عليّ عليه السلام أفضل فيكون هو الإمام، لأنّ مخالفته تنافى المودّه و امتثال أوامره يكون مودّه، فيكون واجب الطاعه، و هو معنى الإمامه» (١).

٣- وجوب المحبّه المطلقه يستلزم الأفضليّه:

و أيضاً، فإنّ عليّاً ممّن وجبت محبّته و مودّته على نحو الإطلاق، و من وجبت محبّته كذلك كان هو الأحبّ، و من كان أحبّ الناس إلى الله و رسوله كان أفضلهم، و من كان أفضل كان هو الإمام... فعليّ عليه السلام هو الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله.

أمّا المقدمه الأولى فواضحه جدّاً من الآيه المباركه.

و أمّا المقدمه الثانيه فواضحه كذلك، و ممّا يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله و رسوله: حديث الطائر، إذ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم - و قد أهدى إليه طائر -: «اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك، فجاء عليّ فأكلّ معه» رواه عنه من الصحابه:

١- عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- عبد الله بن عباس.

٣- أبو سعيد الخدرى.

٤- سفينه.

٥- أبو الطفيل عامر بن واثله.

ص: ٣٤٨

١- (١) منهاج الكرامه: ١٤٨.

٦- أنس بن مالك.

٧- سعد بن أبي وقاص.

٨- عمرو بن العاص.

٩- أبو مرزم يعلى بن مژه.

١٠- جابر بن عبد الله الأنصاري. □

١١- أبو رافع.

١٢- حبشى بن جناده.

و رواه عنهم من التابعين عشرات الرجال.

و من مشاهير الأئمة و الحفاظ و العلماء فى كل قرن، أمثال:

أبى حنيفه، إمام المذهب.

و أحمد بن حنبل، إمام المذهب.

و أبى حاتم الرازى.

و أبى عيسى الترمذى.

و أبى بكر البزار.

و أبى عبد الرحمن النسائى.

و أبى الحسن الدارقطنى. □

و أبى عبد الله الحاكم النيسابورى. □

و أبى بكر بن مردويه.

و أبى نعيم الأصفهانى.

و أبى بكر البيهقى.

و أبي عمر بن عبد البرّ.

ص: ٣٤٩

و أبي محمد البغوي.

و أبي الحسن العبدري.

و أبي القاسم بن عساكر.

و ابن حجر العسقلاني.

و جلال الدين السيوطي.

و على الجملة، فهذا الحديث نصّ في أنّ علياً أحبّ الخلق إلى الله و رسوله (١).

و أما المقدمه الثالثه فهي واضحه جداً كذلك، و قد نصّ غير واحدٍ منه على ذلك أيضاً:

قال وليّ الدين ابن العراقي، في كلام له نقله الحافظ القسطلاني و ابن حجر المكي عنه: «المحبّه الدينيه لازمه للأفضليّه فمن كان أفضل كانت محبّتنا الدينيه له أكثر» (٢).

و قال الرازي بتفسير «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»: □

«و المراد من محبّه الله تعالى له إعطاؤه الثواب» (٣).

و من الواضح: أنّ من كان الأحبّ إلى الله كان الأكثر ثواباً، و الأكثر ثواباً هو الأفضل قطعاً.

و قال ابن تيميه: «و المقصود أنّ قوله: (و غير عليّ من الثلاثه لا تجب

ص: ٣٥٠

١- ١) و هو يشكّل الجزئين الثالث عشر و الرابع عشر من كتابنا الكبير: «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار في إمامه الأئمه الأطهار».

٢- ٢) المواهب اللدنيه بالمنح المحمديه ٥٤٧: ٢، الصواعق المحرقة: ٩٧.

٣- ٣) التفسير الكبير ١٩: ٨.

موَدّته) كلام باطل عند الجمهور، بل موَدّه هؤلاء أوجب عند أهل السنّه من موَدّه عليّ، لأنّ وجوب الموَدّه على مقدار الفضل، فكلّ من كان أفضل كانت موَدّته أكمل...

□
و في الصحيح: إنّ عمر قال لأبي بكر يوم السقيفه-بل أنت سيّدنا و خيرنا و أحبنا إلى رسول الله» (١).

و قال التفتازاني: «إنّ (أحبّ خلقك) يحتمل تخصيص أبي بكر و عمر منه، عملاً بأدله أفضليتهما» (٢).

و على الجملة، فإنّ هذه المقدّمه واضحة أيضاً و لا خلاف لأحد فيها.

و أمّا المقدّمه الرابعه فبدليل العقل و النقل، و به صرح غير واحد من أعلام أهل الخلاف، حتّى أنّهم نقلوا عن الصحابه ذلك كما تقدّم في بعض الكلمات في فصل الشبهات، و قال الشريف الجرجاني في الشورى و أنّه لما ذا جعلت في هؤلاء السنّه دون غيرهم:

«و إنّما جعلها شوري بينهم، لأنّه رآهم أفضل ممّن عداهم و أنّه لا يصلح للإمامه غيرهم» (٣).

و قال ابن تيميّه: الجمهور من أصحابنا و غيرهم يقولون: يجب توليه الأفضل مع الإمكان (٤).

و قال محبّ الدين الطبري: «قولنا: لا تنعقد ولايه المفضول عند وجود

ص: ٣٥١

١-١) منهاج السنّه ٧:١٠٦-١٠٧.

٢-٢) شرح المقاصد ٥:٢٩٩.

٣-٣) شرح المواقف ٨:٣٦٥.

٤-٤) منهاج السنه ٦:٤٧٥.

و كذا قال غيرهم... ولا حاجة إلى ذكر كلماتهم.

و إلى هذا الوجه أشار العلامة الحلّي في كلامه السابق.

و قال المحقّق نصير الدين الطوسي في أدلّه أفضليّه أمير المؤمنين عليه السلام: «و وجوب المحبّه».

فقال العلامة بشرحه: «هذا وجه تاسع عشر و تقريره: إنّ عليّاً عليه السلام كان محبته و مودّته واجبه دون غيره من الصحابه، فيكون أفضل منهم. و بيان المقدّمه الأولى: إنّ كان من أولى القربى، فتكون مودّته واجبه لقوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٢).

٤- وجوب المحبّه المطلقه يستلزم العصمه:

و أيضاً: فإنّ إطلاق الأمر بمودّتهم دليل على عصمتهم، و إذا ثبتت العصمه ثبتت الإمامه، و هذا واضح.

أمّا أنّ إطلاق الأمر بمودّتهم -الدالّ على الإطاعه المطلقه- دليل على عصمتهم، فيكفي فيه كلام الفخر الرازي بتفسير قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (٣).

فإنّه قال:

«إنّ الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآيه، و من

ص: ٣٥٢

١- (١) الرياض النضرة ١٧٣: ٢.

٢- (٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤١٨.

٣- (٣) سوره النساء ٥٩: ٤.

أمر الله بطاعته على سبيل الجزم و القطع لا- بدّ و أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، و الخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر و النهى في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، و إنّه محال فثبت أن الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم، و ثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم و جب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ (أولى الأمر) المذكور في هذه الآية لا بدّ و أن يكون معصوماً» (1).

فهذا محلّ الشاهد من كلامه، و أمّا من «أولى الأمر» الذين أمرنا بإطاعتهم؟ فذاك بحث آخر..

و على الجملة، فوجوب الإطاعة و الاتّباع على الإطلاق- المستفاد من وجوب المحبّه المطلقه- مستلزم للعصمه.

و قد ذكر هذا الوجه غير واحدٍ من علمائنا:

قال البياضى العاملى رحمه الله: «جعل الله أجر رساله نبيه في موّده أهله في قوله تعالى: «قُلْ لَا أُشْرِكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قالوا: المراد القربى في الطاعات، أى: في طاعه أهل القربى.

قلنا: الأصل عدم الإضمار، و لو سلّم فلا يتصوّر إطلاق الأمر بموّدتهم إلّا مع عصمتهم.

قالوا: المخاطب بذلك الكفّار، يعنى: راقبوا نسبي بكم، يعنى القرشيه.

قلنا: الكفّار لا تعتقد للنبيّ أجراً حتّى تخاطب بذلك.

ص: ٣٥٣

على أنّ الأخبار المتفق عليها تنافى الوجهين، ففي صحيح البخارى...» (١).

وقال السيد الشير: «وجوب المودّة يستلزم وجوب الاطاعه، لأن المودّة إنّما تجب مع العصمه، إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودّتهم كما قال تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (٢). وغيرهم عليهم السلام ليس بمعصوم اتفاقاً. فعلى وولداه الأئمّه» (٣).

دحض الشبهات المثاره على دلاله الآيه على الإمامه:

أقول:

وهذا كلام السيد الشهيد التستري في الردّ على ابن روزبهان، الذي أشكل على العلامه الحلّي..

*قال ابن روزبهان: «و نحن نقول: إنّ مودّته واجبه على كلّ المسلمين، و المودّه تكون مع الطاعه، و لا كلّ مطاع يجب أن يكون صاحب الزعامه الكبرى».

فأجاب السيد رحمه الله: «و أما ما ذكره من أنّه لا يدلّ على خلافه عليّ عليه السلام فجهاله صرفه أو تجاهل محض! لظهور دلاله الآيه على أن مودّه عليّ عليه السلام واجبه بمقتضى الآيه، حيث جعل الله تعالى أجر الإرسال إلى ما يستحقّ به الثواب الدائم مودّه ذوى القربى، و إنّما يجب ذلك مع عصمتهم، إذ مع

ص: ٣٥٤

١-١) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ١:١٨٨.

٢-٢) سوره المجادله ٥٨:٢٢.

٣-٣) حقّ اليقين في معرفه أصول الدين ١:٢٧٠.

وقوع الخطأ عنهم يجب ترك موَدّتهم لقوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية. و غير عليّ ليس بمعصوم بالاتفاق، فتعيّن أن يكون هو الإمام.

وقد روى ابن حجر في الباب الحادي عشر من صواعقه عن إمامه الشافعي شعراً في وجوب ذلك برغم أنف الناصب، وهو قوله:
يا أهل بيت رسول الله حبّكم

على أن إقامه الشيعة للدليل على إمامه عليّ عليه السلام على أهل السنّة غير واجب بل تبرّعى، لاتّفاق أهل السنّة معهم على إمامته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غايه الأمر أنّهم ينفون الواسطه و أهل السنّة يثبتونها، والدليل على المثبت دون النافي كما تقرّر في موضعه، إلّا أن يرتكبوا خرق الإجماع بإنكار إمامته مطلقاً، فحينئذٍ يجب على الشيعة إقامه الدليل، والله الهادي إلى سواء السبيل» (١).

وقال الشيخ المظفر في جواب ابن روزبهان بعد كلام له: «فيتعيّن أن يكون المراد بالآيه: الأربعة الأطهار، وهي تدلّ على أفضليتهم وعصمتهم وأنهم صفوه الله سبحانه، إذ لو لم يكونوا كذلك لم تجب موَدّتهم دون غيرهم، ولم تكن موَدّتهم بتلك المنزله التي ما مثلها منزله، لكونها أجراً للتبليغ والرسالة الذي لا أجر ولا حقّ يشبهه.

و لذا لم يجعل الله المودّه لأقارب نوح و هود أجراً لتبليغهما، بل قال لنوح:

ص: ٣٥٥

(١-١) إحقاق الحقّ في الردّ على ابن روزبهان-٣:٢٣.

«لَا أُسَيِّئُ لَكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» (١) وقال لهود: «لَا أُسَيِّئُ لَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (٢).

فتنحصر الإمامه بقربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا تصح إمامه المفضول مع وجود الفاضل، لا سيما بهذا الفضل الباهر مضافاً إلى ما ذكره المصنّف -رحمه الله- من أنّ وجوب الموّده مطلقاً يستلزم وجوب الطاعة مطلقاً، ضروره أنّ العصيان ينافى الوّد المطلق، و وجوب الطاعة مطلقاً يستلزم العصمه التي هي شرط الإمامه، و لا معصوم غيرهم بالإجماع، فتنحصر الإمامه بهم و لا سيما مع وجوب طاعتهم على جميع الأمم.

و قد فهم دلالة الآيه على الإمامه الصحابه، و لذا اتّهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم فقالوا: ما يريد إلّا أن يحثنا على قرابته بعده، كما سمعته في بعض الروايات السابقه (٣) و كلّ ذى فهم يعرفها من الآيه الشريفه، إلّا أنّ القوم أبوا أن يقرّوا بالحقّ و يؤدّوا أجر الرساله، فإذا صدرت من أحدهم كلمه طيبه لم تدعه العصبية حتّى يناقضها...» (٤)!

*و بالتأميل في الوجوه التي ذكرناها و ما نصّ عليه علماؤنا، يظهر الجواب عن كلام السعد التفتازانى حيث ذكر في مباحث الأفضليه قائلاً:

«القائلون بأفضليته على رضى الله عنه تمسكوا بالكتاب و السنّه و المعقول.

أمّا الكتاب فقولته تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ

ص: ٣٥٦

١-١) سورة هود ٢٩: ١١.

٢-٢) سورة هود ٢٩: ١١.

٣-٣) المعجم الكبير ٣٣/١٢٣٨٤: ١٢، و غيره.

٤-٤) دلائل الصدق لنهج الحقّ ١٢٥: ٢-١٢٦.

وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» (١) الآية... و قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٢) قال سعيد بن جبیر: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟ قال: علي و فاطمه و ولداهما. و لا يخفى أن من وجبت محبته بحكم نص الكتاب كان أفضل. و كذا من ثبت نصرته للرسول بالعطف في كلام الله تعالى عنه على اسم الله و جبريل، مع التعبير عنه ب«صالح المؤمنين» و ذلك قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» (٣). فعن العباس -رضي الله عنه- أن المراد به علي...».

قال: «و الجواب: إنه لا -كلام في عموم مناقبه و وفور فضائله و اتصافه بالكمالات و اختصاصه بالكرامات؛ إلا أنه لا يدل على الأفضليته- بمعنى زياده الثواب و الكرامة عند الله -بعد ما ثبت من الاتفاق الجارى مجرى الإجماع على أفضليته أبى بكر ثم عمر، و الاعتراف من علي بذلك !

علي أن في ما ذكر مواضع بحث لا -تخفى على المحصّل، مثل: إن المراد بأنفسنا نفس النبي صلى الله عليه [و آله] و سلّم كما يقال: دعوت نفسي إلى كذا.

و أن وجوب المحبته و ثبوت نصرته على تقدير تحقّقه في حقّ علي -رضي الله عنه- فلا اختصاص به» (٤).

أقول:

قد عرفت أن الآية المباركة تدلّ على وجوب محبته علي عليه السلام،

ص: ٣٥٧

١-١) سورة آل عمران ٦١:٣.

٢-٢) سورة الشورى ٢٣:٤٢.

٣-٣) سورة التحريم ٤:٦٦.

٤-٤) شرح المقاصد ٢٩٥:٥-٢٩٩.

و وجوب المحبّه المطلقه يدلّ على أنّه الأحبّ عند الله و رسوله، و الأحبّيه دالّه على الأفضليّه.

و أيضاً: وجوب المحبّه المطلقه يستلزم العصمه و هى شرط الإمامه.

و أمّا دعوى أفضليّه أبى بكر و عمر فأوّل الكلام... كدعوى عدم الاختصاص بعلىّ عليه السلام، لقيام الإجماع على عدم عصمه أبى بكر و عمر...

*و قد اضطرب ابن تيميّه فى هذا المقام، فقال: «إنا نسلم أنّ عليّاً تجب مودّته و موالاته بدون الاستدلال بهذه الآيه، لكن ليس فى وجوب موالاته و مودّته ما يوجب اختصاصه بالإمامه و لا الفضيله. و أمّا قوله: و الثلاثه لا تجب مودّتهم؛ فممنوع، بل يجب أيضاً مودّتهم و موالاتهم، فإنّه قد ثبت أن الله يحبهم، و من كان الله يحبّه وجب علينا أن نحبه، فإنّ الحبّ فى الله و البغض فى الله واجب، و هو أوثق عرى الإيمان، و كذلك هم من أكابر أولياء الله المتّقين، و قد أوجب الله موالاتهم، بل قد ثبت أن الله رضى عنهم و رضوا عنه بنصّ القرآن، و كلّ من رضى الله عنه فإنّه يحبّه، و الله يحبّ المتّقين و المحسنين و المقسطين و الصابرين...» (١).

فإنّ الرجل قد خصم نفسه باعترافه بوجوب محبّه المتّقين و المحسنين و المقسطين و الصابرين... بل مطلق المؤمنين... فإنّ أحداً لا ينكر شيئاً من ذلك، و من يقول بأنّ المؤمن - إذا كان مؤمناً حقّاً - لا يجب أن نحبه لا سيّما إذا كان مع ذلك من أهل التقوى و الإحسان و الصبر!؟

□
لكنّ الكلام فى المحبّه المطلقه، و فى الأحبّيه عند الله و رسوله، المستلزمه للأفضليه و للعصمه و وجوب الطاعه... هذه الأمور التى لم يقل أحد بوجودها فى

ص: ٣٥٨

غير عليّ عليه السلام، لا سيّما العصمه، إذ قام الإجماع على عدمها في غيره.

ثمّ إن ابن تيميّه شرع يستدلّ ببعض الأخبار التي يروونها عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم في أنّ أحبّ الناس إليه عائشه !! قيل: فمن الرجال؟ قال:

□
أبوها! و أنّ عمر قال لأبي بكر في السقيفه: أنت سيدنا و خيرنا و أحبنا إلى رسول الله !!

و كلّ عاقل يفهم ما في الاستدلال بمثل هذه الأخبار !!

*و لقد أحسن الآلوسى حيث لم يستدلّ بشي من أخبارهم في هذا البحث، فإنّه قد انتحل كلام عبد العزيز الدهلوى و اعتمده في الجواب عن استدلال الإماميه، إلّا أنّه بتر كلامه و لم يأت به إلى الآخر! و هو ما سنشير إليه:

□ □
قال الآلوسى: «و من الشيعة من أورد الآيه في مقام الاستدلال على إمامه عليّ كرم الله تعالى وجهه، قال: عليّ كرم الله تعالى وجهه واجب المحبه، و كلّ واجب المحبه واجب الطاعة، و كلّ واجب الطاعة صاحب الإمامه. ينتج: عليّ رضى الله تعالى عنه صاحب الإمامه. و جعلوا الآيه دليل الصغرى.

و لا يخفى ما في كلامهم هذا من البحث:

أمّا أولاً: فلائِنَّ الاستدلال بالآيه على الصغرى لا يتمّ إلّا على القول بأنّ معناها: لا أسألکم عليه أجراً إلّا أن تودّوا قرابتي و تحبّوا أهل بيتي. و قد ذهب الجمهور إلى المعنى الأول. و قيل في هذا المعنى: إنّه لا يناسب شأن النبوه لما فيه من التهمه، فإنّ أكثر طلبه الدنيا يفعلون شيئاً و يسألون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم و قراباتهم. و أيضاً فيه منافاه ما لقوله تعالى: «و ما تَسئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ».

و أمّا ثانياً: فلائنا لا نسلّم أنّ كلّ واجب المحبه واجب الطاعة، فقد ذكر ابن بابويه في كتاب الاعتقادات: إنّ الإماميه أجمعوا على وجوب محبه العلويّه، مع

أنه لا يجب طاعه كل منهم.

و أمّا ثالثاً: فلأنّ لا نسلم أنّ كلّ واجب الطاعه صاحب الإمامه، أى الزعامه الكبرى، وإلا لكان كلّ نبىّ فى زمنه صاحب ذلك، و نصّ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» يابى ذلك.

و أمّا رابعاً: فلأنّ الآيه تقتضى أن تكون الصغرى: أهل البيت واجبوا الطاعه، و متى كانت هذه صغرى قياسهم لا ينتج النتيجة التى ذكروها، و لو سلّمتم جميع مقدماته، بل ينتج أهل البيت صاحبوا الإمامه، و هم لا يقولون بعمومه.

إلى غير ذلك من الأبحاث. فتأمل و لا تغفل» (١).

أقول:

هذا كلّه كلام الدهلوى بعينه ! و قد جاء بعده فى «التحفة الاثنا عشرية» الاستدلال بأحاديث.

□
*قال الدهلوى: «روى أبو طاهر السلفى فى مشيخته عن أنس، قال قال رسول الله: حبّ أبى بكر و شكره واجب على كلّ أمّتى.

و روى ابن عساكر عنه نحوه. و من طريق آخر عن سهل بن سعد الساعدى.

□
و أخرج الحافظ عمر بن محمّد بن خضر الملمّا فى سيرته عن النبىّ: أنّه قال: إنّ الله تعالى فرض عليكم حبّ أبى بكر و عمر و عثمان و علىّ كما فرض عليكم الصلاه و الصوم و الحجّ.

□
و روى ابن عدى، عن أنس، عن النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، أنّه

ص: ٣٦٠

قال: حبّ أبي بكر و عمر إيمان و بغضهما نفاق.

و روى ابن عساكر، عن جابر: أنّ النبيّ قال: حبّ أبي بكر و عمر من الإيمان، و بغضهما كفر.

و روى الترمذى أنّه أتى بجنّاه إلى رسول الله فلم يصلّ عليه و قال: إنّّه كان يبغض عثمان فأبغضه الله. □ □

ثمّ إنّّه التفت إلى عدم جواز إلزام الإماميّة بما اختصّ أهل السّنة بروايته، فأجاب قائلاً: «إنّّه و إن كانت هذه الأخبار في كتب أهل السّنة فقط، لكنّ لَمّا كان الشيعة يقصدون إلزام أهل السّنة بروايتهم فإنّه لا بدّ من لحاظ جميع روايات أهل السّنة، و لا يصحّ إلزامهم بروايه منها.

و إن ضيقوا على أهل السّنة، أمكن إثبات وجوب محبّه الخلفاء الثلاثة من كتاب الله و اقوال العتره، فقوله تعالى: «يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ» نزل-بالإجماع- في حقّ المقاتلين للمرتدّين، و قد كان الثلاثة أئمّه هؤلاء المقاتلين، و من أحبّه الله و جبت محبّته. و على هذا القياس!»

هذا آخر كلام الدهلوى (١).

أقول:

إنّ من الواضح عدم جواز إلزام الخصم إلّا بما يرويه خاصّه أو ما اتّفق الطرفان على روايته، هذا إذا كان الخبر المستدلّ به معتبراً عند المستدلّ، فإن لم يكن الخبر معتبراً حتّى عند المستدلّ به فكيف يجوز له إلزام الطرف الآخر به؟!

ص: ٣٤١

ليت الدهلوى استدللّ-كابن تيمّيه-بكتابى البخارى و مسلم المعروفين بالصحيحين،فإنّ الأحاديث التى استدللّ بها كلّها باطله سنداً،و هذا هو السرّ فى إعراض الألوسى عنها و إسقاطه لها.

إنّ أحسن هذه الأحاديث ما أخرجه الترمذى فى كتابه-و هو يعدّ أحد الصحاح السنّه-من امتناع النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الصلاه على الجنازه؛قال الترمذى:

«حدّثنا الفضل بن أبى طالب البغداديّ و غير واحد،قالوا:حدّثنا عثمان ابن زفر،حدّثنا محمّد بن زياد،عن محمّد بن عجلان،عن أبى الزبير،عن جابر،قال:أتى رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم بجنازه رجل ليصلّى عليه فلم يصلّ عليه،فقيل:يا رسول الله! ما رأيناك تركت الصلاه على أحد قبل هذا؟! قال:إنّه كان يبغض عثمان فأبغضه الله!»!

لكنّ هذا الحديث ساقط سنداً حتّى عند راويه الترمذى! قال:

«هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه،و محمّد بن زياد هذا هو صاحب ميمون بن مهران ضعيف فى الحديث جدّاً» (1).

ثمّ إنّ الجوزى أوردته فى (الموضوعات) بطريقتين،و قال:«الطريقان على محمّد بن زياد.قال أحمد بن حنبل:هو كذاب خبيث يضع الحديث.و قال يحيى:

كذاب خبيث.و قال السعدى و الدارقطنى:كذاب.و قال البخارى و النسائى و الفلاس و أبو حاتم:متروك الحديث.و قال ابن حبان:كان يضع الحديث على

ص: ٣٦٢

الثقات، لا يحل ذكره في الكتب إلّا على وجه القدح فيه» (١).

فيظهر أنّ الترمذى حيث قال: «ضعيف جداً» لم يقل الحقّ كما هو حقّه !!

و ظهر أنّ الحقّ مع الآلوسى حيث ترك الاستدلال به و هو أحسن ما ذكر الدهلوى، فالعجب من الدهلوى كيف يستدلّ بحديث هذه حاله، و يريد إلزام الشيعة به، و فى مسأله أصوليه؟!

و لو وجدت مجالاً لبيّنت حال بقيه هذه الأحاديث، لكن لا حاجه إلى ذلك بعد معرفه حال أحسنها سنداً !!

فلنعد إلى الوجوه التى وافق فيها الآلوسى الدهلوى و أخذها منه، فنقول:

أمّا الأول: فجوابه: إنّ الصغرى تامّه كما تقدّم بالتفصيل، و قلنا بأنّ طلب الأجر إنّما هو بناءً على اتّصال الاستثناء، و قد عرفت حقيقه هذا الأجر و عوده إلى المسلمين أنفسهم، فلا شبهه و لا تهمه. و أمّا بناءً على انقطاع الاستثناء فلا إشكال أصلاً.

و أمّا الثانى: فإنّ الإماميه أجمعت على وجوب محبّه العلويّه، بل كلّ مؤمنٍ من المؤمنين، و لكنّ الآيه المباركه دالّه على وجوب المحبّه المطلقه لعلّى و الزهراء و الحسنين، فلا -نقض، و لذا لم يقل أحد منهم بوجوب محبّه غير الأربعة و المعصومين محبّه مطلقه... و الكلام فى المحبّه المطلقه لا مطلق المحبّه، فما ذكره جاهل أو تجاهل !

و أمّا الثالث فيظهر جوابه ممّا ذكرناه، فإنّا نريد المحبّه المطلقه المستلزمه للعصمه، فأينما كانت؛ كانت الإمامه الكبرى، و أينما لم تكن؛ لم تكن !

ص: ٣٦٣

و أما الرابع فيظهر جوابه ممّا ذكرنا أيضاً.

خلاصه البحث

□
فالحقّ مع السيّد رحمه الله، إذ قال:

«هل حكم بافتراض الموّده لغيرهم محكم التنزيل؟!».

بقي أن نذكر الوجه في تفسيره «الحسنه» في قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً» ب «الموّده»... فنقول:

هذا التفسير ورد عن الأئمّه الأطهار من أهل البيت، كالحسن السبط الزكيّ عليه السلام في خطبته التي رواها الحاكم وغيره، وورد أيضاً في غير واحدٍ من تفاسير أهل السنيّه، عن ابن عبّاس و السديّ وغيرهما، قال القرطبي: «قوله تعالى □ «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً» أي: يكتسب، و أصل القرف الكسب، يقال... قال ابن عبّاس: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً»: الموّده لآل محمّد صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، «نَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا» أي: نضاعف له الحسنه بعشر فصاعداً، «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» قال قتاده: غفور للذنوب شكور للحسنات. و قال السديّ: غفور للذنوب آل محمّد عليه السلام شكور لحسناتهم» (1).

□ □
و قال أبو حيان: «و عن ابن عبّاس و السديّ: أنّها الموّده في آل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم... و قال السديّ: غفور للذنوب آل محمّد عليه السلام

ص: ٣٦٤

شكور لحسناتهم» (١).

وقال الألوسى: «روى ذلك عن ابن عباس و السدى» (٢).

و هذا القدر كاف، و هو للقلب السليم شاف، و للمطلب واف.

□
و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين الأشراف.

ص: ٣٦٥

١-١) البحر المحيط ٩:٣٣٥.

٢-٢) روح المعاني ٢٥:٣٣.

قال السيد طاب ثراه:

«و هل هبط بآيه المباهله بسواهم جبرئيل؟!».

فقال في الهامش:

«كلا، وإنما هبط بآيه المباهله بهم خاصه، فقال عز من قائل: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» الآية» (١).

ف قيل:

«هذه الآيه مميّا يتمسك به الشيعة على أنه دليل على الإمامه، و على أن آل البيت هم بمرتبه النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم، فإن الآيه لم تفرق بينهم و بينه، بل ساوتهم به إذ جمعت أنفسهم مع نفسه، فقال تعالى: «وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ».

و هذا اللفظ لا يقتضى المساواه، فقد قال تعالى: «لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» (النور: ١٢)، و لا يدلّ هذا على أن المؤمنين

ص: ٣٦٧

و المؤمنات متساوون، و من ذلك أيضاً قوله تعالى: «ثُمَّ أَنْتُمْ لِلْهُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ» (البقره: ٨٥)، فهذا اللفظ يدل على المجانسه و المشابهه فى أمور:

فقوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» أى: و رجالنا و رجالكم، أى:

«الرجال الذين هم من جنسنا فى الدين و النسب، و المراد: التجانس مع الإيمان». انتهى.

أقول:

و هذا أيضاً خلاصه ما جاء به ابن تيميه، فى الجواب عن الاستدلال بالآيه الكريمه، و ليس لهذا القائل منه شىء و لا كلمه !!

و نحن ذاكرون سبب نزول الآيه المباركه، و وجه الاستدلال بها، و الجواب عما قيل فى ذلك، فهاهنا فصول، و بالله التوفيق.

ص: ٣٦٨

إشاره

قال الله عزّ وجلّ: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِرِينَ* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصِيُّصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» (١).

هذه هي الآيه المعروفة بآيه المباهله، و سنورد قصتها في أول الفصل الآتي.

وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المباهله بعليّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم الصلاة و السلام.

ذكر من رواه من الصحابه و التابعين:

و روى هذا الخبر عن جماعه من أعلام الصحابه و التابعين، نذكر هنا من جاءت الروايه عنه في كتب غير الإماميه، منهم:

ص: ٣٦٩

١- أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

□

٢- عبد الله بن عباس.

□

٣- جابر بن عبد الله الأنصاري.

٤- سعد بن أبي وقاص.

٥- عثمان بن عفان.

٦- سعيد بن زيد.

□

٧- طلحة بن عبيد الله.

٨- الزبير بن العوام.

٩- عبد الرحمن بن عوف.

١٠- البراء بن عازب.

١١- حذيفة بن اليمان.

١٢- أبو سعيد الخدري.

١٣- أبو الطفيل الليثي.

١٤- جدّ سلمه بن عبد يشوع.

□

□

١٥- أم سلمه زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

١٦- زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

١٧- علباء بن أحمر اليشكري.

١٨- الشعبي.

١٩- الحسن البصري.

٢٠- مقاتل.

٢١-الكلبي.

ص: ٣٧٠

٢٢-السدى.

٢٣-قتاده.

٢٤-مجاهد.

أما أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ناشد القوم فى الشورى بنزول الآيه فيه... و سيأتى الخبر قريباً.

و أمّا عثمان، و طلحه، و الزبير، و سعيد بن زيد، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن ابى وقاص، فقد أقرّوا لعلّى عليه السلام فى ذلك.

كما روى سعد الخبر، و كان ممّا به اعتذر عن سبّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما فى صحيح الأثر... و سيأتى نصّه.

و أمّا أبو الطفيل فهو راوى خبر المناشده.

و أمّا الآخرون... فستأتى نصوص الأخبار فى روايتهم.

و من رواته من كبار الأئمّه فى الحديث و التفسير:

و قد اتفقت كتب الحديث و التفسير و الكلام على روايه حديث المباهله، إمّا بالأسانيد، و إمّا بإرساله إرسال المسلمات، من أشهرهم:

١- سعيد بن منصور، المتوفّى سنة ٢٢٧.

٢- أبو بكر عبد الله بن أبى شيبه، المتوفّى سنة ٢٣٥.

٣- أحمد بن حنبل، المتوفّى سنة ٢٤١.

٤- عبد بن حميد، المتوفّى سنة ٢٤٩.

٥- مسلم بن الحجاج، المتوفّى سنة ٢٦١.

٦- أبو زيد عمر بن شبنه البصرى، المتوفّى سنة ٢٦٢.

ص: ٣٧١

- ٧-محمّد بن عيسى الترمذى، المتوفّى سنة ٢٧٩.
- ٨-أحمد بن شعيب النسائى، المتوفّى سنة ٣٠٣.
- ٩-محمّد بن جرير الطبرى، المتوفّى سنة ٣١٠.
- ١٠-أبو بكر بن المنذر النيسابورى، المتوفّى سنة ٣١٨.
- ١١-أبو بكر الجصاص، المتوفّى سنة ٣٧٠.
- ١٢-أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، المتوفّى سنة ٤٠٥.
- ١٣-أبو بكر بن مردويه الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤١٠.
- ١٤-أبو إسحاق الثعلبى، المتوفّى سنة ٤٢٧.
- ١٥-أبو نعيم الأصفهانى، المتوفّى سنة ٤٣٠.
- ١٦-أبو بكر البيهقى، المتوفّى سنة ٤٥٨.
- ١٧-علّى بن أحمد الواحدى، المتوفّى سنة ٤٦٨.
- ١٨-محيى السنّه البغوى، المتوفّى سنة ٥١٦.
- ١٩-جار الله الزمخشرى، المتوفّى سنة ٥٣٨.
- ٢٠-القاضى عياض اليحصبى، المتوفّى سنة ٥٤٤.
- ٢١-أبو القاسم بن عساكر الدمشقى، المتوفّى سنة ٥٧١.
- ٢٢-أبو الفرج بن الجوزى الحنبلى، المتوفّى سنة ٥٧٩.
- ٢٣-أبو السعادات بن الأثير الجزرى، المتوفّى سنة ٦٠٦.
- ٢٤-الفخر الرازى، المتوفّى سنة ٦٠٦.
- ٢٥-عزّ الدين أبو الحسن بن الأثير الجزرى، المتوفّى سنة ٦٣٠.
- ٢٦-محمّد بن طلحه الشافعى، المتوفّى سنة ٦٥٢.

٢٧- شمس الدين سبط بن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

ص: ٣٧٢

٢٨- أبو عبد الله القرطبي الأنصاري، المتوفى سنة ٦٥٦.

٢٩- القاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٥٨.

٣٠- محب الدين الطبري، المتوفى سنة ٦٩٤.

٣١- نظام الدين الأعرج النيسابوري، المتوفى سنة ٧٢٨.

٣٢- أبو البركات النسفي، المتوفى سنة ٧١٠.

٣٣- صدر الدين أبو المجمع إبراهيم الحموي، المتوفى سنة ٧٢٢.

٣٤- أبو القاسم بن الجزري الكلبى، المتوفى سنة ٧٤١.

٣٥- علاء الدين الخازن، المتوفى سنة ٧٤١.

٣٦- أبو حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥.

٣٧- شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.

٣٨- ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.

٣٩- ولى الدين الخطيب التبريزي، المتوفى سنة ٧٧٤.

٤٠- ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.

٤١- نور الدين بن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

٤٢- جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

٤٣- أبو السعود العمادى، المتوفى سنة ٩٥١.

٤٤- الخطيب الشربيني، المتوفى سنة ٩٦٨.

٤٥- ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.

٤٦- علي بن سلطان القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.

٤٧- نور الدين الحلبي، المتوفى سنة ١٠٣٣.

٤٨- شهاب الدين الخفاجي، المتوفى سنة ١٠٦٩.

ص: ٣٧٣

٤٩-الزرقانى المالكى، المتوفى سنة ١١٢٢.

٥٠-عبد الله الشبراوى، المتوفى سنة ١١٦٢.

٥١-قاضى القضاء الشوكانى، المتوفى سنة ١٢٥٠.

٥٢-شهاب الدين الآلوسى، المتوفى سنة ١٢٧٠.

وغيرهم من أعلام الحديث و التفسير و الكلام و التاريخ فى مختلف القرون.

من نصوص الحديث فى الكتب المعتره:

و هذه الفاظ من الأخبار الوارده فى نزول الآيه المباركه فى علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام كما رواها الحفاظ بأسانيدهم، فى الكتب المعتره:

*أخرج ابن عساكر بسنده، و ابن حجر من طريق الدارقطنى، عن أبى الطفيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ناشد أصحاب الشورى و احتجّ عليهم بجملة من فضائله و مناقبه، و من ذلك أن قال لهم:

«نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فى الرحم، و من جعله رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم نفسه، و ابناه، أبناءه، و نساء نساءه غيرى؟!»

قالوا: اللهم لا! (١).

أقول:

و مناشده أمير المؤمنين فى الشورى رواها عدد كبير من علماء الفريقين،

ص: ٣٧٤

١- (١) تاريخ مدينة دمشق ٤٣٢:٤٢، و الصواعق المحرقة: ٢٣٩.

بأسانيدهم عن: أبي ذرّ و أبي الطفيل، و ممّن أخرجها من حفاظ الجمهور:

الدارقطنى، و ابن مردويه، و ابن عبد البرّ، و الحاكم، و السيوطى، و ابن حجر المكيّ، و المتقى الهندى.

و سيأتى تفصيل ذلك حيث يتعرض لها السيّد رحمه الله إن شاء الله تعالى.

*و فى «المسند»: «حدّثنا عبد الله، قال أبى: ثنا قتيبه بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول له، و خلفه فى بعض مغازيه، فقال علىّ رضى الله عنه: أ تخلفنى مع النساء و الصبيان؟!!

قال: يا علىّ! أمّا ترى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعده؟!!

و سمعته يقول-يوم خيبر-: لأعطينّ الرايه رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله.

فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لى عليّاً رضى الله عنه فأتى به أرمد، فبصق فى عينه و دفع الرايه إليه، ففتح الله عليه.

و لما نزلت هذه الآيه «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» دعا رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّاً و فاطمه و حسناً و حسيناً رضوان الله عليهم أجمعين، فقال:

اللهم هؤلاء أهلى» (١).

*و أخرج مسلم قائلاً: «حدّثنا قتيبه بن سعيد و محمّد بن عبّاد-و تقارباً فى اللفظ-قالا: حدّثنا حاتم-و هو ابن اسماعيل-عن بكير بن مسمار، عن

ص: ٣٧٥

عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟!

فقال: أمّياً ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فلن أسبّه، لأن تكون لى واحده منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول له و خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله! خلقتنى مع النساء و الصبيان!

فقال له رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم: أمّا ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنّه لا نبوّه بعدى.

و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الرايه رجلاً يحبّ الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله.

قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لى علياً، فأتى به أرمداً، فبصق فى عينه، و دفع الرايه إليه، ففتح الله عليه.

و لمّا نزلت هذه الآيه: «فَقُلْ لِلّٰهِ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» دعا رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم علياً و فاطمه و حسناً و حسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلى» (١).

*و أخرجه الترمذى بالسند و اللفظ، فقال:

*هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» (٢).

*و أخرج النسائى: «أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخى و هشام بن عمّار

ص: ٣٧٤

١-١) صحيح مسلم ٢١٣/٢٤٠٤:٤.

٢-٢) الجامع الصحيح ٣٧٢٤/٨٦:٦ كتاب المناقب، مناقب على.

الدمشقي، قالاً: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ بَكِيرِ بْنِ مَسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: أَمَرَ مَعَاوِيَةَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسَبَّ أَبَا تَرَابٍ؟! فَقَالَ: أَمَا مَا ذَكَرْتَ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ فَلَنْ أُسَبَّهُ، لِأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حَمْرِ النَّعَمِ:

سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ يقول له، و خلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله! أ تخلفني مع النساء و الصبيان؟! □ □

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون بموسى إلا أنه لا نبوه بعدى. □ □

و سمعته يقول في يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله. □ □

فتناولنا إليها فقال: ادعوا لي علياً، فأتى به أرمداً، فبصق في عينيه و دفع الراية إليه.

و لما نزلت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً» دعا رسول الله صَلَّى الله عليه [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً فقال: □ □

اللهم هؤلاء أهل بيتي» (١).

* و أخرج الحاكم فقال: «أخبرني جعفر بن محمد بن نصير الخلدی، ثنا موسى بن هارون، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و آلِهِ

ص: ٣٧٧

و سلم علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً رضى الله عنهم فقال: اللهم هؤلاء أهلى.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه» (١).

*و وافقه الذهبى فى (تلخيصه).

*و ستأتى روايه الحاكم عن جابر.

*و أخرجه عن ابن عباس، قال: «ذكر النوع السابع عشر من علوم الحديث: هذا النوع من هذا العلم معرفه أولاد الصحابه، فإن من جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات.

أول ما يلزم الحديثى معرفته من ذلك: أولاد سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه [و آله] و سلم و من صحّت الروايه عنه منهم:

حدّثنا عليّ بن عبد الرحمن بن عيسى الدهقان بالكوفه، قال: حدّثنا الحسين بن الحكم الحبرى، قال: ثنا الحسن بن الحسين العرنى، قال: ثنا حبان ابن عليّ العنزى، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس فى قوله عزّ و جلّ:

«فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - الْكَافِرِينَ» نزلت على رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، و على نفسه، «وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» :

فاطمه، «أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» فى حسن و حسين، و الدعاء على الكاذبين نزلت فى العاقب و السيد و عبد المسيح و أصحابهم» (٢).

*و قال ابن حجر العسقلانى بشرح حديث المنزله: «و وقع فى روايه عامر بن سعد بن أبى وقاص عند مسلم و الترمذى، قال: قال معاويه لسعد: ما

ص: ٣٧٨

١- (١) المستدرک على الصحيحين ١٥٠: ٣.

٢- (٢) معرفه علوم الحديث: ٤٩-٥٠.

منعك أن تسبّ أبا تراب؟!

قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم فلن أسبّه...

فذكر هذا الحديث، و قوله لأعطينّ الرايه رجلاً يحبّه الله و رسوله... و قوله:

لما نزلت «فَقُلْ لِلّٰهِ عِبَادَةٌ ۖ اَبْنَاءٌ نَّحْنُ وَ اَبْنَاءُكُمْ» دعا عليّاً و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: اللّهم هؤلاء أهلى» (١).

تنبيه:

الملاحظ أنّهم يروون كلام سعد فى جواب معاويه بأشكالٍ مختلفه مع أنّ السند واحد، و القصيّه واحده!!

بل يرويه المحدث الواحد فى الكتاب الواحد بأشكال، فاللفظ الذى ذكرناه عن النسائي هو أحد ألفاظه.

و بينما رواه بلفظٍ آخر عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاويه لسعد بن أبى وقاص: ما منعك أن تسبّ ابن أبى طالب؟!

قال: لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله عليه [و آله] و سلّم لأنّ يكون لى واحده منهنّ أحبّ إلى من حمر النعم، لا أسبّه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه، فأخذ عليّاً و ابنه و فاطمه، فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: ربّ هؤلاء أهل بيتى -أو: أهلى-...» (٢).

ص: ٣٧٩

١- (١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٧:٦٠.

٢- (٢) خصائص أمير المؤمنين: ٥٤/٩٠.

و رواه بلفظ ثالث: إن معاوية ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال سعد بن أبي وقاص: و الله لأن تكون لي إحدى خلالته الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

لأن يكون قال لي ما قاله له حين رده من تبوك: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؛ أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

و لأن يكون قال لي ما قال في يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفزار؛ أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

و لأن أكون كنت صهره عى ابنته لي منها من الولد ما له أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس» (١).

و رواه بلفظ رابع عن سعد، قال: «كنت جالساً فتنقصوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلت: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم يقول في علي ثلاث خصال، لأن تكون لي واحده منهن أحب إلي من حمر النعم.

سمعته يقول: إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

و سمعته يقول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله.

و سمعته يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه» (٢).

ص: ٣٨٠

١-١) خصائص أمير المؤمنين: ١٢٦/١٧٩.

٢-٢) خصائص أمير المؤمنين: ١٢/٣٥.

و هو عند ابن ماجه باللفظ الآتى: «قدم معاويه فى بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً، فقال منه، فغضب سعد و قال: تقول هذا لرجلٍ سمعت رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يقول: من كنت مولاه فعلىّ مولاه.

و سمعته يقول: أنت منى بمنزله هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبىّ بعدى.

و سمعته يقول: لأعطين الرايه اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله» (١).

أقول:

إنّه إن أمكن حمل اختلاف ألفاظ الروايات فى الخصال الثلاث على وجه صحيح، و لا يكون هناك تحريف—و من هنا كان الأمر بالتأمّل فى بحثنا حول آيه التطهير—فلا ريب فى تحريف القوم للفظ فى ناحيه أخرى، و هى قضيه سبّ أمير المؤمنين عليه السلام و النيل منه، خاصّه مع السند الواحد! فإنّ أحمد و مسلماً و الترمذى و النسائى و ابن عساكر (٢) كلّهم اشتركوا فى الزوايه بسندٍ واحدٍ، فجاء عند غير أحمد: «أمر معاويه بن أبى سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أباً تراب؟! فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً... سمعت...».

لكنّ أحمد حذف ذلك كلّه و بدأ الحديث من «سمعت...» و كأنّه لم تكن هناك أيّه مناسبه لكلام سعدٍ هذا!!

أمّا الحاكم فيروى الخبر بنفس السند و يحذف المناسبه و خصلتين من الخصال الثلاث!!

ص: ٣٨١

١-١) سنن ابن ماجه ١٢١/٩٠: ١.

٢-٢) تاريخ مدينه دمشق ١١١: ٤٢-١١٢.

و النسائي يحذف المناسبه في لفظ، و يقول: «إن معاويه ذكر علي بن أبي طالب، فقال سعد...!!»

و في آخر يحذفها و يضع بدلها كلمه «كنت جالسا فتتقصوا علي بن أبي طالب...!!»

و ابن ماجه، قال: «قدم معاويه في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً، فقال منه، فغضب سعد و قال...».

فجاء ابن كثير و حذف منه «فقال منه، فغضب سعد» (١).

و في (الفضائل) لأحمد: «ذكر علي عند رجل و عنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذكر علياً؟!» (٢).

و أبو نعيم و بعضهم حذف القصه من أصلها، فقال: «عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله: في علي ثلاث خلال...» (٣).

هذا، و السبب في ذلك كله معلوم! إنهم يحاولون التغطية على مساوئ سادتهم و لو بالكذب و التزوير! و لقد أفصح عن ذلك بعضهم، كالنووي، حيث قال: «قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها، قالوا: و لا يقع في روايات الثقات إلّا ما يمكن تأويله، فقول معاويه هذا ليس فيه تصريح بأنّه أمر سعداً بسبّه، و إنّما سأله عن السبب المانع له من السبّ، كأنّه يقول: هل امتنعت تورّعاً أو خوفاً أو غير ذلك؟! فإن كان تورّعاً و إجلالاً له عن السبّ فأنّت مصيب محسن، و إن كان غير ذلك فله جواب آخر.

ص: ٣٨٢

١- (١) البدايه و النهايه ٧:٣٤٠.

٢- (٢) فضائل الصحابه- لأحمد بن حنبل- ١٠٩٣/٦٤٣:٢.

٣- (٣) حليه الأولياء ٤:٣٥٦.

و لعلَّ سعداً قد كان في طائفه يسبون فلم يسبّ معهم، و عجز عن الإنكار، و أنكر عليهم فسأله هذا السؤال.

قالوا: و يحتمل تأويلاً آخرًا، أنّ معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه و اجتهاده، و تظهر للناس حسن رأينا و اجتهادنا و أنّه أخطأ؟». انتهى (١).

و نقله المبار كفورى بشرح الحديث (٢).

أقول:

و هل ترتضى-أيها القارئ-هذا الكلام في مثل هذا المقام؟!

أولاً: إن كان هناك مجال لحمل كلام المتكلم على الصّحّ و تأويله على وجه مقبول، فهذا لا يختصّ بكلام الصحابي دون غيره.

و ثانياً: إذا كانت هذه قاعده يجب اتّباعها بالنسبه إلى أقوال الصحابه، فلما ذا لا يطبقونها بالنسبه لكلّ الصحابه؟!

و ثالثاً: إذا كانت هذه القاعده للأحاديث الوارده التي في ظاهرها دخل على صحابي! فلما ذا يطبقونها في الأحاديث الوارده في فضل أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يأخذوا بظواهرها، بل أعرضوا عن النصوص منها؟! و منها حديث المبالهه، حيث لا تأويل فحسب، بل التعتيم و التحريف، كما سنرى في الفصل الآتى.

و رابعاً: إنّ التأويل و الحمل على الصّحّ إنّما يكون حيث يمكن، و قولهم:

ص: ٣٨٣

١- (١) المنهاج-شرح صحيح مسلم بن الحجاج-١٧٥/١٥.

٢- (٢) تحفه الأحوذى-بشرح جامع الترمذى-٢٢٨: ١٠.

«ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله» كذب، فقد تقدّم في بعض النصوص التصريح بـ«الأمر» و«النيل» و«التنقيص» و هذا كله مع تهذيب العبارة، كما لا يخفى.

بل ذكر ابن تيمية: أن معاوية أمر بسبّ عليّ (١).

بل جاءت الرواية عن مسلم و الترمذى على واقعها، ففي روايه القندوزى الحنفى عنهما، قال: «و عن سهل بن سعد، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً أن يسبّ أبا التراب، قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً... أخرجته مسلم و الترمذى» (٢).

و خامساً: قولهم: «كأنه يقول... فإن كان تورّعاً... فأنت مصيب محسن» يكذّبه ما جاء التصريح به فى بعض ألفاظ الخبر من أنّ سعداً خرج من مجلس معاوية غضبان و حلف ألا يعود إليه !!

و على كلّ حال... فهذا نموذج من تلاعبهم بمساوى أسيادهم، لإخفائها، و سترى- فى الفصل اللاحق- نموذج تلاعبهم بفضائل عليّ عليه السلام، لإخفائها، و هذا دين القوم و ديدنهم، حشرهم الله مع الذين يدافعون عنهم و يودّونهم !!

* و روى ابن شبة، المتوفّى سنة ٢٦٢، قال: «حدّثنا الحزامى، قال:

حدّثنا ابن وهب، قال: أخبرنى الليث بن سعد، عن من حدّثه، قال: جاء راهبا نجران إلى النبىّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم يعرض عليهما الإسلام... قال:

ص: ٣٨٤

١- ١) منهاج السنّة ٤٢: ٥.

٢- ٢) ينابيع المودّة ٣٤٧/١١٩: ٢.

فدعاهما النبي إلى المباهلة و أخذ بيد علي و فاطمه و الحسن و الحسين رضی الله عنهم، فقال أحدهما للآخر: قد أنصفك الرجل.
فقالا: لا نباهلك.

و أقرأ بالجزية وكرها الإسلام» (١).

* و روى الحسين بن الحكم الحبري (٢)، المتوفى سنة ٢٨٦، قال:

«حدّثني إسماعيل بن أبان، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدری، قال: لمّا نزلت هذه الآية «تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم» قال: فخرج رسول الله صلى عليه [و آله] و سلم بعلي و فاطمه و الحسن و الحسين» (٣).

و أخرج الطبري: «حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن زيد بن علي، في قوله: «تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم» الآية، قال:

كان النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم و علي و فاطمه و الحسن و الحسين».

«حدّثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم» الآية، فأخذ-يعني النبي

ص: ٣٨٥

١- (١) تاريخ المدينة المنورة، المجلد ٥٨٣: ١.

٢- (٢) هو أيضاً في طريق الحاكم في «المستدرک».

٣- (٣) تفسير الحبري: ١٣/٢٤٨. قال محققه- وهو العلامة السيد محمد رضا الحسيني الجلالی-: «الحديث عن أبي سعيد الخدری قد تفرد بنقله المؤلف، فلم يروه غيره من المؤلفين، بل ينحصر وجوده بنسختينا و لم يوجد في سائر النسخ». قلت: و ما جاء في ذخائر العقبي، ص ٦١: «عن أبي سعيد...» فغلط، بقرينه قوله في الآخر: أخرجه مسلم و الترمذی، لأنّ الذي أخرجه هو عن سعد.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ - بيد الحسن و الحسين و فاطمه، و قال لعلِّي: اتبعنا، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى و قالوا: إنا نخاف...».

«حدَّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتاده، في قوله: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» قال: بلغنا أن نبي الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ خرج ليلاً عن أهل نجران، فلما رأوه خرج هابوا و فرقوا فرجعوا.

قال معمر: قال قتاده: لما أراد النبي صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ أهل نجران أخذ بيد حسن و حسين، و قال لفاطمه: اتبعينا، فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا.».

«حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، قال: قيل لرسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ: لو لاعتن القوم، بمن كنت تأتي حين قلت «أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ»؟ قال: حسن و حسين.».

«حدَّثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا المنذر بن ثعلبة، قال: ثنا علباء بن أحمر الشكري، قال: لما نزلت هذه الآية: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» الآية، أرسل رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ إلى علي و فاطمه و ابنيهما الحسن و الحسين...» (١).

*و قال السيوطي: «أخرج البيهقي في (الدلائل) من طريق سلمة بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جدّه: إن رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ كتب إلى أهل نجران.. فلما أصبح رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ الغد بعد ما

ص: ٣٨٦

أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن و الحسين في خميله له و فاطمه تمشى خلف ظهره، للملاعنه، و له يومئذٍ عدّه نسوه...».

«و أخرج الحاكم - و صحّحه - و ابن مردويه، و أبو نعيم في (الدلائل) عن جابر، قال: ...فغدا رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم و أخذ بيد عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين...»

قال جابر: فيهم نزلت: «تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» الآية.

قال جابر: «أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ»: رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم و عليّ. «أَبْنَاءَنَا»: الحسن و الحسين. «وَ نِسَاءَنَا»: فاطمه.».

«و أخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ...و قد كان رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم خرج و معه عليّ و الحسن و الحسين و فاطمه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم: إن أنا دعوت فأمنوا أنتم. فأبوا أن يلاعنوه و صالحوه على الجزية.».

«و أخرج ابن أبي شيبة، و سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و أبو نعيم، عن الشعبي... فغدا النبي صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم و معه الحسن و الحسين و فاطمه...»

«و أخرج مسلم، و الترمذي، و ابن المنذر، و الحاكم، و البيهقي في سننه، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» دعا رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّاً و فاطمه و حسناً و حسيناً، و قال: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلي» (١).

ص: ٣٨٧

*وقال الزمخشري: «و روى أنهم لما دعاهم إلى المباهله قالوا: حتى نرجع و ننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب- و كان ذا رأيهم-: يا عبد المسيح ! ما ترى؟

فقال: و الله لقد عرفتم- يا معشر النصارى- أن محمّداً نبى مرسل، و قد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، و الله ما باهل قوم نبياً قطّ فعاش كبيرهم و لا- نبت صغيرهم، و لئن فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتكم إلما إلف دينكم و الإقامه على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل و انصرفوا إلى بلادكم.

فأتى رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلمّ و قد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن و فاطمه تمشى خلفه و على خلفها، و هو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى ! إنى لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصراننى إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم ! رأينا أن لا نباهلك، و أن نفرّك على دينك و نثبت على ديننا.

قال: فإذا أبيت المباهله فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين و عليكم ما عليهم. فأبوا.

قال: فإنى أنا جزكم.

قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه، و لكن نصالحك على أن لا تغزونا و لا تخيفنا و لا تردنا عن ديننا، على أن تؤدى إليك كلّ عام ألفى حلّه، ألف فى صفر و ألف فى رجب، و ثلاثين درعاً عاديه من حديد.

فصالحهم على ذلك، وقال: والذى نفسى بيده، إنَّ الهلاك قد تدلَّى على أهل نجران، ولو لأعنوا لمسخوا قردهً و خنازير، و لاضطرم عليهم الوادى ناراً، و لاستأصل الله نجران و أهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، و لما حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا.

و عن عائشه رضى الله عنها: أنّ رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم خرج و عليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمه، ثم على، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ».

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهله إلا لنبيين الكاذب منه و من خصمه و ذلك أمر يختص به و بمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الأبناء و النساء؟

قلت: ذلك أكد فى الدلالة على ثقته بحاله و استيقانه بصدقه، حيث استجراً على تعريض أعزّته و أفلاذ كبده و أحبّ الناس إليه لذلك، و لم يقتصر على تعريض نفسه له؛ و على ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته و أعزّته هلاك الاستئصال إن تمّت المباهله.

و خصّ الأبناء و النساء لأنهم أعزّ الأهل و ألصقهم بالقلوب، و ربّما فداهم الرجل بنفسه و حارب دونهم حتّى يقتل، و من ثمه كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب، و يستمون الذاده عنها بأرواحهم حماه الحقائق.

و قدّمهم فى الذكر على الأنفس لئبّه على لطف مكانهم و قرب منزلتهم، و ليؤذن بأنهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها.

و فيه دليل لا شىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

و فيه برهان واضح على نبوه النبي صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سَلَّمَ، لأنه لم يرو أحد من موافق و لا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك»
(١).

* و روى ابن الأثير حديث سعد في الخصال الثلاثة، بإسناده عن الترمذى (٢).

و أرسله في تاريخه إرسال المسلم، قال: «و أما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب و السيد في نفر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سَلَّمَ، و أرادوا مباهلتة، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سَلَّمَ و معه علي و فاطمه و الحسن و الحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت علي الله أن يزيل الجبال لأزالها، و لم يباهلوه، و صالحوه على ألفى حله، ثم ن كل حله أربعون درهماً، و علي أن يضيفوا رسل رسول الله. و جعل لهم ذمة الله تعالى و عهده ألا يفتنوا عن دينهم و لا يعشروا، و شرط عليهم أن لا يأكلوا الربا و لا يتعاملوا به» (٣).

* و روى الحاكم الحسكاني بإسناده: «عن أبي إسحاق السبيعي، عن صله بن زفر، عن حذيفة بن اليمان، قال: جاء العاقب و السيد - أسقفا نجران - يدعوان النبي صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سَلَّمَ إلى الملاعنة، فقال العاقب للسيد: إن لآعن بأصحابه فليس بنبي، و إن لآعن بأهل بيته فهو نبي.

فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [و آله] و سَلَّمَ فدعا علياً فأقامه عن يمينه، دعا الحسن فأقامه عن يساره، ثم دعا الحسين فأقامه عن يمين علي، ثم دعا فاطمه فأقامها خلفه.

ص : ٣٩٠

١-١) الكشاف ٥٦٤:١-٥٦٦.

٢-٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦٠١:٣.

٣-٣) الكامل في التاريخ ٢٩٣:٢.

فقال العاقب للسيد: لا تلاعنه، إنك إن لاعنته لا نفلح نحن و لا أعقابنا فقال رسول الله: لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف»
(١).

أقول:

و هذا نفس السند عند البخارى عن حذيفه، لكنّه حذف من الخبر ما يتعلّق ب«أهل البيت» و وضع مكانه فضيلته ل«أبى عبيده» و سيأتى فى الفصل اللّاحق فانتظر !!

*و قال ابن كثير: «و قال أبو بكر ابن مردويه: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا أحمد بن داود المكي، حدّثنا بشر بن مهران، حدّثنا محمّد بن دينار، عن داود بن أبى هند، عن الشعبي، عن جابر، قال:... فغدا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم فأخذ بيد عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين... قال جابر:

و فيهم نزلت...

و هكذا رواه الحاكم فى مستدرکه... ثمّ قال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه هكذا.

قال: و قد رواه أبو داود الطيالسى، عن شعبه، عن المغيرة، عن الشعبي، مرسلًا. و هذا أصحّ.

و قد روى عن ابن عباس و البراء نحو ذلك» (٢).

و لكنّه فى (التاريخ) - ذكر أوّلاً حديث البخارى المبتور ! ثمّ روى القصه

ص: ٣٩١

١- ١) شواهد التنزيل ١٢٦/١٧٤: ١.

٢- ٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤: ٢-٥٥.

عن البيهقي، عن الحاكم بإسناده عن سلمه بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جدّه؛ و ليس فيه ذكر لعليّ عليه السلام، كما سيأتي.

*و قال القارى بشرح الحديث: «عن سعد بن أبى وقاص، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية - أى المسّماه بآيه المباهله - «نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» أولها «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» دعا رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم عليّاً؛ فنزله منزله نفسه لما بينهما من القرابه و الأخوه، و فاطمه، أى لأنها أخصّ النساء من أقاربه، و حسناً و حسيناً؛ فنزلهما منزله ابنه صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، أى أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. رواه مسلم» (١).

كلمات حول السند:

و لنورد نصوص عبارات لبعض أئمّه القوم فى قطعيه هذا الخبر:

قال الحاكم: «و قد تواترت الأخبار فى التفاسير، عن عبد الله بن عباس و غيره، أن رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سلّم أخذ يوم المباهله بيد عليّ و حسن و حسين، و جعلوا فاطمه و راءهم، ثمّ قال: هؤلاء أبناؤنا و أنفسنا و نساؤنا، فهلمّوا أنفسكم و أبناءكم و نساءكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين» (٢).

و قال الجصاص: «إنّ رواه السير و نقله الأثر لم يختلفوا فى أنّ النبيّ صَلَّى

ص: ٣٩٢

١-١) مرقاه المفاتيح ٥٨٩:٥.

٢-٢) معرفه علوم الحديث: ٥٠.

اللّٰه عليه [و آله] و سلّم أخذ بيد الحسن و الحسين و عليّ و فاطمه رضى اللّٰه عنهم، و ثمّ دعا النصارى اللّٰذين حاجوه إلى المباهله...» (١).

□
و قال ابن العربي المالكي: «روى المفسّرون أنّ النّبىّ صلّى اللّٰه عليه [و آله] و سلّم ناظر أهل نجران حتّى ظهر عليهم بالدليل و الحجّج، فأبوا الانقياد و الإسلام، فأنزل اللّٰه هذه الآيه، فدعا حينئذٍ عليّاً و فاطمه و الحسن و الحسين، ثمّ دعا النصارى إلى المباهله» (٢).

و قال ابن طلحه الشافعي: «أمّا آيه المباهله، فقد نقل الرواه الثقات و نقله الأثبات نزولها في حقّ عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين» (٣).

□
و اعترف القاضي الأيجي و الشريف الجرجاني بدلاله الأخبار الصحيحه و الروايات الثابته عند أهل النقل على أنّه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم دعا عليّاً و فاطمه و ابنيهما فقط، و ستأتى عبارتهما كامله في فصل الدلاله.

ص: ٣٩٣

١-١) أحكام القرآن ٢:٢٩٥.

٢-٢) أحكام القرآن ١:١١٥. ط السعاده بمصر، و في الطبعة الموجوده عندي ١:٢٧٥ لا يوجد اسم عليّ، فليتحقّق.

٣-٣) مطالب السؤل: ٤٨.

اشاره

إنه لَمَّا كان الغرض الأهم للعلماء، من متكلمين و مفسرين و محدثين، هو بيان سبب نزول الآيه المباركه و ذكر الحديث الوارد فيها، و ما في ذلك من دلالات... فإنهم لم يتعرضوا لشرح الواقعه و روايه جزئياتها، و من تعرض منهم لها- كالزمخشري مثلاً- فقد اكتفى بنقل القدر المحتاج إليه في نظره !!

إلا أنا رأينا من المناسب إيراد القصه بشئ من التفصيل، لما فيها من الفوائد المهمه، ثم نعقب ذلك بما وقع عليه الصلح، و ببعض المسنونات المرويّه عن أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلوات و التسليمات، في يوم المباهله.

و لعلّ ما يرويه السيد الجليل، الجامع بين العلم و العمل، العلامه السيد ابن طاووس الحلّي هو أجمع الروايات لخبر القصه، و هذا نصّه مع بعض التلخيص بلفظه، قال رحمه الله:

«الفصل السادس: في ما يتعلّق بمباهله سيّد أهل الوجود لذوى الجحود، الذى لا يساوى و لا يجازى، و ظهور حجّته على النصارى و الحبارى، و إنّ فى يوم مثله تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم، و نذكر ما نعمل من المراسم، و فيه فصول:

فصل: فى ما نذكره من إنفاذ النبى صلوات الله عليه و آله و سلّم لرسله إلى

نصارى نجران و مناظرتهم فيما بينهم و ظهور تصديقه في ما دعاه، رويناه ذلك بالأسانيد الصحيحه و الروايات الصريحه إلى أبي المفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني رحمه الله من كتاب (المباهله)، و من أصل كتاب الحسن بن إسماعيل ابن أشناس من كتاب عمل ذي الحجه، في ما رويناه بالطرق الواضحه، عن ذوى الهمم الصالحه، لا حاجه إلى ذكر أسمائهم، لأن المقصود ذكر كلامهم، قالوا:

لَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَكَّةَ وَ انْقَادَتْ لَهُ الْعَرَبُ، وَ أُرْسِلَ رَسَلُهُ وَ دَعَاتُهُ إِلَى الْأُمَمِّ، وَ كَاتَبَ الْمَلَائِكَةَ كَسْرَى وَ قَيْصَرَ يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَ إِذَا أَقْرَبَا بِالْجَزِيرَةِ وَ الصَّغَارِ، وَ إِذَا أَدْنَا بِالْحَرْبِ الْعَوَانِ، أَكْبَرَ شَأْنَهُ نَصَارَى نَجْرَانَ وَ خَلَطَاؤُهُمْ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ وَ جَمِيعِ بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبٍ وَ مِنْ ضَوَى إِلَيْهِمْ وَ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ دَهْمَاءِ النَّاسِ - عَلَى اخْتِلَافِهِمْ هُنَاكَ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ مِنَ الْآوُوسِيَّةِ، وَ السَّالُوسِيَّةِ، وَ أَصْحَابِ دِينِ الْمَلِكِ، وَ الْمَارُوتِيَّةِ، وَ الْعِبَادِ، وَ النَّسْطُورِيَّةِ - وَ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ - عَلَى تَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ - رَهْبَةً مِنْهُ وَ رِعْبًا.

فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ، إِذْ وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَسَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِكِتَابِهِ، وَ هُمْ: عَتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَ الْهَدِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو تَيْمِ بْنِ مَرْهٍ، وَ صَهَيْبُ بْنُ سَنَّانٍ أَخُو النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَأَخْوَانٌ، وَ إِنْ أَبَوْا وَ اسْتَكْبَرُوا فَإِلَى الْخَطِّهِ الْمَخُوفِ إِلَى أَدَاءِ الْجَزِيَّةِ عَنْ يَدٍ، فَإِنْ رَاغَبُوا عَمَّا دَهَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَ عِنْدُوا فَقَدْ آذَنَهُمْ عَلَى سِوَاءٍ، وَ كَانَ فِي كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (١).

ص: ٣٩٥

قالوا: و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لا يقاتل قوماً حتّى يدعوهم.

□
فازداد القوم لورود رسل نبى صَلَّى الله عليه و آله و كتابه نفوراً و اقتراحاً، ففرعوا لذلك إلى بيعتهم العظمى، و أمروا ففرش أرضها و ألبس جدرها بالحريير و الديقاج، و رفعوا الصليب العظيم، و كان من ذهب مرصع أنفذه إليهم القيصر الأكبر، و حضر ذلك بنى الحرث بن الكعب، و كانوا ليوث الحرب و فرسان الناس، قد عرفت العرب ذلك لهم فى قديم أّيّامهم و فى الجاهليه، فاجتمع القوم جميعاً للمشوره و النظر فى أمورهم، و أسرعوا إليهم القبائل من مذحج و عكّ و حمير و أنمار، و من دنا منهم نسباً و داراً من قبائل سبأ، و كلهم قد ورم أنفه غضباً من قومهم، و نكص من تكلم منهم بالإسلام ارتداداً، فخاضوا و أفاضوا فى ذكر المسير بنفسهم و جمعهم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و التزول به بيثرب لمناجزته.

فلما رأى أبو حامد حصين بن علقمه -أسقفهم الأوّل و صاحب مدارسهم و علّامهم، و كان رجلاً من بنى بكر بن وائل- ما أزمع القوم عليه من إطلاق الحرب، دعا بعصابه فرفع بها حاجبيه عن عينيه -و قد بلغ يومئذ عشرين و مائه سنه- ثمّ قام فيهم خطيباً معتمداً على عصا -و كانت فيه بقيته، و له رأى و رويّه، و كان موحّداً يؤمن بالمسيح عليه السلام و بالنبى صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و يكتّم إيمانه ذلك من كفره قومه و أصحابه -فقال:

مهلاً بنى عبد المدان مهلاً، استديموا العافيه و السعاده، فإنّهما مطويّان فى الهواده، دبّوا إلى قوم فى هذا الأمر ديب الذرّ، و إياكم و السوره العجلى، فإنّ البديبه بها لا -ينجب، إنكم- و الله -على فعل ما لم تفعلوا أقدر منكم على ردّ ما فعلتم، ألا إنّ النجاه مقرونه بالأناه، ألا ربّ إحجام أفضل من إقدام، و كائن من

قول أبلغ من صولٍ، ثم أمسك.

فأقبل عليه كرز بن سبره الحارثي- وكان يومئذٍ زعيم بني الحارث بن كعب و في بيت شرفهم و المعصب فيهم، و أمير حروبهم- فقال: لقد انتفخ سحر ك و استطير قلبك أبا حارثه، فظلت كالمسبوع النزاعه المهلوع، تضرب لنا الأمثال، و تخوفنا النزال، لقد علمت- و حقّ المّتان- بفضيله الحنّاط بالنوء بالعب و هو عظيم، و تلقح الحرب و هو عقيم، تثقّف إودّ الملك الجيّار، و لنحن أركان الرائش و ذى المنار، الّذين شددنا ملكهما، و أمرنا مليكهما، فأى أيا منا ينكر؟! أم لأيّها- ويك- تلمز؟! فما أتى على آخر كلامه حتّى انتظم نصل نبه ك كانت في يده بكفه غيظاً و هو لا يشعر.

فلما أمسك كرز بن سبره، أقبل عليه العاقب- و اسمه عبد المسيح بن شرحبيل، و هو يومئذٍ عميد القوم، و أمير رأيهم، و صاحب مشورتهم، الّذى لا يصدرون جميعاً إلّا عن قوله- فقال له:

أفلح وجهك، و آنس ربعك، و عزّ جار ك، و امتنع ذمارك، ذكرت- و حقّ مغبّره الجباه- حسباً صميماً، و عيصاً كريماً، و عزّاً قديماً، و لكن- أبا سبره- لكلّ مقام مقال، و لكلّ عصرٍ رجال، و المرء بيومه أشبه منه بأمه، و هى الأيّام تهلك جيلاً و تدبيل قبيلاً، و العافيه أفضل جلاب، و للآفات أسباب، فمن أوكد أسبابه التعرض لأبوابها. ثم صمت العاقب مطرّقاً.

فأقبل عليه السيّد- و اسمه أهتم بن النعمان، و هو يومئذٍ أسقف نجران، و كان نظير العاقب في علوّ المنزله، و هو رجل من عامله، و عداده في لخم- فقال له: سعد جدك، و سما جدك أبا وائله، إنّ لكلّ لامعه ضياء، و على كلّ صوابٍ نوراً، و لكن لا يدركه- و حقّ واهب العقل- إلّا من كان بصيراً، إنّك أفضيت

و هذان فيما تصرّف بكما الكلم إلى سبيليّ حزنٍ و سهليّ، و لكلّ على تفاوتكم حظّ من الرأى الربيق و الأمر الوثيق إذا أصيب به مواضعه.

ثمّ إنّ أخا قريشٍ قد نجدكم لخطبٍ عظيمٍ و أمرٍ جسيمٍ، فما عندكم فيه قولوا و انجزوا، أ بخوع و إقرار؟ أم نزوع؟!

قال عتبه و الهدير و النفر من أهل نجران: فعاد كرز بن سبره لكلامه- و كان كميّاً أبيتاً- فقال:

أ نحن نفارق ديناً رسخت عليه عروقنا، و مضى عليه آباؤنا، و عرف ملوك الناس ثمّ العرب ذلك منّا؟! أ تنهالك إلى ذلك أم نقرّ بالجزية و هى الخزيه حقّاً؟! لا- و الله حتّى نجرّد البواتر من أغمادها، و تذهل الحلائل عن أولادها، أو نشرق نحن و محمّد بدمائنا، ثمّ يدبّل الله عزّ و جلّ بنصره من يشاء.

قال له السيد: أربع على نفسك و علينا أبا سبره، فإنّ سلّ السيف يسلّ السيوف، و إنّ محمّداً قد بخعت له العرب و أعطته طاعتها، و ملك رجالها و أعتتها، و جرت أحكامه فى أهل الوبر منهم و المدر، و رمقه الملكان العظيمان كسرى و قيصر فلا أراكم- و الروح- لو نهّد لكم إلّا و قد تصدّع عنكم من خفّ معكم من هذه القبائل، فصرتم جفأء كأمس الذاهب، أو كلحمٍ على وضمّ.

و كان فيهم رجل يقال له: جهير بن سراقه البارقي- من زنادقه نصارى العرب، و كان له منزله من ملوك النصرانية، و كان مثواه بنجران- فقال له: أبا سعد قل فى أمرنا و أنجدنا برأيك، فهذا مجلس له ما بعده.

فقال: فإني أرى لكم أن تقاربوا محمّداً و تطيعوه فى بعض ملتسمه عندكم، و لينطلق وفودكم إلى ملوك أهل ملّتكم، إلى الملك الأكبر بالروم قيصر، و إلى ملوك هذه الجلداء السوداء الخمسه- يعنى ملوك السودان: ملك النوبه، و ملك

الحبشه، وملك علوه، وملك الرعا، وملك الراحات، و مريس، و القبط، و كل هؤلاء كانوا نصارى-.

قال: و كذلك من ضوى إلى الشام و حلّ بها من ملوك غسّان، و لحم، و جذام، و قضاعة، و غيرهم من ذوى يمنكم، فهم لكم عشيره و موالى و مآل، و فى الدين إخوان- يعنى أنهم نصارى- و كذلك نصارى الحيره من العباد و غيرهم، فقد صبت إلى دينهم قبائل تغلب بنت وائل و غيرهم من ربيعه بن نزار.

لتسير وفودكم، ثم لتخرق إليهم البلاد اغذاذاً فيستصرخونهم لدينكم، فيستنجدكم الروم، و تسير إليكم الاساوده مسير أصحاب الفيل، و تقبل إليكم نصارى العرب من ربيعه اليمن.

فإذا وصلت الأمداد واردةً سرتم أنتم فى قبائلكم و سائر من ظافركم و بذل نصره و مؤازرته لكم، حتى تضاهئون من أنجدكم و أصرحكم من الأجناس و القبائل الواردة عليكم، فأموأ محمداً حتى سنحوا به جميعاً، فسيقتق إليكم و افداً لكم من صبا إليه مغلوباً مقهوراً، و ينعق به من كان منهم فى مدرته مكثوراً، فيوشك أن تصطلموا حوزته، و تطفنوا جمرته، و يكون لكم بذلك الوجه و المكان فى الناس، فلا- تمالك العرب حينئذ حتى تهافت دخولاً- فى دينكم، ثم لتعظمن بيعتكم هذه، و لتشرفن حتى تصير كالكعبه المحجوجه بتهامه.

هذا رأى فانتهزوه، فلا رأى لكم بعده.

فأعجب القوم كلام جهير بن سراقه، و وقع منهم كل موقع، فكاد أن يتفرقوا على العمل به، و كان فيهم رجل من ربيعه بن نزار من بنى قيس بن ثعلبه، يدعى حارثه بن أثاك، على دين المسيح عليه السلام، فقام حارثه على قدميه و أقبل على جهير، و قال متمثلاً:

متى ما تقد بالباطل الحقّ بابه

ثم استقبل السيد و العاقب و القسيسين و الرهبان و كافه نصارى نجران بوجهه، لم تخلط معهم غيرهم، فقال: سمعاً سمعاً يا أبناء الحكمه، و بقايا حمله الحجه، إن السعيد و الله من نفعته الموعظه، و لم يعيش عن التذكره، ألا و إنى أنذركم و أذكركم قول مسيح الله عزّ و جلّ.

□
ثم شرح وصيته و نصه على وصيه شمعون بن يوحنا، و ما يحدث على أمته من الإفتراق، ثم ذكر عيسى عليه السلام، و قال: إن الله جلّ جلاله أوحى إليه:

□
فخذ يا بن أمتى كتابى بقوه، ثم فسّره لأهل سوريا بلسانهم، و أخبرهم إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم، البديع الدائم، الذى لا أحول و لا- أزول، و إنى بعثت رسلى و أنزلت كتبى رحمه و نوراً و عصمه لخلقى، ثم إنى باعث بذلك نجيب رسالتى، أحمد، صفوتى من برّيتى، البارقليطا عبدى، أرسله فى خلق من الزمان، أبتعته بمولده فاران، من مقام أبيه إبراهيم عليه السلام، أنزل عليه توراة حديثه، أفتح بها أعيناً عمياً، و آذاناً صمّاً، و قلوباً غلفاً، طوبى لمن شهد أيامه، و سمع كلامه، فآمن به و اتبع النور الذى جاء به.

فإذا ذكرت يا عيسى ذلك النبى فصلّ عليه فإنى و ملائكتى نصلى عليه.

قال:فما أتى حارثه بن أذاك على قوله هذا حتّى أظلمّ بالسيد و العاقب مكانهما،وكرها ما قام به فى الناس معرباً و مخيراً عن المسيح عليه السلام بما أخبر و أقدم من ذكر النبىّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم،لأنهما كانا قد أصابا بموضعهما من دينهما شرفاً بنجران،و وجهاً عند ملوك النصرانية جميعاً،و كذا عند سوقتهم،و عربهم فى البلاد،فأشفقا أن يكون ذلك سبباً لانصراف قومهما

عن طاعتهما لدينهما، وفسخاً لمنزلتهما في الناس.

فأقبل العاقب على حارثه فقال: أمسك عليك يا حار، فإنّ رادّ هذا الكلام عليك أكثر من قابله، و ربّ قولٍ يكون بليّةً على قائله، و للقلوب نفرات عند الإصداع بمظنون الحكمة، فاتق نفورها، فلكلّ نبأ أهل؛ و لكلّ خطبٍ محلّ، و إنّما الدرّك ما أخذ لك بمواضى النجاه و ألبسك جنّه السلامه، فلا تعدلنّ بهما حظاً، فإنّي لم ألك- لا أباً لك- نصحاً. ثم أزم يعنى أمسك.

فأوجب السيّد أن يشرك العاقب في كلامه، فأقبل على حارثه، فقال:

إنّي لم أزل أتعرف لك فضلاً تميل إليه الألباب، فإنّك أنّ تقتعد مطيّه اللجاج، و أن توجف إلى السراب، فمن عذر بذلك فلست فيه أيّها المرء بمعذور، و قد أغفلك أبو وائله و هو ولى أمرنا و سيّد حضرنا عتاباً، فأوله اعتباراً. ثمّ تعلم أنّ ناجم قريش- يعنى رسول الله صلّى الله عليه و آله- يكون رزؤه قليلاً ثمّ ينقطع و يخلو.

أنّ بعد ذلك قرن يبعث في آخره النّبى المبعوث بالحكمه و البيان، و السيف و السلطان، يملك ملكاً مؤجلاً- تطبق فيه أمته المشارق و المغارب، و من ذريّته الأمير الظاهر، يظهر على جميع الملكات و الأديان، و يبلغ ملكه ما طلع عليه الليل و النهار، و ذلك- يا حار- أمل من ورائه أمد و من دونه أجلّ، فتمسك من دينك بما تعلم و تمنع- لله أبوك- من أنس متصرّم بالزمان أو لعارض من الحدّثان، فإنّما نحن ليومنا و لغدٍ أهله.

فأجابه حارثه بن أثال، فقال: إيها عليك أبا قرّه! فإنّه لا حظّ في يومه لمن لا درك له في غدوه، اتّق الله تجد الله جلّ و تعالى بحيث لا مفزع إلّا إليه، و عرضت مشيداً بذكر أبى وائله، فهو العزيز المطاع، الرحب الباع و إليكما معاً يلقي

الرحل،فلو أضربت التذكرة عن أحدٍ لتبزيز فضلٍ لكتنماه،لكنّها أبكار الكلام تهدي لأربابها،و نصيحه كنتما أحقّ من أصغى لها،إنكما مليكا ثمرات قلوبنا، و وليا طاعتنا في ديننا فالكتيس الكيس-يا أيها المعظمان-عليكما به،أريا مقاماً يدهكما نواحيه و أهجرا سنّه التسوييف في ما أنتما بعرضه،آثرا الله في ما كان يؤثر كما بالمزيد من فضله،و لا تخلدا في ما أظلكما إلى الونيه،فإنّه من أطال عنان الأمر أهلكته العزّه،و من اقتعد مطيّه الحذر كان بسبيل آمنٍ من المتالف،و من استنصح عقله كانت العبره له لا به،و من نصح لله عزّ و جلّ آنسه الله جلّ و تعالى بعزّ الحياه و سعاده المنقلب.

ثمّ أقبل على العاقب معاتباً فقال:

و زعمت-أبا وائله-أنّ راد ما قلت أكثر من قابله،و أنت لعمر الله حرّى ألاً يؤثر هذا عنك،فقد علمت و علمنا أمّه الإنجيل معاً بسيره ما قام به المسيح عليه السلام في حواريه و من آمن له من قومه،و هذه منك فّه لا يرحضها إلّا التوبه و الإقرار بما سبق به الإنكار.

فلما أتى على هذا الكلام صرف إلى السيّد وجهه،فقال:لا سيف إلّا ذو نبوه و لا عليم إلّا ذو هفوه،فمن نزع عن وهله و أقلع فهو السعيد الرشيد،و إنّما الآفه في الإصرار،و عرضت بذكر نبيّين يخلقان بعد ابن البتول،فأين يذهب بك عمّا خلّد في الصحف من ذكرى ذلك؟! أ لم تعلم ما أنبا به المسيح عليه السلام في بنى إسرائيل؟! و قوله لهم:كيف بكم إذا ذهب بي إلى أبي و أبيكم و خلّف بعد أعصارٍ يخلو من بعدى و بعدكم صادق و كاذب؟!

قالوا:و من هما يا مسيح الله؟

قال:نبيّ من ذريّه إسماعيل عليهما السلام صادق،و متبّي من بنى

إسرائيل كاذب، فالصادق منبعث منهما برحمته و ملحمته، يكون له الملك و السلطان ما دامت الدنيا، و أمّا الكاذب فله نبؤ يذكر به المسيح الدجال يملك فواقاً ثم يقتله الله بيدي إذا رجح بي.

قال حارثه: و أحذركم يا قوم أن يكون من قبلكم من اليهود أسوه لكم، إنهم أنذروا بمسيحين، مسيح رحمة و هدى، و مسيح ضلاله، و جعل لهم على كلّ واحدٍ منهما آية و أمانة، فجدوا مسيح الهدى و كذبوا به، و آمنوا بمسيح الضلالة الدجال، و أقبلوا على انتظاره و أضربوا فى الفتنة و ركبوا نضحها، و من قبل ما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و قتلوا أنبياءه و القوامين بالقسط من عباده، فحجب الله عزّ و جلّ عنهم البصيره بعد التبصره بما كسبت أيديهم، و نزع ملكتهم منهم ببغيهم و ألزمهم الذله و الصغار، و جعل منقلبهم إلى النار.

قال العاقب: فما أشعر ك-يا حار- أن يكون هذا النبى المذكور فى الكتب هو قاطن يثرب، و لعله ابن عمك صاحب اليمامة، فإنه يذكر من النبوه ما يذكر منها أخو قريش، و كلاهما من ذريه إسماعيل، و لجمعيهما أتباع و أصحاب يشهدون بنبوته، و يقرون له برسالته، فهل تجد بينهما فى ذلك من فاصله فتذكرها؟

قال حارثه: أجل و الله أجدها و الله أكبر، و أبعد ممّا بين السحاب و التراب، و هى الأسباب التى بها و بمثلها تثبت حجّه الله فى قلوب المعترين من عباده لرسله و أنبيائه.

و أمّا صاحب اليمامة فيكفيك فيه ما أخبركم به سفهاؤكم و غيركم، و المنتجع منكم أرضه، و من قدم من أهل اليمامة عليكم، أ لم يخبركم جميعاً عن رواد مسيلمه و سماعيه، و من أوفده صاحبهم إلى أحمد يثرب فعادوا إليه جميعاً

بما تعرّفوا هناك فى بنى قبيله و تبيّنوا به!؟

قالوا: قدم علينا أحمد يثرب و ييارنا ثماد، و ميا هنا ملح، و كنا من قبله لا نستطيب و لا نستعذب، فبصق فى بعضها و مسح فى بعض، فعادت عذاباً محلوليّه، و جاش منها ما كان ماؤها ثماداً فجار بحرأ.

قالوا: و تفل محمّد فى عيون رجال ذوى رمد، و على كلوم رجال ذوى جراح، فبرئت لوقته عيونهم فما اشتكوها و اندملت جراحاتهم فما ألموها، فى كثير ممّا أدوا و تبثوا عن محمّد صلى الله عليه و آله من دلالة و آيه.

و أرادوا صاحبهم مسيلمه على بعض ذلك، فأنعم لهم كارهاً، و أقبل بهم إلى بعض ييارهم فمسح فيها و كانت الركى معذوبه فحارت ملحاً لا يستطاع شرا به، و بصق فى بئر كان ماؤها و شلاً فعادت فلم تبض بقطره من ماء، و تفل فى عين رجل كان بها رمد فعميت، و على جراح - أو قالوا جراح آخر - فاكتسى جلده برصاً.

فقالوا لمسيلمه فيما ابصروا فى ذلك منه، و استبرءوه.

فقال: و يحكم بئس الأئمّه أنتم لنبىكم و العشيره لابن عمكم أن كنتم تحيفتمونى يا هؤلاء من قبل أن يوحى إالىّ فى شىء ممّا سألتهم، و الآن فقد أذن لى فى أجسادكم و أشعاركم دون يياركم و مياهم، هذا لمن كان منكم بى مؤمناً، و أمّا من كان مرتاباً فإنّه لا يزيد تفلتى عليه إلّا بلاءً، فمن شاء الآن منكم فليأت لأتفل فى عينه و على جلده.

قالوا: ما فينا - و أيبك - أحد يشاء ذلك، إننا نخاف أن يشمت بك أهل يثرب؛ و أضربوا عنه حميه لنسبه فيهم و تدمماً لمكانه منهم.

فضحك السيد و العاقب حتّى فحصا الأرض بأرجلها، و قالوا: ما النور

و الظلام و الحق و الباطل بأشدّ بياناً و تفاوتاً ممّا بين هذين الرجلين صدقاً و كذباً.

قالوا: و كان العاقب أحبّ -مع ما تبين من ذلك- أن يشيّد ما فرّط من تفريطه مسيلمه و يوثل منزلته ليجعل لرسول الله صلّى الله عليه و آله كفوّاً، استظهاراً بذلك في بقاء عزّه و ما طار له من السمو في أهل ملّته، فقال: و لئن فخر أخو بني حنيفه في زعمه أنّ الله عزّ و جلّ أرسله، و قال من ذلك ما ليس له بحقّ، فلقد برّ في أن نقل قومه من عباده الاوثان إلى الإيمان بالرحمن.

قال حارثه أنشدك بالله الذي دحاها، و أشرق باسمه قمرها، هل تجد في ما أنزل الله عزّ و جلّ في الكتب السابقة: يقول الله عزّ و جلّ: أنا الله لا إله إلا أنا ديّان يوم الدين، أنزلت كتبي و أرسلت رسلي لأنستنقذ بهم عبادي من حبال الشيطان، و جعلتهم في بريّتي و أرضي كالنجوم الدراري في سمائي، يهدون بوحى و أمرى، من أطاعهم أطاعنى، و من عصاهم فقد عصانى، و إنى لعنت و ملائكتى في سمائي و أرضي و اللاعنون من خلقى من جحد ربوبيّتي، أو عدل بي شيئاً من بريّتي، أو كذب بأحد من أنبيائي و رسلي، أو قال أوحى إلّى و لم يوح إليه شيء، أو غمص سلطاني، أو تقمّصه متبرياً، أو أكمه عبادي و أضلّهم عنى، ألا و إنّما يعبدنى من عرف ما أريد في عبادتى و طاعتى من خلقى، فمن لم يقصد إلّى من السبيل التي نهجتها برسلي لم يزد في عبادته منى إلاّ بعداً.

قال العاقب: و رويدك، فأشهد لقد نبأت حقّاً.

قال حارثه: فما دون الحقّ من مقنع، و ما بعده لامرئ مفزع، و لذلك قلت الذي قلت.

فاعترضه السيّد -و كان ذا محال و جدال شديد- فقال: ما أحرى و ما أرى أخا قريش مرسلّاً إلاّ إلى قومه بنى إسماعيل دينه، و هو مع ذلك يزعم أنّ الله

عزّ وجلّ أرسله إلى الناس جميعاً.

قال حارثه: أفتعلم أنت يا أبا قرّة أن محمّداً مرسل من ربّه إلى قومه خاصّه؟!

قال: أجل.

قال: أتشهد له بذلك؟!

قال: ويحك، و هل يستطيع دفع الشواهد؟! نعم، أشهد غير مرتاب بذلك، و بذلك شهدت له الصحف الدارسة و الأنباء الخالية.

فأطرق حارثه ضاحكاً ينكت الأرض بسبّابته.

قال السيّد: ما يضحكك يا ابن أذاك.

قال: عجبت فضحكت.

قال: أو عجب ما تسمع؟!

قال: نعم، العجب أجمع، أليس -بالإله- بعجيب من رجل أوتى أثره من علم و حكمه يزعم أنّ الله عزّ وجلّ اصطفى لنبوّته، و اختصّ برسالته، و أيد بروحه و حكمته، رجلاً -خرّاصاً يكذب عليه و يقول: أوحى إليّ و لم يوح إليه، فيخلط كالكاهن كذباً بصدقٍ، و باطلاً بحقّ!

فارتدع السيّد و علم أنّه قد وهل فأمسك محجوجاً.

قالوا: و كان حارثه بنجران حثياً -يعنى غريباً- فأقبل عليه العاقب و قد قطعه ما فرط إلى السيّد من قوله، فقال له: عليك أخا بنى قيس من ثعلبه، و احبس عليك ذلق لسانك و ما لم تزل تسحّم لنا من مثابه سفهك، فربّ كلمه ترفع صاحبها رأساً قد ألفته فى قعر مظلمه، و ربّ كلمه لامت و رابت قلوباً نغله، فدع عنك ما يسبق إلى القلوب إنكاره و إن كان عندك ما يتسان اعتذاره.

ثم قال: و ذكرت أخا قريش و ما جاء به من الآيات و النذر، فأطلت و أعرضت، و لقد بررت، فنحن بمحمّد عالمون، و به جدّاً موقنون، شهدت لقد انتظمت له الآيات و البيّنات، سالفها و آنفها إلّا آيه هي أسعها و أشرفها، و إنّما مثلها في ما جاء به كمثل الرأس للجسد، فما حال جسد لا رأس له؟! فامهل رويداً نتجسس الأخبار و نعتبر الآثار، و لنستشف ما ألفتنا ممّا أفضى إلينا، فإنّ آنسنا الآيه الجامعه الخاتمه لديه فنحن إليه أسرع و له أطوع، و إلّا فأعلم ما نذكر به النبوه و السفاره عن الربّ الذي لا تفاوت في أمره، و لا تغاير في حكمه.

قال له حارثه: قد ناديت فأسمعت، و فزعت فصدعت، و سمعت و أطعت، فما هذه الآيه التي أوحش بعد الأنسه فقدها، و أعقب الشكّ بعد البينه عدمها؟

و قال له العاقب: قد أثلجك أبو قرّه بها فذهبت عنها في غير مذهب، و حاورتنا فأطلت في غير ما طائل حوارنا.

قال حارثه: و إلى ذلك فحلّها الآن لي فداك أبي و أمي.

قال العاقب: أفلح من سلم للحقّ و صدع به، و لم يرغب عنه و قد أحاط به علماً، فقد علمنا و علمت من أنباء الكتب المستودعه علم القرون، و ما كان و ما يكون، فإنّها استهلّت بلسان كلّ أمه منهم معربه مبشره و منذره بأحمد النبيّ العاقب، الذي تطبق أمته المشارق و المغارب.

قالوا: و كان هذا مجلساً ثالثاً في يوم ثالثٍ من اجتماعهم للنظر في أمرهم، فقال السيّد: يا حارثه! أ لم ينبئك أبو وائله بأفصح لفظٍ اخترق أذنًا، و دعا ذلك بمثله مخبراً؛ فألقاك مع غرمائك بموارده حجراً، و ها أنا ذا آكد عليك التذكّره بذلك من معدنٍ ثالثٍ.

□
فأنشدك الله و ما أنزل إلى كلمته من كلماته، هل تجد في الزاجره المنقوله

من لسان أهل سوريا إلى لسان العرب-يعنى صحيفه شمعون بن حمون الصفا التي توارثها عنه أهل النجران-؟

قال السيد: أ لم يقل بعد بند طويل من كلام: فإذا طبقت و قطعت الأرحام، و عفت الأعلام، بعث الله عبده الفارقليطا بالرحمه و المعدله.

قالوا: و ما الفارقليطا يا روح الله؟

قال: أحمد النبي الخاتم الوارث ذلك الذي يصلّي عليه حيّاً و يصلّي عليه بعد ما يقبضه إليه، بابنه الطاهر الخاير، ينشره الله في آخر الزمان بعد ما انفصمت عرى الدين، و خبت مصابيح الناموس، فأفلت نجومه، فلا يلبث ذلك العبد الصالح إلّا أمّما حتّى يعود الدين به كما بدأ، و يقرّ الله عزّ و جلّ سلطانه في عبده ثمّ في الصالحين من عقبه، و ينشر منه حتّى يبلغ ملكه منقطع التراب.

قال حارثه: كلّ ما قد أنشدت ما حقّ، لا و حشه مع الحقّ، و لا أنس في غيره، فمه؟

قال السيد: فإنّ من الحقّ أن لا حظّ في هذه الأكرومه للأبتر.

قال حارثه: إنّه لكذلك، أ ليس بمحمّد؟!

قال السيد: إنك ما عملت إلّا لداً، أ لم يخبرنا سفرنا و أصحابنا في ما تجسّسنا من خبره أن ولديه الذكرين القرشيّه و القبطيه بادا- يعنى هلكا- و غودر محمّد كقرن الأعضب موفّ على ضريحه، فلو كان له بقيه لكان لك بذلك مقالاً إذا ولّت أبناؤه الذي يذكر.

قال حارثه: العبر- لعمر و الله- كثيره و الاعتبار بها قليل، و الدليل موفّ على سنن السبيل إن لم يعيش عنه ناظر، و كما أنّ أبصار الرمده لا تستطيع النظر في قرص الشمس لسقمها؛ فكذلك البصائر القصيره لا تتعلّق بنور الحكمه

لعجزها، إلا ومن كان كذلك فليستماه-و أشار إلى السيد والعاقب-.

□ □
إنكما-و يمين الله-لمحجوجين بما آتاكم الله عزّ وجلّ من ميراث الحكمة و استودعكما من بقايا الحجّه، ثمّ بما أوجب لكما من الشرف و المنزله فى الناس، فقد جعل الله عزّ وجلّ من آتاه سلطاناً ملوكاً للناس و أرباباً، و جعلكما حكماً و قواماً على ملوك ملتنا و ذاده لهم، يفزعون إليكما فى دينهم و لا- تفزعان إليهم، و تأمرانهم فى أمرهم لكما و حقّ لكلّ ملك أو موطاً الأكناف أن يتواضع لله عزّ وجلّ إذ رفعه، و أن ينصح لله عزّ وجلّ فى عباده و لا يدهن فى أمره، و ذكرتما محمّداً بما حكمت له الشهادات الصادقه، و بيّنته فيه الأسفار المستحفظه، و رأيتما مع ذلك مرسلأ إلى قومه لا إلى الناس جميعاً و أنّه ليس بالخاتم الحاشر، و لا الوارث العاقب، لأنكما زعمتماه أبترا، أ ليس كذلك؟

قالا: نعم.

قال: أ رأيتكما لو كان له بقيه و عقب، هل كنتما تمترين لما تجدان و بما تكذبان من الوراثه و الظهور على النواميس أنّه النبىّ الخاتم و المرسل إلى كافه البشر؟

قالا: لا.

قال: أ فليس هذا القيل-هذه الحال مع طول اللوائم و الخصائم-عندكما مستقرأ.

قالا: أجل.

□
قال: الله أكبر.

قالا: كبرت كبيراً، فما دعاك إلى ذلك.

قال حارثه: الحقّ أبلج، و الباطل لجلج، و لنقل ماء البحر و لشقّ الصخر

ص: ٤٠٩

أهون من إمامته ما أحياه الله عزّ وجلّ وإحياء ما أماته، الآن فاعلما أنّ محمّداً غير أبتر، وأنّه الخاتم الوارث و العاقب الحاشر حقّاً فلا نبيّ بعده و على أمته تقوم الساعه و يرث الله الأرض و من عليها و أنّ من ذرّيته الأمير الصالح الذي بيّنتما و تبأتما أنّه يملك مشارق الأرض و مغاربها و يظهره الله عزّ وجلّ بالحنفيه الإبراهيميه على النواميس كلها.

قالا: أولى لك يا حارثه، لقد أغفلناك و تأبى إلّا مراوغه كالثعالبه، فما تسأم المنازعه و لا تملّ من المراجعه، و لقد زعمت مع ذلك عظيماً، فما برهانك به؟

قال: أمّا و جدّكما- لأنّكما ببرهانٍ يجير من الشبهه و يشفى به جوى الصدور.

ثمّ أقبل على أبي حارثه حصين بن علقمه، شيخهم و أسقفهم الأوّل فقال:

إن رأيت أيّها الأب الأثير أن تؤنس قلوبنا و تتلج صدورنا بإحضار الجامعه و الزاجره.

قالوا: و كان هذا المجلس الرابع من اليوم الرابع، و ذلك لما خلقت الأرض و ركدت، و في زمن قيظ شديد، فأقبلا على حارثه فقالا: أرج هذا إلى غدٍ فقد بلغت القلوب منّا الصدور. فتفرّقا على إحضار الزاجره و الجامعه من غدٍ للنظر فيهما و العمل بما يقرءان منهما.

فلَمّا كان من الغد صار أهل نجران إلى بيعتهم لاعتبار ما أجمع صاحباهم مع حارثه على اقتباسه و تبينه من الجامعه، و لَمّا رأى السيّد و العاقب اجتماع الناس لذلك قطع بهما لعلمهما بصواب قول حارثه، و اعترضاه ليصدّانه عن تصفّح الصحف على أعين الناس، و كانا من شياطين الإنس، فقال السيّد: إنك قد أكثرت

و أمّلت قَصَّ الحديث لنا مع قَصِّه ودعنا من تبيانه.

فقال حارثه: و هل هذا إلّا- منكَ و صاحبك ! فمن الآن فقولا ما شتتما، فقال العاقب: ما من مقال إلّا قلناه، و سنعود فنخبر بعض ذلك لك تخبيراً غير كاتمين لله عزّ و جلّ من حجّه، و لا- جاحدين له آيه، و لا- مفترين مع ذلك على الله عزّ و جلّ لعبدٍ أنّه مرسل منه و ليس برسوله، فنحن نعترف- يا هذا- بمحمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ عزّ و جلّ إلى قومه من بنى إسماعيل عليه السلام في غير أن يجب له بذلك على غيرهم من عرب الناس و لا أعاجمهم، تبعاه و لا طاعه، بخروج له عن مله، و لا دخول معه في مله، إلّا الإقرار له بالنبوه و الرساله إلى أعيان قومه و دينه.

قال حارثه: و بم شهدت ما شهدت ما له بالنبوه و الأمر؟

قال: حيث جاء تنا فيه البيئه من تباشير الأناجيل و الكتب الخاليه.

فقال: منذ و جب هذا لمحمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله- عليكما في طويل الكلام و قصيره، و بدئه و عوده، فمن أين زعمتما أنّه ليس بالوارث الحاشر، و لا المرسل إلى كافه البشر؟

قالا: لقد علمت و علمنا، فما نمترى بأنّ حجّه الله عزّ و جلّ لم ينته أمرها، و أنّها كلمه الله جاريه في الأعقاب ما اعتقب الليل و النهار، و ما بقى من الناس شخصان، و قد ظننا من قبل أنّ محمّداً ربّها، و أنّه القائد بزمامها، فلما أعقمه الله عزّ و جلّ بمهلك المذكوره من ولده علمنا أنّه ليس به، لأنّ محمّداً أبت، و حجّه الله عزّ و جلّ الباقيه، و نيّه الخاتم بشهادته كتب الله عزّ و جلّ المنزله ليس بأبت، فإذا هو نبيّ يأتي و يخلد بعد محمّد، اشتق اسمه من اسم محمّد و هو أحمد الذي نبأ المسيح باسمه و نبوته و رسالته الخاتمه، و يملك ابنه القاهر الجامعه للناس

جميعاً على ناموس الله عزّ وجلّ الأعظم، ليس بمظهره دينه، ولكنّه من ذرّيته و عقبه، يملك قرى الأرض و ما بينهما، من لوبٍ و سهل و صخر و بحر، ملكاً مورثاً موطاً، و هذا نبأ أحاطت سفره الأناجيل به علماً، و قد أوسعناك بهذا القيل سمعاً و عدنا لك به آنفّه بعد سالفه، فما أربك إلى تكراره؟!

قال حارثه: قد أعلم أنا و إياكما في رجوع من القول منذ ثلاث و ما ذاك إلّا ليذكر ناس، و يرجع فارط، و تظهر لنا الكلم، و ذكرتما نبين يبعثان يعتقان بين مسيح الله عزّ وجلّ و الساعه، قلتما و كلاهما من بنى إسماعيل، أو لهم: محمّد بيثرب، و ثانيهما: أحمد العاقب.

فتنادى الناس في كلّ ناحيه و قالوا: الجامعه يا أبا حارثه الجامعه !

و ذلك لما مسّهم في طول تحاور الثلاثه من السامه و الملل، و ظنّ القوم مع ذلك أن الفلج لصاحبهما بما كانا يدعيان في تلك المجالس من ذلك.

فأقبل أبو حارثه إلى عليج واقف منه فقال: امض يا غلام فأت بها.

فجاء بالجامعه يحملها على رأسه و هو لا يكاد يتماسك بها لثقلها، قال:

فحدّثني رجل صدق من النجرائيه مّين كان يلزم السيّد و العاقب و يخفّ لهما في بعض أمورهما و يطّلع على كثيرٍ من شأنهما، قال: لَمّا حضرت الجامعه بلغ ذلك من السيّد و العاقب كلّ مبلغ، لعلمهما بما يهجمان عليه في تصفّحهما من دلائل رسول الله صلّى الله عليه و آله و صفته، و ذكر أهل بيته و أزواجه و ذرّيته، و ما يحدث في أمّته و أصحابه من بوائق الأمور من بعده إلى فناء الدنيا و انقطاعها.

فأقبل أحدهما على صاحبه، فقال: هذا يوم ما بورك لنا في طلوع شمسّه، لقد شهدت أجسامنا و غابت عنه آراؤنا بحضور طغاتنا و سفلتنا و لقلّ ما شهد سفهاء قوم مجمعه إلّا كانت لهم الغلبه.

قال الآخر: فهم شرٌّ غالبٌ لمن غلب، إنَّ أحدهم ليفيق بأدنى كلمهٍ و يفسد في بعض ساعهٍ ما لا يستطيع الآسى الحليم له رتقاً، ولا الخولّى النفيس إصلاحاً له في حولٍ محرم، ذلك لأنّ السفیه هادم و الحليم بانٍ، و شتان البناء و الهدم.

قال: فانتهاز حارثه الفرصه فأرسل في خفيه و سرّاً إلى نفرٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله فاستحضرهم استظهاراً بمشهدهم، فحضروا، فلم يستطع الرجلان فضّ ذلك المجلس و لا إرجاؤه، و ذلك لما بينا من تطلع عاتمتها من نصارى نجران إلى معرفه ما تضمّنت الجامعه من صفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و انبعاثهم له مع حضور رسل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم لذلك و تأليب حارثه عليهما فيه و صفو أبي حارثه شيخهم إليه.

قال: قال لي ذلك الرجل النجراني: فكان الرأى عندهما أن ينقادا لما يدهمهما من هذا الخطب، و لا يظهران شماساً منه و لا نفوراً، حذار أن يطرقا الظنّه فيه إليهما، و أن يكونا أيضاً أوّل معتبرٍ للجامعه و مستحثّ لها، لئلا يفتات في شيء من ذلك و المقام و المنزله عليهما، ثمّ يستبين أن الصواب في الحال و يستجدانه لياخذان بموجه، فتقدّما لما تقدّم في أنفسهما من ذلك إلى الجامعه و هي بين يدي أبي حارثه، و حاذاهما حارثه بن أذاك و تطاولت إليهما فيه الأعناق و حقت رسل رسول الله صلّى الله عليه و آله بهم.

فأمر أبو حارثه بالجامعه، ففتح طرفها و استخراج منها صحيفه آدم الكبرى، المستودعه علم ملكوت الله عزّ و جلّ جلاله و ما ذرأ و ما برأ في أرضه و سمائه و ما وصلهما جلّ جلاله من ذكر عالميه، و هي الصحيفه التي ورثها شيث من أبيه آدم عليه السلام و ما وعاه من الذكر المحفوظ، فقرأ القوم السيّد و العاقب و حارثه في الصحيفه تطلباً لما تنازعوا فيه من نعت رسول الله صلّى الله عليه و آله

وصفته، و من حضرهم يومئذٍ من الناس إليهم مصبحون مرتقبون لما يستدرِك من ذكرى ذلك، فألفوا في المسباح الثاني من فواصلها:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، معقب الدهور و فاصل الأمور، سبقت بمشييتي الأسباب، و ذلت بقدرتي الصعاب، فأنا العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، ارحم تُرحم، سبقت رحمتي غضبي، و عفوى عقوبتي، خلقت عبادى لعبادتي، و ألزمتهم حجّتي، ألا- إني باعث فيهم رسلى و منزل عليهم كتبى، أبرم ذلك من لدن أول مذكورٍ من بشرٍ إلى أحمد نبيى و خاتم رسلى، ذلك الذى أجعل عليه صلواتى و أسلك فى قلبه بركاتى، و به أكمل أنبيائى و نذرى.

قال آدم عليه السلام: إلهى! من هؤلاء الرسل؟ و من أحمد هذا الذى رفعت و شرفّت؟

قال: كلّ من ذرّيتك و أحمد عاقبهم.

قال: ربّ! بما أنت باعثهم و مرسلهم؟

قال: بتوحيدي، ثمّ ألقى ذلك بثلاثمائة و ثلاثين شريعة أنظّمها و أكملها لأحمد جميعاً، فأذنت لمن جاءنى بشريعه منها مع الإيمان بى و برسلى أن أدخله الجنّه.

ثمّ ذكر ما جمّله: أنّ الله تعالى عرض على آدم عليه السلام معرفه الأنبياء عليهم السلام و ذرّيتهم، و نظر بهم آدم عليه السلام.

ثمّ قال ما هذا لفظه: ثمّ نظر آدم عليه السلام إلى نورٍ قد لمع فسدّ الجوّ المنخرق فأخذ بالمطالع من المشارق، ثمّ سرى كذلك حتّى طبّق المغارب، ثمّ سما حتّى بلغ ملكوت السماء فنظر فإذا هو نور محمّد رسول الله صلّى الله عليه

و آله و إذا الأكناف به قد تَضَوَّعت طيباً، و إذا أنوار أربعه قد اكتفتته عن يمينه و شماله و من خلفه و أمامه، أشبه شى به أرجأ و نوراً و يتلوها أنوار من بعدها تستمدّ منها، و إذا هى شبيه بها فى ضيائها و عظمها و نشرها، ثم دنت منها فتكلّلت عليها و حفت بها، و نظر فإذا أنوار من بعد ذلك فى مثل عدد الكواكب و دون منازل الاوائل جداً جداً، و بعض هذه أضوء من بعض و هى فى ذلك متفاوتون جداً.

ثم طلع عليه سواد كالليل و كالسيل ينسلون من كلّ وجهه و أوب فأقبلوا كذلك حتى ملؤوا القاع و الأكم فإذا هم أقبح شىء صوراً و هيئته، و أنته ربحاً.

فبهر آدم عليه السلام ما رأى من ذلك، و قال: يا عالم الغيوب و غافر الذنوب، و يا ذا القدره الباهره و المشيئه الغالبه، من هذا الخلق السعيد الذى كرمت و رفعت على العالمين؟ و من هذه الأنوار المنيفه المكتنفه له؟

□
فأوحى الله عزّ و جلّ إليه:

يا آدم هذا و هؤلاء و وسيلتك و وسيله من أسعدت من خلقى، هؤلاء السابقون المقربون، و الشافعون المشفعون، و هذا أحمد سيدهم و سيّد بريتى، اخترته بعلمى و اشتقت اسمه من اسمى، فأنا المحمود و هو محمّد، و هذا صنوه و وصيه، آزرته به، و جعلت بركاتى و تطهيرى فى عقبه، و هذه سيده إمامى و البقيه فى علمى من أحمد نبى، و هذان السبطان و الخلفان لهم، و هذه الأعيان المضارع نورها أنوارهم، بقيه منهم، ألا إن كلّ اصطفيت و طهرت، و على كلّ باركت و ترحمت، فكلاً بعلمى جعلت قدوه عبادى و نور بلادى.

□
و نظر فإذا شيخ فى آخرهم يزهر فى ذلك الصفيح كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا، فقال الله تبارك و تعالى: و بعبدى هذا السعيد أفك عن عبادى الأغلال

و أضع عنهم الآصار، أملاً أرضى به حناناً و رأفةً و عدلاً كما ملئت من قبله قسوةً و قشعريهً و جوراً.

قال آدم عليه السلام: ربّ إنّ الكريم من كرمت، و إنّ الشريف من شرفت، و حقّ يا إلهي لمن رفعت و أعليت أن يكون كذلك.

فيا ذا النعم التي لا- تنقطع، و الإحسان الذي لا يجازى و لا ينفذ، بم بلغ عبادك هؤلاء العالون هذه المنزلة من شرف عطائك و عظيم فضلك و احبائك و كذلك من كرمت من عبادك المرسلين؟

□ □
قال الله تبارك و تعالى: إنّني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم، العزيز الحكيم، عالم الغيوب و مضمرات القلوب، أعلم ما لم يكن ممّياً يكون كيف يكون، و ما لا- يكون، و كيف لو كان يكون، و إنّني أطّلت يا عبدي في علمي على قلوب عبادي، فلم أر فيهم أطوع لي و لا أنصح لخلقى من أنبيائي و رسلي، فجعلت لذلك فيهم روي و كلمتي، و ألزمتهم عب حجّتي، و اصطفيتهم على البرايا برسالتى و وحيي، ثمّ ألقيت بمكاناتهم تلك في منازلهم حوائهم و أوصيائهم من بعدهم، و دائع حجّتي و الساده في بريّتي، لأجبر بهم كسر عبادي، و أقيم بهم أودهم، ذلك أنّي بهم و بقلوبهم لطيف خبير.

ثمّ أطّلت على قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد فيهم أطوع و لا أنصح لخلقى من محمّد خيرتي و خالصتي، فاخترته على علم و رفعت ذكره إلى ذكرى، ثم وجدت قلوب حامته اللاتى من بعده على صبغه قلبه، فألحقتهم به و جعلتهم ورثه كتابي و وحيي و أوكار حكمتي و نوري، و آليت بي ألا أعذب بنارى من لقيني معتصماً بتوحيدي و جبل مودّتهم أبداً.

ثمّ أمرهم أبو حارثه أن يصيروا إلى صحيفه شيث الكبرى التي انتهى

ميراثها إلى إدريس النبي عليه السلام، قال: و كان كتابتها بالقلم السرياني القديم، و هو الذي كتب به من بعد نوح عليه السلام من ملوك الهياطله، و هم النمارده، قال: فاقصص القوم الصحفيه و أفضوا منها إلى هذا الرسم، قال:

اجتمع إلى إدريس عليه السلام قومه و صحابته— و هو يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخبّرهم فيما اقتصص عليهم، قال: إن بنى أبيكم آدم عليه السلام الصليبه و بنى بنيه و ذريته اختصموا فيما بينهم، و قالوا: أي الخلق عندكم أكرم على الله عزّ و جلّ و أرفع لديه مكانه و أقرب منه منزله؟

فقال بعضهم: أبوكم آدم عليه السلام، خلقه الله عزّ و جلّ بيده، و أسجد له ملائكته، و جعله الخليفة في أرضه، و سخر له جميع خلقه.

و قال آخرون: بل الملائكه الذين لم يعصوا الله عزّ و جلّ.

و قال بعضهم: لا، بل رؤساء الملائكه الثلاثة جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل عليهم السلام.

و قال بعضهم: لا، بل أمين الله جبرئيل عليه السلام.

فانطلقوا إلى آدم فذكروا الذي قالوا و اختلفوا فيه، فقال: يا بنى أنا أخبركم بأكرم الخلائق جميعاً على الله عزّ و جلّ.

إنه و الله لما أن نفخ في الروح حتى استويت جالساً، فبرق لى العرش العظيم فنظرت فيه، فإذا فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله قال آدم عليه السلام فلان أمين الله فلان خيره الله عزّ و جلّ— فذكر عدّه أسماء مقرونه بمحمد صلى الله عليه و آله— ثم لم أر في السماء موضع أديم— أو قال: صفيح— منها إلما و فيه مكتوب: لا إله إلا الله، و ما من موضع فيه مكتوب لا إله إلا الله و فيه مكتوب، خلقاً لا خطأ: محمد رسول الله، و ما من موضع مكتوب فيه محمد رسول الله، إلا

و مكتوب: فلان خير الله، فلان صفوه الله، فلان أمين الله عزّ و جلّ فذكر عدّه أسماء تنتظم حساب المعدود-.

قال آدم عليه السلام: فمحمد صلّى الله عليه و آله- يا بنى- و من خطّ من تلك الأسماء معه أكرم الخلائق على الله جميعاً. □

ثمّ ذكر أنّ أبا حارثه سأل السيّد و العاقب أن يقفا على صلوات إبراهيم عليه السلام الذى جاء بها الأملاك من عند الله عزّ و جلّ، فقنعوا بما وقفوا عليه فى الجامعه، قال أبو حارثه: لا، بل شارفوها بأجمعها و اسبروها، فإنّه أصرم للغدور، و أرفع لحكه الصدور، و أجدر ألا ترتابوا فى الأمر من بعد. □

فلم يجد من المصير إلى قوله من بدّ، فعمد القوم إلى تابوت إبراهيم عليه السلام، قال: و فيه: و كان الله عزّ و جلّ بفضله على من يشاء من خلقه- قد اصطفى إبراهيم عليه بخلّته، و شرفه بصلواته و بركاته و جعله قبله و إماماً لمن يأتى من بعده، و جعل النبوه و الكتاب و الإمامه فى ذرّيته، يتلقاها آخر عن أول، و ورثه تابوت آدم عليه السلام المتضمّن للحكمه و العلم الذى فضله الله عزّ و جلّ به على الملائكه طراً. □

فنظر إبراهيم عليه السلام فى ذلك التابوت، فأبصر فيه بيوتاً بعدد ذوى العزم من الأنبياء المرسلين و أوصيائهم من بعدهم، و نظرهم فإذا بيت محمّد صلّى الله عليه و آله آخر الأنبياء، عن يمينه على بن أبى طالب أخذ بحجزته، فإذا شكل عظيم يتلأأ نوراً فيه هذا صنوه و وصيه المؤيد بالنصر.

فقال إبراهيم عليه السلام: إلهى و سيدى ! من هذا الخلق الشريف؟

فأوحى الله عزّ و جلّ: هذا عبدى و صفوتى، الفاتح الخاتم، و هذا وصيه الوارث. □

قال: ربّ ما الفاتح الخاتم؟

قال: هذا محمّد خيرتى، و بكر فطرتى، و حجّتى الكبرى فى برّيتى، نبأتته و اجتبّيته إذ آدم بين الطين و الجسد، ثمّ إنّى باعته عند انقطاع الزمان لتكملة دينى، و خاتم به رسالتى و نذرى، و هذا علىّ أخوه و صديقه الأكبر، آخيت بينهما و اخترتهما و صليت و باركت عليهما، و طهرتهما و أخلصتهما، و الأبرار منهما و ذريّتهما قبل أن أخلق سمائى و أرضى و ما فيهما من خلقى، و ذلك لعلمى بهم و بقلوبهم، إنّى بعبادى عليم خبير.

قال: و نظر إبراهيم عليه السلام فإذا اثنا عشر عظيماً تكاد تلاً لأشكالهم لحسنها نوراً، فسأل ربّه جلّ و تعالى و قال: ربّ نبئنى بأسماء هذه الصور المقرونة بصوره محمّد و وصيّيه؛ و ذلك لما رأى من رفيع درجاتهم و التحاقهم بشكلى محمّد و وصيّيه عليهم السلام، فأوحى الله عزّ و جلّ إليه:

هذه أمتى و البقيّه من نبّى، فاطمه الصديقه الزهراء، و جعلتها مع خليلها عصبه لذريّه نبّى هؤلاء، و هذا الحسنان، و هذا فلان، و هذا فلان، و هذا كلمتى التى أنشر به رحمتى فى بلادى، و به أنتاش دينى و عبادى ذلك بعد إياسٍ منهم و قنوطٍ منهم من غياثى، فإذا ذكرت محمّداً نبّى لصلواتك فصلّ عليهم معه يا إبراهيم.

قال: فعندها صلّى عليهم إبراهيم صلّى الله عليه و آله، فقال ربّ صلّ على محمّد و آله محمّد كما اجتبّيتهم و أخلصتهم إخلاصاً.

فأوحى الله عزّ و جلّ: لتهنك كرامتى و فضلى عليك، فإنّى صائر بسلاله محمّد صلّى الله عليه و آله و من اصطفيت معه منهم إلى قناه صلبك و مخرجهم منك ثمّ من بكرك إسماعيل، فابشر يا إبراهيم فإنّى واصلّ صلاتك بصلاتهم و متبع ذلك

بركاتى و ترخمى عليك و عليهم، و جاعل حنانى و حجتى إلى الأمد المعداد و اليوم الموعود، الذى أرث فيه سمائى و أرضى و أبعث له خلقى لفصل قضائى و إفاضه رحمتى و عدلى.

قال: فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ما أفضى إليه القوم من تلاوه ما تضمنت الجامعه و الصحف الدارسه من نعت رسول الله صلى الله عليه و صفه أهل بيته المذكورين معه بما هم به منه، و بما شاهدوا من مكانتهم عنده، ازداد القوم بذلك يقيناً و إيماناً و استطيروا له فرحاً.

قال: ثم صار القوم إلى ما نزل على موسى عليه السلام فألفوا فى السفر الثانى من التوراه: إنى باعث فى الأميين من ولد إسماعيل رسولاً، أنزل عليه كتابى و أبعثه بالشريعه القيمه إلى جميع خلقى، آتيته حكمتى و أيدته بملائكتى و جنودى، يكون ذريته من ابنه له مباركه، باركتها، ثم من شبلين لهما كإسماعيل و إسحاق، أصلين لشعبتين عظيمتين، أكثرهم جدّاً جدّاً، يكون منهم اثنا عشر قتيماً أكمل بمحمد صلى الله عليه و آله و بما أرسله به من بلاغ و حكمه دينى، و أختم به أنبيائى و رسلى، فعلى محمد صلى الله عليه و آله و أمته تقوم الساعه.

فقال حارثه: الآن أسفر الصبح لذى عينين، و وضح الحق لمن رضى به ديناً، فهل فى أنفسكم من مرض تستشفيان به؟!

فلم يرجعاً إليه قولاً، فقال أبو حارثه: اعتبروا الإمارة الخاتمه من قول سيدكم المسيح عليه السلام.

فصار إلى الكتب و الأناجيل التى جاء بها عيسى عليه السلام فألفوا فى المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام:

يا عيسى يا بن الطاهره البتول، اسمع قولى و جد فى أمرى، أتى خلقتك

من غير فحل، و جعلتك آية للعالمين، فيأى فاعبد و على فتوكل، و خذ الكتاب بقوه ثم فسره لأهل سوريا، و أخبرهم أنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم، الذى لا- أحول و لا- أزول، فأمنوا بى و برسولى النبى الأسمى الذى يكون فى آخر الزمان، نبى الرحمة و الملحمه، الأول و الآخر.

قال: أول النبیین خلقاً و آخرهم مبعثاً، ذلك العاقب الحاشر، فبشر به بنى إسرائيل.

قال عيسى عليه السلام: يا مالک الدهور و علم الغيوب، من هذا العبد الصالح الذى قد أحبته قلبى و لم تره عينى؟

قال: ذلك خالصتى و رسولى، المجاهد بيده فى سبيلى، و يوافق قوله فعله و سريره علانيته، أنزل عليه توراة حديثه أفتح بها أعيناً عمياً و آذاناً صمماً و قلوباً غلفاً، فيها ينابيع العلم و فهم الحكمة و ربيع القلوب، و طوباه طوبى أمته.

قال: رب ما اسمه و علامته؟ و ما أكل أمته- يقول ملك أمته-؟ و هل له من بقيه- يعنى ذريه-؟

قال: سأنبئك بما سألت، اسمه أحمد صلى الله عليه و آله، منتخبا من ذريه إبراهيم، و مصطفى من سلالة إسماعيل عليه السلام، ذو الوجه الأقر، و الجبين الأزهر، راكب الجمل، تنام عيناه و لا ينام قلبه، يبعثه الله فى أمه أميه ما بقى الليل و النهار، مولده فى بلد أبيه إسماعيل،- يعنى مکه-، كثير الأزواج قليل الأولاد، نسله من مباركه صديقه، يكون له منها ابنه لها فرخان سيدان يستشهدان، اجعل نسل أحمد منهما، فطوباهما و لمن أحبهما و شهد أيامهما فنصرهما.

قال عيسى عليه السلام: إلهى! و ما طوبى؟

قال: شجره في الجنة ساقها و أغصانها من ذهبٍ، و ورقها حلل، و حملها كشدى الأبيكار، أحلى من العسل و ألين من الزبد، و مأوها من تسنيم، لو أن غرباً طار و هو فرخ لأدركه الهرم من قبل أن يقطعها، و ليس منزل من منازل أهل الجنة إلّا و ظلّله فنن من تلك الشجره.

قال: فلما أتى القوم على دراسه ما أوحى الله عزّ و جلّ إلى المسيح عليه السلام من نعت محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله و صفته، و ملك أمته، و ذكر ذريّته و أهل بيته، أمسك الرجلان مخصومين، و انقطع التحاور بينهم في ذلك.

قال: فلما فلج حارثه على السيّد و العاقب بالجامعه و ما تبينوه في الصحف القديمه و لم يتمّ لهما ما قدّروا من تحريفها، و لم يمكنهما أن يلبسا على الناس في تأويلهما، أمسكا عن المنازعه من هذا الوجه، و علماً أنّهما قد أخطأ سبيل الصواب، فصارا إلى بيعتهم آسفين لينظرا و يرثيا، و فرع إليهما نصارى نجران، فسألوهما عن رأيهما و ما يعملان في دينهما، فقالا ما معناه: تمسّكوا بدينكم حتّى يكشف دين محمّد، و سنسير إلى بنى قريش إلى يثرب، و ننظر إلى ما جاء به و إلى ما يدعو إليه.

قال: فلما تجهّز السيّد و العاقب للسير إلى رسول الله بالمدينه، انتدب معهما أربعة عشر راكباً من نصارى نجران، هم من أكابرهم فضلاً و علماً في أنفسهم، و سبعون رجلاً من أشرف بنى الحرث بن كعب و سادتهم.

قال: و كان قيس بن الحصين ذو العصبه و يزيد بن عبد المدان ببلاد حضرموت، فقدما نجران على بقيه مسير قومهم فشخصا معهم فاغترز القوم في ظهور مطاياهم و جنبوا خيلهم و أقبلوا لوجههم حتّى وردوا المدينه.

قال: و لما استراث رسول الله صلّى الله عليه و آله خبر أصحابه أنفذ إليهم

خالد بن الوليد في خيل سرجها معه لمشاركه أمرهم، فألفوهم و هم عامدون إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله.

قال: و لَمَّا دنوا إلى المدينة أحبَّ السَّيِّدُ و العاقب أن يباهيا المسلمين و أهل المدينة بأصحابهما و بمن حفَّ من بني الحرث معهما، فاعترضاهم فقالا: لو كفتهم صدور ركابكم و مسستم الأرض فألقيتم عنكم تفتكهم و ثياب سفركم و شنتم عليكم من باقى مياهم كان ذلك أمثل، فانحدر القوم عن الركاب أفامطوا من شعثهم و ألقوا عنهم ثياب بذلتهم و لبسوا ثياب صونهم من الأنجميَّات و الحرير و الحبر و ذرّوا المسك في لمهمهم و مفارقتهم، ثم ركبوا الخيل، و اعترضوا بالرماح على مناسج خيلهم، و أقبوا يسيرون رزداً واحداً، و كانوا من أجمل العرب صوراً و أتمهم أجساماً و خلقاً، فلَمَّا تشرفهم الناس أقبوا نحوهم و قالوا: ما رأينا وفداً أجمل من هؤلاء.

فأقبل القوم حتّى دخلوا على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله في مسجده، و حانت صلاتهم فقاموا يصلّون إلى المشرق، فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفّهم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، ثم أمهلهم و أمهلوه ثلاثاً، فلم يدعهم و لم يسألوه لينظروا إلى هديه و يعتبروا ما يشاهدون منه ممّا يجدون من صفته.

فلَمَّا كان بعد ثلاثه دعاهم صَلَّى الله عليه و آله و سلّم إلى الإسلام.

فقالوا: يا أبا القاسم! ما أخبرتنا كتب الله عزّ و جلّ بشيءٍ من صفه النبيّ المبعوث بعد الروح عيسى عليه السلام إلّا و قد تعرّفناه فيك، إلّا خلّة هي أعظم الخلال آيةً و منزلةً، و أجلاها أمارهً و دلالةً.

قال: صَلَّى الله عليه و آله: و ما هي؟

قالوا: إنّنا نجد في الإنجيل من صفه النبيّ الغابر من بعد المسيح أنّه يصدّق

به و يؤمن به، و أنت تسبه و تكذب به و تزعم أنه عبد.

قال: فلم تكن خصومتهم و لا منازعتهم للنبي صلوات الله عليه و آله إلا في عيسى عليه السلام.

فقال النبي صلى الله عليه و آله: لا بل أصدقه و أصدق به و أؤمن به و أشهد أنه النبي المرسل من ربه عزّ و جلّ، و أقول: إنه عبد لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضرراً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً.

قالوا: و هل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل؟ و هل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدره القاهره؟! أ لم يكن يحيى الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص و يتبئهم بما يكتنون في صدورهم و ما يدخرون في بيوتهم؟ فهل يستطيع هذا إلا الله عزّ و جلّ أو ابن الله؟! و قالوا في الغلو فيه و أكثروا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فقال صلى الله عليه و آله: قد كان عيسى -أخي- كما قلت يحيى الموتى، و يبرئ الأكمه و الأبرص، و يخبر قومه بما في نفوسهم، و بما يدخرون في بيوتهم، و كل ذلك بإذن الله عزّ و جلّ، و هو لله عزّ و جلّ عبد، و ذلك عليه غير عار، و هو منه غير مستنكف، فقد كان لحماً و دماً و شعراً و عظماً و عصباً و أمشاجاً، يأكل الطعام و يظمأ و ينصب بأدبه، و ربّه الأحد الحقّ الذي ليس كمثله شيء و ليس له ند.

قالوا: فأرنا مثله من جاء من غير فحلّ و لا أب؟!!

قال: هذا آدم عليه السلام أعجب منه خلقاً، جاء من غير أب و لا أم، و ليس شيء من الخلق بأهون عليّ الله عزّ و جلّ في قدرته من شيء و لا أصعب، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، و تلا عليهم «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

قالا: فما زداد منك في أمر صاحبنا إلّا تبايناً، وهذا الأمر الذي لا نقّر لك، فهلمّ فلنلاعنك أينما أولى بالحقّ، فنجعل لعنه الله على الكاذبين، فإنّها مثله و آيه معجّله.

فأنزل الله عزّ وجلّ آيه المباهله على رسول الله صلّى الله عليه وآله «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَ آبَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» فتلا عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ما نزل عليه في ذلك من القرآن، فقال صلّى الله عليه وآله: إن الله قد أمرني [أن] أصير الى ملتكم، وأمري بمباهلتكم إن أقمتهم وأصررتهم على قولكم.

قالا: وذلك آيه ما بيننا وبينك، إذا كان غداً باهناك.

ثمّ قاما وأصحابهما من النصارى معهما، فلمّا أبعدا-وقد كانوا أنزلوا بالحزّه-أقبل بعضهم على بعض فقالوا: قد جاءكم هذا بالفصل من أمره وأمركم، فانظروا أولاً بمن يباهلكم، أبكافه أتباعه، أم بأهل الكتاب من أصحابه، أو بذوى التخشّع والتمسكن والصفوه ديناً وهم القليل منهم عدداً؟ فإن جاءكم بالكثرة وذوى الشدّه منهم، فإنما جاءكم مباهاياً كما يصنع الملوك، فالفلج إذن لكم دونه، وإن أتاكم بنفرٍ قليلٍ ذوى تخشّعٍ فهؤلاء سجيّه الأنبياء و صفوتهم و موضع بهلتهم، فإنّياكم والإقدام إذن على مباهلتهم، فهذه لكم أماره، وانظروا حينئذٍ ما تصنعون ما بينكم وبينه، فقد أعذر من أنذر.

فأمر صلّى الله عليه وآله بشجرتين فقصدتا وكسح ما بينهما، وأمهل حتّى إذا كان من الغد أمر بكساءٍ أسودٍ رقيقٍ فنشر على الشجرتين، فلمّا أبصر السيّد

و العاقب ذلك خرجا بولديهما صبغهما المحسن و عبد المنعم و ساره و مريم، و خرج معهما نصارى نجران، و ركب فرسان بنى الحرث بن الكعب فى أحسن هيئه، و أقبل الناس من أهل المدينه من المهاجرين و الأنصار و غيرهم من الناس فى قبائلهم و شعارهم من راياتهم و ألويتهم و أحسن شارتهم و هيئتهم، لينظروا ما يكون من الأمر، و لبث رسول الله صلى الله عليه و آله فى حجرته حتى متع النهار.

ثم خرج آخذاً بيد عليّ و الحسن و الحسين أمامه و فاطمه عليها السلام من خلفهم، فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين، فوقف من بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئه التى خرج بها من حجرته، فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعاه إليه من المباهله.

فأقبلا إليه فقالا: بمن تباهلنا يا أبا القاسم؟

قال: بخير أهل الأرض و أكرمهم على الله عزّ و جلّ، و أشار لهما إلى عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم. □

قالا: فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبر و لا من الكثر و لا أهل الشاره ممن نرى آمن بك و أتبعك! و ما نرى هاهنا معك إلا هذا الشابّ و المرأه و الصبيين! أ فبهؤلاء تباهلنا؟! □

قال صلى الله عليه و آله: نعم، أو لم أخبركم بذلك آنفاً، نعم بهؤلاء أمرت و الذى بعثنى بالحق أن أباهلكم.

فاصفارت حينئذ ألوانهما و حوكرها، و عادا إلى أصحابهما و موقفهما، فلما رأى أصحابهما ما بهما و ما دخلهما، قالوا: ما خطبكما؟! فتماسكا و قالوا: ما كان ثمه من خطبٍ فنخبركم.

و أقبل عليهم شابّ كان من خيارهم قد أوتى فيهم علماً، فقال ويحكم! لا

تفعلوا، واذكروا ما عثرتم عليه فى الجامعه من صفاته، فوالله إنكم لتعلمون حق العلم إنه لصادق، وإنما عهدكم ياخوانكم حديث قد مسخوا قردهً و خنازير.

فعلموا أنه قد نصح لهم فأمسكوا.

قال: و كان للمنذر بن علقمه أخى أسقفهم أبى حارثه **حِطَّ** من العلم فيهم يعرفونه له، و كان نازحاً عن نجران فى وقت تنازعهم، فقدم و قد اجتمع القوم على الرحله إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فشخص معهم، فلمّا رأى المنذر انتشار أمر القوم يومئذٍ و ترددهم فى رأيهم، أخذ بيد السيد و العاقب على أصحابه، فقال: أخلونى و هذين، فاعتزل بهما، ثمّ أقبل عليهما فقال: إنّ الرائد لا يكذب أهله، و أنا لكما حدّ شفيق، فإنّ نظرتما لأنفسكما نجيتما، و إن تركتما ذلك هلكتما و أهلكتما.

قالا: أنت الناصح حبيباً، المأمون عيباً، فهات.

قال: أ تعلمان أنه ما باهل قوم نبيّاً قط إلا كان مهلكهم كلمح البصر، و قد علمتما و كلّ ذى إرب من ورثه الكتب معكما أنّ محمداً أبا القاسم هذا هو الرسول الذى بشرت به الأنبياء عليهم السلام و أفصحت بيعتهم و أهل بيته الأمان.

و أخرى أنذر كما بها فلا تعشوا عنها !

قالا: و ما هى يا أبا المثنى؟

قال: انظرا إلى النجم قد استطلع إلى الأرض، و إلى خشوع الشجر و تساقط الطير بإزائكما لوجوههما، قد نشرت على الأرض أجنحتها، و فات ما فى حواصلها، و ما عليها لله عزّ و جلّ من تبعه، ليس ذلك إلا ما قد أظّل من العذاب.

و انظرا إلى اقشعرار الجبال، و إلى الدخان المنتشر و قزع السحاب !

ص: ٤٢٧

هذا، ونحن في حماره القيظ وإبان الهجير.

□
و انظروا إلى محمد صلى الله عليه وآله رافعاً يده والأربعة من أهله معه إنما ينتظر ما تجيبان به. ثم اعلّموا أنه إن نطق فوه بكلمه من بهله لم نتدارك هلاكاً، ولم نرجع إلى أهل ولا مالٍ.

□
ففظرا فأبصرا أمراً عظيماً فأيقنا أنه الحق من الله تعالى فزلزلت أقدامهما، وكادت أن تطيش عقولهما، واستشعرا أن العذاب واقع بهما.

فلما أبصر المنذر بن علقمه ما قد لقيا من الخيفه والرهبه قال لهما: إنكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله و آجله، وإن آثرتما دينكما و غضاره أيكتمكما و شححتما بمنزلتكما من الشرف في قومكما فليست أحجر عليكم الضنين بما نلتما من ذلك، ولكنكما بدهتما محمداً صلى الله عليه وآله بتطلب المباهله، وجعلتماها حجازاً و آيه بينكما و بينه، و شخصتما من نجران و ذلك من تألكما، فأسرع محمد صلى الله عليه وآله إلى ما بغيتما منه، و الأنبياء إذ أظهرت بأمر لم ترجع إلّا بقضائه و فعله، فإذا نكلتما عن ذلك و أذهلتكما مخافه ما تريان، فالحظ في النكول لكما.

فالوحا يا إختى الوحى، صالحا محمداً و أرضياه، و لا ترجيا ذلك، فإنكما و أنا معكما بمنزله قوم يونس لما غشيهم العذاب.

□
قالا: فكن أنت يا ابا المثنى الذى تلقى محمداً صلى الله عليه وآله بكفاله ما يبتغيه لدينا، و التمس لنا إليه ابن عمه هذا ليكون هو الذى يبرم الأمر بيننا و بينه، فإنه ذو الوجه و الزعيم عنده، و لا تبطن ما ترجع إلينا به.

□ □ □ □
و انطلق المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلّا الله الذى ابتعثك، و أنك و عيسى عبدان لله عزّ و جلّ مرسلان.

فأسلم و بلغه ما جاء له، فأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام لمصالحه القوم، فقال عليٌّ عليه السلام: بأبي أنت، علي ما أصالحهم؟

فقال له: رأيك يا أبا الحسن فيما تبرم معهم رأيي.

فصار إليهم فصالحاه علي ألف حلّه و ألف دينارٍ خرجاً في كلّ عام، يؤدّيان شرط ذلك في المحرم و شرطاً في رجب.

فصار عليٌّ عليه السلام بهما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام صاغرين، و أخبره بما صالحهما عليه و أقزّاه بالخرج و الصغار.

فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام: قد قبلت ذلك منكم، أمّا إنكم لو بالهتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجج، ثم لساقها الله عزّ و جلّ إلى من ورائكم في أسرع من طرف العين فحرقهم تأججاً.

فلما رجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام إلى مسجده هبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد! إن الله عزّ و جلّ يقرؤك السلام و يقول: إن عبدى موسى عليه السلام باهل عدوه قارون بأخيه هارون و بنيه، فخشفت بقارون و أهله و ما له و بمن آزره من قومه، و بعزّتي أقسم و بجلالي -يا أحمد- لو باهلت بك و بمن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض و الخلائق جميعاً لتقطعت السماء كسفاً و الجبال زبراً، و لساخت الأرض فلم تستقرّ أبداً إلّا أن أشاء ذلك.

فسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام على الأرض و وجهه، ثم رفع يديه حتّى تبين للناس عفره إبطيه، فقال: شكراً للمنعم -قالها ثلاثاً-.

فسئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام عن سجدته و عما رُئي من تباشير السرور في وجهه، فقال: شكراً لله عزّ و جلّ لما أبلاني من الكرامه في أهل بيتي، ثم حدّثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام» (١).

ص: ٤٢٩

و جاء في غير واحدٍ من الكتب أنّ عليّاً عليه السلام كتب لهم كتاباً بأمرٍ من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (١) و ذكر ابن شَبَّه و البلاذري و غيرهما نصّاً الكتاب، و يظهر منه أن القوم كانوا يحتفظون به، قال البلاذري: «و قال يحيى بن آدم: و قد رأيت كتاباً في أيدي النجرائين كانت نسخته شبيهةً بهذه النسخة و في أسفله: و كتب عليّ بن أبي طالب» (٢).

القربات يوم المباهلة:

و بما أن يوم المباهلة يوم أظهر الله فيه حقيقته نبوّه رسوله على النصارى، و أبان فيه مقام عليّ و أهل البيت للعالمين، فهو من أعظم الأعياد الإسلامية، و أشرف أيام سرور المؤمنين، و كان من واجب كلّ فردٍ أن يقوم بشكر هذه النعمة بما أمكنه من مظاهر الشكر...

و من هنا فقد ذكر هذا اليوم من مسارّ الشيعة، و هو اليوم الرابع و العشرين من ذي الحجة (٣).

و وردت فيه أعمال و قربات، من الغسل، و الصوم، و الصلاة، و الدعاء...

كما لا يخفى على من يراجع كتب هذا الشأن (٤).

ص: ٤٣٠

١- (١) و من ذلك أيضاً: سنن البيهقي ١٢٠: ١٠.

٢- (٢) فتوح البلدان: ٧٦-٧٧.

٣- (٣) مسارّ الشيعة- للشيخ المفيد: ٤١.

٤- (٤) مصباح المتهدّد: ٧٥٩-٧٦٧، اقبال الأعمال: ٨٤٤.

اشاره

و لَمَّا كَانَتْ قَضِيَّهَ الْمَبَاهِلِ، وَ نَزُولِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ دُونَ غَيْرِهِمْ، مِنْ أَسْمَى مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّالَّةِ عَلَى إِمَامَتِهِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ الْإِجَابَةِ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا سَنَرَى بِالتَّفْصِيلِ.

لكن هناك محاولات بالنسبه إلى أصل الخبر و متنه، الأمر الذي يدلّ على إذعان القوم بدلاله الحديث و بخوعهم بعدم الجدوى فيما يحاولونه من المناقشه فيها...
و تلك المحاولات هي:

١- الإخفاء و التعتيم على أصل الخبر:

فمن القوم من لا يذكر الخبر من أصله !! مع ما فيه من الأدله على النبوه و ظهور الدين الإسلامى على سائر الأديان... أذكر منهم ابن هشام (١) و تبعه ابن سيّد الناس (٢)، و الذهبى و هذه عبارته الثانى فى ذكر الوفود، و هى ملخص عبارته

ص: ٤٣١

١- (١) السيره النبويه لابن هشام ٢٣٩:٤.

٢- (٢) عيون الأثر فى المغازى و السير ٣٢٧:٢.

الأول:

«ثم بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلمَّ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم و إن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كلِّ وجه و يدعون إلى الإسلام، و يقولون: أيُّها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس و دخلوا في ما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، و كتب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلمَّ بذلك.

فكتب له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلمَّ أن يُقْبَلَ و يُقْبَلَ معه و فدهم، فأقبل و أقبل معه و فدهم، منهم قيس بن الحصين ذى الغصه... و أمر عليهم قيس ابن الحصين.

فرجعوا إلى قومهم في بقيه من شوال أو في ذى القعدة، فلم يمكثوا إلَّا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلمَّ» (١).

٢- الإخفاء و التعقيم على حديث المباهلة:

و هذا ما حاوله آخرون، منهم:

*البخارى - تحت عنوان: قصه أهل نجران، من كتاب المغازى -:

«حدَّثني عباس بن الحسين، حدَّثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي

ص: ٤٣٢

(١- ١) تاريخ الإسلام-المغازى:- ٦٩٥.

إسحاق، عن صله بن زفر، عن حذيفه، قال: جاء العاقب و السيد-صاحبنا نجران- إلى رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، يريدان أن يلاعنا. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن و لا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا و ابعث معنا رجلاً أميناً و لا تبعث معنا إلّا أميناً، فقال: لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين.

فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، فقال: قم يا أبا عبيده بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم: هذا أمين هذه الأمة.

حدّثنا محمّد بن بشار، حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبه، قال: سمعت أبا إسحاق، عن صله بن زفر، عن حذيفه رضى الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم فقالوا: ابعث لنا رجلاً أميناً. فقال: لأبعثنّ إليكم رجلاً أميناً حقّ أمين، فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيده بن الجراح (١).

أقول:

قد تقدّم حديث حذيفه بن اليمان، رواه القاضى الحسكاني بنفس السند...

لكنّ البخارى لم يذكر سبب الملاعنه! و لا نزول الآيه المباركه! و لا خروج النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم بعلى و فاطمه و الحسين عليهم السلام!

و لا يخفى التحريف فى روايته، و عبارته مشوّشه جداً، يقول: «جاء...

يريدان أن يلاعنا فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل» فقد جاء «يريدان أن

ص: ٤٣٣

يلاعناه» فلا بد و أن حدث شيء؟«فقال أحدهما لصاحبه...»فما الذي حدث؟!«

لقد أشار الحافظ ابن حجر في شرحه إلى نزول الآية و خروج النبي للملاعنه بأهل البيت عليهم السلام، لكنها إشارة مقتضبه جداً !!

ثم قال: «قالا: إنا نعطيك ما سألتنا» و النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يسأل شيئاً، و إنما دعاهما إلى الإسلام و ما جاء به القرآن، فأبيا، فأذنهم بالحرب، فطلبنا منه الصلح و إعطاء الجزية، فكتب لهما بذلك و كان الكاتب علياً عليه السلام.

ثم إن البخارى-بعد أن حذف حديث المباهله و أراد إخفاء فضل أهل الكساء-وضع فضيلة لأبى عبيده، بأنهما قالوا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم:

«ابعث معنا رجلاً أميناً» فبعث معهم أبا عبيده بن الجراح...

لكن في غير واحدٍ من الكتب أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أرسل إليهم علياً عليه السلام، و هذا ما تبّه عليه الحافظ و أراد رفع التعارض، فقال:

«وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي بعث علياً إلى أهل النجران ليأتيه بصدقاتهم و جزيتهم، و هذه القصة غير قصة أبى عبيده، لأن أبا عبيده توجه معهم فقبض مال الصلح و رجع، و علي أرسله النبي بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية و يأخذ ممن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة. و الله أعلم» (١).

قلت:

و لم أجد في روايات القصة إلا أنهما «أقرأ بالجزية»، التزما بدفع ما

ص: ٤٣٤

تضمّنه الكتاب الذي كتبه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم لهم، ومن ذلك: ألفا حلّه «في كلّ رجبٍ ألف»، وفي كلّ صفرٍ ألف» وهذه هي الجزية، وعلّيهما جرى أبو بكر وعمر، حتّى جاء عثمان فوضع عنهم بعض ذلك! وكان مما كتب: «إني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلّه لوجه الله!» (١).

ثم إن رجوعهما إلى قومهما كان في بقيته من شوال أو ذي القعدة (٢) فأين رجب؟! و أين صفر؟!!

فما ذكره الحافظ رفعا للتعارض ساقط.

ولعلّه من هنا لم تأت هذه الجملة في روايه مسلم، فقد روى الخبر عن أبي إسحاق، عن صله بن زفر، عن حذيفه، قال: «جاء أهل نجران إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله! ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً...» (٣).

ثم إنه قد تعددت أحاديث القوم في «أمانه أبي عبيده» حتّى أنّهم رووا بلفظ «أمين هذه الأمّة أبو عبيده»، وقد تكلمنا على هذه الأحاديث من الناحيتين -السند والدلالة- في كتابنا الكبير بالتفصيل (٤).

*ابن سعد، فيآته ذكر تحت عنوان «وفد نجران»: كتب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم إلى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم، أربعة عشر رجلاً من أشرفهم نصارى، فيهم العاقب وهو عبد المسيح... ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا،

ص: ٤٣٥

١-١ (١) فتوح البلدان: ٧٧.

٢-٢ (٢) عيون الأثر ٣٢٧: ٢، وغيره.

٣-٣ (٣) صحيح مسلم ٢٢٧/٢٤٢٠: ٤.

٤-٤ (٤) نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار ٣١٥: ١١-٣٣٨.

و كثر الكلام و الحجاج بينهم، و تلا عليهم القرآن، و قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ: إن أنكرتم ما أقول لكم فهَلِّمُوا أباهلكم، فانصرفوا على ذلك.

فعدا عبد المسيح و رجلان من ذوى رأيهم على رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ، فقال: قد بدا لنا أن لا نباهلك، فاحكم علينا بما أحببت نعطك و نصالحك، فصالحهم على...

و أشهد على ذلك شهوداً، منهم: أبو سفيان بن حرب، و الأقرع بن حابس، و المغيرة بن شعبه.

فرجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد و العاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ، فأسلما، و أنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري.

و أقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ حتى قبضه الله... (١).

* و قال الطبري - في ذكر الوفود في السنة العاشرة -: « و فيها قدم وفد العاقب و السيد من نجران، فكتب لهما رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ كتاب الصلح » (٢).

ثم قال في خروج الأمراء و العمال على الصدقات: « و بعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليه بجزيته » (٣).

* و قال ابن الجوزي: « و في سنة عشر من الهجرة أيضاً قدم العاقب و السيد من نجران، و كتب لهم رسول الله صَلَّى الله عليه [و آله] و سَلَّمَ كتاب

ص: ٤٣٦

١- ١) الطبقات الكبرى ٣٥٧: ١-٣٥٨.

٢- ٢) تاريخ الطبري ١٣٩: ٣.

٣- ٣) تاريخ الطبري ١٤٧: ٣.

*وقال ابن خلدون: «و فيها قدم وفد نجران النصارى، فى سبعين راكباً، يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كنده، و أسقفهم أبو حارثه من بكر بن وائل و السيد الأبيهم، و جادلوا عن دينهم، فنزل صدر سوره آل عمران، و آيه المباهله، فأبوا منها، و فرقوا و سألوا الصلح، و كتب لهم به على ألف حلّه فى صفر و ألف فى رجب، و على دروع و رماح و خيل و حمل ثلاثين من كلّ صنف، و طلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيده بن الجراح، ثم جاء العاقب و السيد و أسلما» (٢).

٣- الإخفاء و التعتيم على اسم على !!

و حاول آخرون منهم أن يكتموا اسم على عليه السلام:

*فحذفوا اسمه من الحديث، كما فى الروايه عن جد سلمه بن عبد يشوع المتقدمه.

*بل تصرّف بعضهم فى حديث مسلم و أسقط منه اسم «على» كما سيأتى عن «البحر المحيط»!!

*و البلاذرى عنون فى كتابه «صلح نجران» و ذكر القصه، فقال:

«فأنزل الله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - إلى قوله: - الْكَافِرِينَ» فقرأها

ص: ٤٣٧

١-١) المنتظم فى تاريخ الأمم - حوادث السنه العاشره - ٤:٣.

٢-٢) تاريخ ابن خلدون ٨٣٦:٤-٨٣٧.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم عليهما، ثم دعاهما إلى المباهلة، وأخذ بيد فاطمه و الحسن و الحسين، فقال أحدهما لصاحبه: اصعد الجبل و لا تباهله، فإنك إن باهلته يؤت باللعنة. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن نعطيه الخراج و لا تباهله...» (١).

*و ابن القيم اقتصر على روايه جَدِّ سلمه، و لم يورد اللفظ الموجود عند مسلم و غيره، قال: «و روينا عن أبي عبد الله الحاكم، عن الأَصَمِّ، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن سلمه بن عبد يوشع، عن أبيه، عن جده، -قال يونس: و كان نصرانياً فأسلم-: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم كتب إلى أهل نجران...» فحكى القصه إلى أن قال:

«فلما أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن و الحسين رضي الله عنهما في خميل له و فاطمه رضي الله عنها تمشي عند ظهره للمباهلة، و له يومئذٍ عدّه نسوه...» (٢).

*و كذا فعل ابن كثير في تاريخه... (٣).

*و اختلف النقل عن الشعبي على أشكال:

أحدها: روايته عن جابر بن عبد الله، و فيها نزول الآية في علي و فاطمه و الحسين.

و الثاني: روايته الخبر مع حذف اسم علي!! رواه عنه جماعه و عنهم السيوطي، و قد تقدّم.

ص: ٤٣٨

١- ١) فتوح البلدان: ٧٥-٧٦.

٢- ٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ٣: ٦٣٣.

٣- ٣) البدايه و النهايه ٥٣: ٥.

و جاء عند الطبري بعد الخبر عن ابن حميد، عن جرير، عن مغيره، عن الشعبي؛ و ليس فيه ذكر عليّ: «حدّثنا ابن حميد، قال ثنا جرير، قال: فقلت للمغيره: إنّ الناس يروون في حديث أهل نجران أنّ عليّاً كان معهم!

فقال: أمّا الشعبي فلم يذكره، فلا أدري لسوء رأى بنى أمّيه في عليّ، أو لم يكن في الحديث» (١).

و الثالث: روايته الخبر مع حذف اسم عليّ! و إضافه «و ناس من أصحابه»!! و هو ما نذكره:

٤- حذف اسم عليّ و زياده «و ناس من أصحابه»:

و هذا الخبر لم أجده إلّا عند ابن شُبّه، عن الشعبي، حيث قال:

«حدّثنا أبو الوليد أحمد بن عبد الرحمن القرشي، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الفزاري، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: قدم وفد نجران، فقالوا لرسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم:

أخبرنا عن عيسى... قال: فأصبح رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و غدا حسن و حسين و فاطمه و ناس من أصحابه، و غدوا إلى رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم فقالوا: ما للملاعنه جئناك، و لكن جئناك لتفرض علينا شيئاً تؤدّيه إليك...» (٢).

فإذا كان المراد من «و غدا حسن...» أنّهم خرجوا مع رسول الله ليباهل

ص: ٤٣٩

١-١) جامع البيان في تفسير القرآن ٢١١:٣.

١-٢) تاريخ المدينة المنوره ٥٨١:١-٥٨٢.

بهم، فقد أخرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل بيته «ناساً من الصحابه»!!

و إذا كان قد خرج مع النبي «ناس من أصحابه» فلما ذا لم يجعل الراوى علياً منهم في الأقل!!

لكنّ الشعبي -إن كانت هذه التحريفات منه لا من الرواه عنه- معروف بنزعتة الأمويه، و لعلّ في أحد الروايات التي نقلناها سابقاً - عن تفسير الطبرى - إشارة إلى ذلك... و قد كان الشعبي أمين آل مروان، و قاضى الكوفه في زمانهم، و كان نديماً لعبد الملك بن مروان مقرباً إليه، و كلّ ذلك و غيره مذکور بترجمته في الكتب، فلتراجع.

٥- التحريف بزياده «عائشه و حفصه»:

و هذا اللفظ وجدته عند الحلبي، قال: «و في لفظ: أنّهم و ادعوه على الغد، فلما أصبح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقبل و معه حسن و حسين و فاطمه و عليّ رضي الله عنهم و قال: اللهم هؤلاء أهلي...»

و عن عمر رضي الله عنه، أنّه قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لو لاعتنهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: آخذ بيد عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين و عائشه و حفصه.

و هذا- أي زياده عائشه و حفصه - دلّ عليه قوله تعالى: «وَ نِسَاءُ نَا وَ نِسَاءُ كُمْ» و صالحوه... (١).

ص: ٤٤٠

٦- التحريف بحذف «فاطمه» وزيادة: «أبي بكر و ولده و عمر و ولده و عثمان و ولده»:

و هذا لم أجده إلا عند ابن عساكر، و بترجمه عثمان بالذات ! من تاريخه، قال:

«أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، أنبأ أبو الفضل بن الكريدي، أنبأ أبو الحسن العتيقي، أنبأ أبو الحسن الدارقطني، أنبأ أبو الحسين أحمد بن قاج، أنبأ محمد بن جرير الطبري - إملاءً علينا - أنبأ سعيد بن عنبسه الرازي، أنبأ الهيثم بن عدى، قال:

سمعت جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية «تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ».

قال: فجاء بأبي بكر و ولده، و بعمر و ولده، و بعثمان و ولده، و بعلي و ولده» (١).

و رواه عنه: السيوطي (٢) و الشوكاني (٣) و الألوسي (٤) و المراغي (٥) ساكتين عنه !! نعم قال الألوسي: «و هذا خلاف ما رواه الجمهور».

أقول:

كانت تلك محاولات القوم في قبال حديث المباهله، و تلاعباتهم في

ص: ٤٤١

١- (١) تاريخ مدينه دمشق - ترجمه عثمان بن عفان - ١٧٧: ٣٩.

٢- (٢) الدر المنثور ٢: ٢٣٣.

٣- (٣) فتح القدير ١: ٣٤٨.

٤- (٤) روح المعاني ١٩٠: ٤.

٥- (٥) تفسير المراغي ١٧٥: ٣.

لفظه...بغض النظر عن تعابير بعضهم عن الحديث ب«قيل»و«روى»و نحو ذلك ممّا يقصد منه الاستهانه به عاده.

هذا،و الأليق بنا ترك التكلم على هذه التحريفات-زياده و نقيصه- لوضوح كونها من أيد أمويه،تحاول كتم المناقب العلويه،لعلمهم بدلالاتها على مزايا تقتضى الأفضليته،كما حاولت في (حديث الغدير)و(حديث المنزله) و نحوهما.

و في (حديث المباهله)أرادوا كتم هذه المزيه،و لو بترك ذكر أصل القضيّه ! أو بحذف اسم عليّ أو فاطمه الزكيه،...

و لو لا دلالة الحديث على الأفضليه-كما سيأتي-لما زاد بعضهم«عائشه و حفصه»إلى جنب فاطمه !!

بل أراد بعضهم إخراج الحديث عن الدلاله بانحصار هذه المزيه في أهل البيت عليهم السلام،فوضع على لسان أحدهم-و هو الإمام الباقر،يرويه عنه الإمام الصادق-ما يدلّ على كون المشايخ الثلاثة في مرتبه عليّ،و أن ولداهم في مرتبه ولده !!

وضعوه على لسان الأئمّه من أهل البيت عليهم السلام ليروج على البسطاء من الناس !!

و كم فعلوا من هذا القبيل على لسان أئمّه أهل البيت عليهم السلام و أولادهم،في الأبواب المختلفه من التفسير و الفقه و الفضائل
(1)!

ص: ٤٤٢

١-١) ذكرنا في بعض بحوثنا المنشوره نماذج من ذلك،و يا حبذا لو تُجمع و تُنشر في رساله مفرده،و الله الموفق.

إنّ ما رواه ابن عساكر لم يخرج له أحد من أرباب الصحاح و المسانيد و المعاجم، و لا يقاوم -بحسب قواعد القوم- ما أخرجه أحمد و مسلم و الترمذى و غيرهم، و نصّ الحاكم على تواتره، و غيره على ثبوته.

بل إنّ هذا الحديث لم يعأ به حتّى مثل ابن تيميّه المتشبّث بكلّ حشيش !

إنّ هذا الحديث كذب محض، باطل سنداً و متناً... و لتكلّم على اثنين من رجاله:

١- سعيد بن عنبسه الرازى:

ليس من رجال الصحاح و السنن و نحوها، و هو كذاب، ذكره ابن أبى حاتم فقال: «سعيد بن عنبسه، أبو عثمان الخزّاز الرازى... سمع منه أبى و لم يحدث عنه، و قال: فيه نظر.

حدّثنا عبد الرحمن، قال: سمعت على بن الحسين، قال: سمعت يحيى بن معين -و سئل عن سعيد بن عنبسه الرازى- فقال: لا أعرفه.

فقيل: إنّّه حدّث عن أبى عبيده الحداد حديث و الان؟ فقال: هذا كذاب.

حدّثنا عبد الرحمن، قال: سمعت على بن الحسين يقول: سعيد بن عنبسه كذاب.

سمعت أبى يقول: كان لا يصدق» (١).

٢- الهيثم بن عدى:

و قد اتفقوا على أنّه كذاب.

قال ابن أبى حاتم: «سئل يحيى بن معين عن الهيثم بن عدى، فقال: كوفى

ص: ٤٤٣

و ليس بثقه، كذاب.

سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث» (١).

و أورده ابن حجر الحافظ في (لسانه) فذكر الكلمات فيه:

البخارى: ليس بثقه، كان يكذب.

يحيى بن معين: ليس بثقه، كان يكذب.

أبو داود: كذاب.

النسائي و غيره: متروك الحديث.

ابن المديني: لا أرضاه في شيء.

أبو زرعه: ليس بشيء.

العجلي: كذاب.

الساجي: كان يكذب.

أحمد: صاحب أخبار و تدليس.

الحاكم و النقاش: حدّث عن الثقات بأحاديث منكره.

محمود بن غيلان: أسقطه أحمد و يحيى و أبو خيثمه.

ذكره ابن السكن و ابن شاهين و ابن الجارود و الدارقطني في الضعفاء.

كذب الحديث - لكون الهيثم فيه - جماعه كالطحاوي في «مشكل الحديث» و البيهقي في «السنن» و النقاش و الجوزجاني في ما صنفا من الموضوعات (٢).

ص: ٤٤٤

١- ١) الجرح و التعديل ٩: ٨٥.

٢- ٢) لسان الميزان ٦: ٢٠٩.

أقول:

هب أنّ ابن عساكر روى هذا الخبر الموضوع فى كتابه «تاريخ دمشق» فإنّ هذا الكتاب فيه موضوعات كثيره، كما نصّ عليه ابن تيميه (1) وغيره، فما بال السيوطى و من تبعه يذكرونه بتفسير القرآن الكريم و بيان المراد من آيه من كلام الله الحكيم؟!!!

ص: ٤٤٥

١-١) منهاج السنّه ٤:٤٠.

إشاره

«اعلم أنّ يوم مباحله النبيّ صلوات الله عليه وآله لنصاري نجران كان يوماً عظيماً الشان، اشتمل على عدّه آيات و كرامات.

فمن آياته: إنّه كان أوّل مقام فتح الله جلّ جلاله فيه باب المباحله الفاصله في هذه المله الفاصله عند جحود حججه و بيناته.

و من آياته: إنّه أول يوم ظهرت لله جلّ جلاله و لرسوله صلوات الله عليه وآله العزّه بإلزام أهل الكتاب من النصاري الذلّه و الجزيه، و دخولهم عند حكم نبوته و مراداته.

و من آياته: إنّه كان أول يوم أحاطت فيه سرادقات القوه الإلهيه و القدره النبويه بمن كان يحتج عليه بالمعقول و المنقول و المنكرين لمعجزاته.

و من آياته: إنّه أول يوم أشرقت شموسه بنور التصديق لمحمد صلوات الله عليه من جانب الله جلّ جلاله بالتفريق بين أعدائه و أهل ثقاته.

و من آياته: إنّه يوم أظهر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله تخصيص أهل بيته بعلو مقاماتهم.

و من آياته: إنّه يوم كشف الله جلّ جلاله لعباده أن الحسن و الحسين عليهما أفضل السلام، مع ما كانا عليه من صغر السنّ -أحقّ بالمباحله من صحابه

رسول الله صلوات الله عليه و المجاهدين في رسالاته.

و من آياته: إنه يوم أظهر الله جلّ جلاله فيه أنّ ابنته المعظمه فاطمه صلوات الله عليها أرجح في مقام المباهله من أتباعه و ذوى الصلاح من رجاله و أهل عناياته.

و من آياته: إنه يوم أظهر الله جلّ جلاله فيه أنّ مولانا على بن أبى طالب نفس رسول الله صلوات الله عليهما، و إنه من معدن ذاته و صفاته، و أن مراده من مراداته، و أنّ افترت الصوره فالمعنى واحد في الفضل من سائر جهاته.

و من آياته: إنه يوم وسم كلّ من تأخر عن مقام المباهله بوسم يقتضى أنّه دون من قدم عليه في الاحتجاج لله عز و جل و نشر علاماته.

و من آياته: إنه يوم لم يجر مثله قبل الإسلام في ما عرفنا من صحيح النقل و رواياته.

و من آياته: إنه يوم أخرس ألسنه الدعوى، و عرس في مجلس منطق الفتوى بأنّ أهل المباهله أكرم على الله جلّ جلاله من كلّ من لم يصلح لما صلحوا له من المتقربين بطاعته و عباداته.

و من آياته: إن يوم المباهله يوم بيان برهان الصادقين الذين أمر الله جلّ جلاله باتباعهم في مقدس قرآنه و آياته.

و من آياته: إن يوم المباهله يوم شهد الله جلّ جلاله لكلّ واحد من أهل المباهله بعصمته مدّه حياته.

و من آياته: إن يوم المباهله أقرب في تصديق صاحب النبوه و الرساله من التحدّى بالقرآن، و أظهر في الدلاله، الذين تحدّاهم صلوات الله عليه بالقرآن

قالوا: «لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا» (١)، وإن كان قولهم في مقام البهتان. و يوم المباهله ما أقدموا على دعوى الجحود للعجز عن مباهله لظهور حجته و علاماته.

□
و من آياته: إنه يوم أطفأ الله به نار الحرب، و صان وجوه المسلمين من الجهاد و الكرب، و خلصهم من هيجان المخاطره بالنفوس و الرءوس، و عتقها من رق الغزو و البؤس لشرف أهل المباهله الموصوفين فيها بصفاته.

و من آياته: إن البيان و اللسان و الجنان اعترفوا بالعجز عن كمال كراماته» (٢).

□
و استدلل علماء الإماميه بآيه المباهله، و أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم دعا إليها الإمام علياً و فاطمه و الحسن و الحسين فقط... على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام.

*استدلال الإمام الرضا عليه السلام:

و أقياً وجه دلاله الآيه على الإمامه، فإن الإماميه أخذت ذلك من الإمام أبي الحسن علي الرضا عليه السلام، فقد قال الشريف المرتضى الموسوى طاب ثراه:

□
«حدّثنى الشيخ -أدام الله عزّه- أيضاً، قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام:

ص: ٤٤٨

١- ١) سورة الأنفال ٣١: ٨.

٢- ٢) إقبال الأعمال: ٨٤٢.

أخبرني بأكبر فضيله لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن.

قال: فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهله، قال الله جلّ جلاله:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ».

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين فكانا ابنيه، و دعا فاطمه فكانت في هذا الموضع -نساءه، و دعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ.

و قد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجلّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و افضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الله عزّ وجلّ.

قال: فقال له المأمون: أ ليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع، و إنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه خاصه، و ذكر النساء بلفظ الجمع، و إنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وحدها. فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه و يكون المراد نفسه في الحقيقه دون غيره، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟!!

قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت -يا أمير المؤمنين - ذلك أنّ الداعي إنما يكون داعياً لغيره، كما يكون الأمر أمراً لغيره، و لا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقه، كما لا يكون أمراً لها في الحقيقه، و إذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً في المباهله إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه، و جعل حكمه ذلك في تنزيهه.

قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال» (١).

* وقال الشيخ المفيد- بعد أن ذكر القصة-: «و في قصة أهل نجران بيان عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام، مع ما فيه من الآيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمعجز الدال على نبوته.

ألا- ترى إلى اعتراف النصارى له بالنبوه، وقطعه عليه السلام على امتناعهم من المباهله، و علمهم بأنهم لو باهلوه لحل بهم العذاب، وثقتة عليه وآله السلام بالظفر بهم و الفلج بالحجّه عليهم، وأنّ الله تعالى حكم في آيه المباهله لأمر المؤمنين عليه السلام بأنّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهايه الفضل، و مساواته للنبي عليه وآله السلام في الكمال و العصمه من الآثام، وأنّ الله جل ذكره جعله و زوجته و ولديه- مع تقارب سنّهما- حجّه لنبيّه عليه وآله السلام و برهاناً على دينه، و نصّ على الحكم بأنّ الحسن و الحسين أبناؤه، و أنّ فاطمه عليها السلام نساؤه المتوجّه إليهن الذكر و الخطاب في الدعاء إلى المباهله و الاحتجاج؟!»

و هذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمّه، و لا قاربهم فيه و لا ماثلهم في معناه، و هو لاحق بما تقدّم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصه به، على ما ذكرناه» (٢).

* و هكذا استدلل الشريف المرتضى، حيث قال: «لا شبهه في دلالة آيه المباهله على فضل من دعى إليها و جعل حضوره حجّه على المخالفين،

ص: ٤٥٠

١-١) الفصول المختاره من العيون و المحاسن: ٣٨.

٢-٢) الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد ١: ١٦٩.

و اقتضائها تقدّمه على غيره؛ لأنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجّه فيه إلّا من هو في غايه الفضل و علوّ المنزله.

و قد تظاهرت الروايه بحديث المباهله، و أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم دعا إليها أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و أجمع أهل النقل و أهل التفسير على ذلك...

و نحن نعلم أن قوله «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» لا يجوز أن يعنى بالمدعو فيه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم لأنّه هو الدّاعي، و لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، و إنّما يصحّ أن يدعو غيره، كما لا يجوز أن يأمر نفسه و ينهاها، و إذا كان قوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» لا بدّ أن يكون إشارة إلى غير الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم، و يجب أن يكون إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين و غير زوجته و ولديه عليهم السلام في المباهله» (١).

*و قال الشيخ الطوسي: «أحد ما يستدل به على فضله عليه السلام، قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...» إلى آخر الآية.

و وجه الدلالة فيها: أنّه قد ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم دعا أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام إلى المباهله، و أجمع أهل النقل و التفسير على ذلك، و لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجّه إلّا من هو في غايه الفضل و علوّ المنزله، و نحن نعلم أن قوله: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ»

ص: ٤٥١

لا يجوز أن يعنى بالمدعو فيه النبى صلى الله عليه وآله و سلم؛ لأنه هو الداعى، و لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره، كما لا يجوز أن يأمر نفسه و ينهاها.

و إذا كان قوله: «وَ أَنْفُسِنَا وَ أَنْفُسِكُمْ» لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول، و يجب أن يكون إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين و غير زوجته و ولديه عليهم السلام فى المباهله...» (١).

و قال بتفسير الآيه: «و استدلل أصحابنا بهذه الآيه على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابه من وجهين:

أحدهما: إن موضوع المباهله لىتميز المحقق من المبطل، و ذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن، مقطوعاً على صحه عقيدته، أفضل الناس عند الله.

و الثانى: إنه صلى الله عليه وآله و سلم جعله مثل نفسه بقوله: «أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ...» (٢).

* و قال الإربلى: «فى هذه القضية بيان لفضل على عليه السلام، و ظهور معجز النبى صلى الله عليه وآله و سلم، فإنّ النصارى علموا أنهم متى باهلوهم حل بهم العذاب، فقبلوا الصلح و دخلوا تحت الهدنه، و إن الله تعالى أبان أنّ علياً هو نفس رسول الله كاشفاً بذلك عن بلوغه نهايه الفضل، و مساواته للنبى صلى الله

ص: ٤٥٢

١-١) تلخيص الشافى ٦:٣-٧.

٢-٢) التبيان فى تفسير القرآن ٤٨٥:٢.

عليه وآله وسلم في الكمال والعصمه من الآثام، وإن الله جعله و زوجته و ولديه - مع تقارب سنّهما - حجّجه لنبّيه صلّى الله عليه وآله وسلم و برهاناً على دينه، ونصّ على الحكم بأن الحسن و الحسين أبناؤه، و أن فاطمه عليها السلام نساؤه و المتوجّه إليهنّ الذكر و الخطاب في الدّعاء إلى المباهله و الاحتجاج؛ و هذا فضل لم يشاركهم فيه أحد من الأمّه و لا قاربهم» (١).

* و قال البياضى: «و لأنّه مساوٍ للنبىّ الذى هو أفضل، فى قوله «أَنْفُسُنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» و المراد: المماثله، لامتناع الاتّحاد» (٢).

* و قال المحقّق نصير الدين الطوسى - فى أنّ عليّاً أفضل الصحابه -:

«و لقوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا».

* فقال العلّامة الحلّى بشرحه: «هذا هو الوجه الثالث الدالّ على أنّه عليه السلام أفضل من غيره، و هو قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا...».. و اتّفق المفسّرون كافّه أن الأبناء إشارة إلى الحسن و الحسين عليهما السلام و النساء إشارة إلى فاطمه عليها السلام، و الأنفس إشارة إلى عليّ عليه السلام.

و لا يمكن أن يقال: إنّ نفسهما واحده؛ فلم يبق المراد من ذلك إلّا المساوى، و لا شك فى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أفضل الناس، فمساويه كذلك أيضاً» (٣).

* و قال العلّامة الحلّى: «أجمع المفسرون على أنّ «أَبْنَاءَنَا» إشارة إلى الحسن و الحسين، و «أَنْفُسَنَا» إشارة إلى عليّ عليه السلام. فجعله الله نفس

ص: ٤٥٣

١- ١) كشف الغمّه فى معرفه الأئمّه ٢٣٣: ١.

٢- ٢) الصراط المستقيم إلى مستحقّى التقديم ٢١٠: ١.

٣- ٣) كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: ٤١١.

محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمراد المساواه، و مساوى الأكمل الأولى بالتصريف أكمل و أولى بالتصريف، وهذه الآيه أدلّ دليل على علوّ رتبه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه تعالى حكم بالمساواه لنفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنّه تعالى عينه فى استعانه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى الدعاء. و أى فضيله أعظم من أن يأمر الله نبيه بأن يستعين به على الدعاء اليه و التوسّل به؟! و لمن حصلت هذه المرتبه؟! (١).

أقول:

و على هذا الغرار كلمات غيرهم من علمائنا الكبار فى مختلف الأعصار...

فإنهم استدّلوا على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بطائفتين من الأدلّه، الأولى هى النصوص، و الثانية هى الداله على الأفضليّه، و الأفضليّه مستلزمه للإمامه، و هو المطلوب.

و خلاصه الاستدلال بالآيه هو:

١- إن الآيه المباركه نصّ فى إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّها تدلّ على المساواه بين النبى و بينه عليه السلام، و مساوى الأكمل الأولى بالتصريف، أكمل و أولى بالتصريف.

٢- إن قضيه المباهله و ما كان من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قولاً و فعلاً- تدلّ على أفضليه أمير المؤمنين عليه السلام، و ذلك لوجوه منها:

أولاً: إن هذه القضيه تدلّ على أن علياً و فاطمه و الحسين عليهم السلام،

ص: ٤٥٤

١-١) نهج الحقّ و كشف الصدق: ١٧٧.

أحبّ الناس إلى رسول الله، والأحبيه تستلزم الأفضليه.

وقد اعترف المحققون من أهل السنّه بالدلاله هنا على الأحبيه.

قال البيضاوى: «أى يدع كلّ منّا ومنكم نفسه و أعزّه أهله و ألصقهم بقلبه إلى المباهله...».

فقال الشهاب الخفاجى فى حاشيته: «ألصقهم بقلبه، أى: أحبهم و أقربهم إليه».

وقال: «قوله: و إنّما قدّمهم...، يعنى: أنّهم أعزّ من نفسه، و لذا يجعلها فداءً لهم، فلذا قدّم ذكرهم اهتماماً به. و أمّا فضل آل الله و الرسول فالنهار لا يحتاج إلى دليل» (١).

و كذا قال الخطيب الشربيني (٢)، و الشيخ سليمان الجمل (٣)، و غيرهما.

و قال القارى: «فتزله منزله نفسه لما بينهما من القرابه و الأخوه» (٤).

و ثانياً: دلالة فعل النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، إذ باهل خصومه بعلى و فاطمه و حسن و حسين فقط، و لم يدع واحدهً من أزواجه، و لا واحداً من بنى هاشم، و لا امرأهً من أقربائه... فضلاً عن أصحابه و قومه... فإنّه يدلّ على عظمه الموقف، و جلاله شأن هؤلاء عند الله دون غيرهم، إذ لو كان لأحدهم فى المسلمين مطلقاً نظير، لم يكن لتخصيصهم بذلك وجه.

و ثالثاً: دلالة قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأهل البيت، لما أخرجهم

ص: ٤٥٥

١-١) حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوى ٣:٣٢.

٢-٢) السراج المنير فى تفسير القرآن ١:٢٢٢.

٣-٣) الجمل على الجلالين ١:٢٨٢.

٤-٤) مرقاه المفاتيح ٥:٥٨٩.

للمباهله: «إذا أنا دعوت فأمنوا».

فقال أسقفهم: «إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من جباله لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة» (١).

فإن ذلك يدل على دخل لهم في ثبوت نبوته وصدق كلامه، وفي إذلال الخصوم و هلاكهم لو باهلوا...، فكان لهم الأثر الكبير و السهم الجزيل في نصره الدين و رسول رب العالمين. و لا ريب أن من كان له هذا الشأن في مباهله الأنبياء كان أفضل ممن ليس له ذلك.

قال القاشاني: «إن لمباهله الأنبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس و تأييد الله إياهم به، و هو المؤثر بإذن الله في العالم العنصري، فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا بالهيئات الواردة عليه، كالغضب، و الحزن، و الفكر في أحوال المعشوق، و غير ذلك من تحرك الاعضاء عند حدوث الإرادات و العزائم، و انفعال النفوس البشريه منه كانفعال حواسنا و سائر قوانا من هيئات أرواحنا، فإذا اتصل نفس قدسي به كان تأثيرها في العالم عند التوجه الإتصالي تأثير ما يتصل به، فتتفاعل أجرام العناصر و النفوس الناقصه الإنسانيه منه بما أراد».

ألم تر كيف انفعلت نفوس النصاري من نفسه عليه السلام بالخوف، و أحجمت عن المباهله و طلبت الموادعه بقبول الجزيه؟» (٢).

ص: ٤٥٦

١ - ١) الكشاف ٥٦٥:١، تفسير الخازن ٢٥٤:١، السراج المنير في تفسير القرآن ٢٢٢:١، المراغي ١٧٥:٣، و غيرهم ممن تقدم أو تأخر.

٢ - ٢) تفسير القاسمي ١١٣:٤.

أقول: فكان أهل البيت عليهم السلام شركاء مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا التَّأثير العَظِيمِ، وَهَذِهِ مَرْتبَةٌ لَمْ يَبْلُغْ عَشْرَ مَعشَارِهَا غَيْرَهُمْ مِنَ الأَقْرَبَاءِ وَالأَصْحَابِ.

وَعلَى الجَمَلِ، فَإِنَّ المَبَاهِلَةَ تَدَلُّ عَلَى أَفضَلِيهِ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالأَفْضَلُ هُوَ المَتَعِينُ للإِمَامَةِ بِالأِئْتِافِاقِ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَمَا اعْتَرَفَ بِهِ حَتَّى مِثْلَ ابنِ تيمِيَّةَ (١).

وَنتيجه الإِستِدلالُ بِالأَيَةِ المَبَارَكَةِ وَما فَعَلَهُ النَبِيُّ وَقَالَ، هُوَ أَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ رَسولَهُ بِأَنْ يَسْمِيَ عَلِيًّا نَفْسَهُ كَمَا يَبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ الَّذِي يَتْلُوهُ وَيقومُ مَقامَهُ فِي الإِمَامَةِ الكَبيرِ وَالوَلايَةِ العَامَّةِ؛ لِأَنَّ غيرَ الوَاجِدِ لِهَذِهِ المَناصِبِ لا يَأْمُرُ اللهُ رَسولَهُ بِأَنْ يَسْمِيَ نَفْسَهُ.

هَذَا، وَفِي الأَيَةِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّ «الحَسَنِينَ» إِبنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا ما نَصَّ عَلَيْهِ غيرَ وَاحِدٍ مِنَ أَكابرِ القَوْمِ (٢).

وَقد جِاءَ فِي الكُتُبِ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ الكاتِبَ لِكُتابِ الصَّلحِ (٣) وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلى نَجْرانَ بِأَمْرِ النَبِيِّ لِجَمْعِ الصَّدَقاتِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَأَخَذَ الجِزِيَةَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ (٤).

ثُمَّ إِنَّ أَصْحابنا يَعْضُدونَ دَلالَةَ الأَيَةِ الكَرِيمَةِ عَلَى المَساواهِ بَعْدَهُ مِنَ

ص: ٤٥٧

١- ١) نَصَّ عَلَيْهِ فِي مَواضِعٍ مِنَ مَنهاجِهِ، انظُرْ مِثْلاً: ٤٧٥: ٦ و ٢٢٨: ٨.

٢- ٢) تَفْسيرُ الرَازِي وَغَيرِهِ مِنَ التَفاسيرِ، بِتَفْسيرِ الأَيَةِ.

٣- ٣) السَّننُ الكَبيرِ لِلبيهقي ١٢٠: ١٠، وَغَيرِهِ.

٤- ٤) شَرَحُ المَواهِبِ اللدُنِّيَةِ ٤٣: ٤.

□
كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لبريده بن الحبيب عند ما شكاه علياً عليه السلام: «يا بريده! لا تبغض علياً فإنه مني و أنا منه» و لعموم المسلمين في تلك القصة: «عليٌّ مني و أنا من عليٍّ، و هو وليكم من بعدى» (١).

و قوله و قد سئل عن بعض أصحابه، فقيل: فعلى؟! قال: «إنما سألتني عن الناس و لم تسألني عن نفسي» (٢).

و قوله: «خلقت أنا و عليٌّ من نور واحد».

و قوله: «خلقت أنا و عليٌّ من شجره واحد» (٣).

و قوله- في جواب قول جبرئيل في أحد: يا محمد! إن هذه لهي المواساه-: «يا جبرئيل، إنه مني و أنا منه. فقال جبرئيل: و أنا منكما» (٤).

□
أقول: و ستأتي أحاديث آخر فيما بعد، إن شاء الله.

□
و ممّا يستدل به أيضاً: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فاطمه بضعة مني...» حيث استدلل به بعض ائمه القوم على أن من سبها يكفر (٥) و قال غير واحد من ائمتهم بأفضليته فاطمه على أبي بكر و عمر، لكونها بضعة من النبي

ص: ٤٥٨

١- ١) هذا حديث الولاية، و قد بحثنا عنه بالتفصيل سنداً و دلالةً في الجزء الخامس عشر من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار».

٢- ٢) كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ١٥٥.

٣- ٣) حديث النور، و حديث الشجرة، بحثنا عنهما بالتفصيل سنداً و دلالةً في الجزء الخامس من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار».

٤- ٤) المعجم الكبير ١/٣١٨، مجمع الزوائد ٦: ١١٤ عن الطبراني و ١٢٢، عن البزار، تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤ و مصادر أخرى في التاريخ و الحديث.

٥- ٥) فتح الباري ٧: ٨٤، مرقاه المفاتيح ٥: ٥٩٢.

صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أفضل منهما بالإجماع (١)، فإن علياً عليه السلام أفضل منها بالإجماع كذلك.

ثم إن غير واحد من أعلام أهل السنّة اعترف بدلاله القصّه على فضيله فائقه لأهل البيت عليهم السلام:

قال الزمخشري: «و فيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام» (٢).

وقال ابن روزبهان: «لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام في هذه الآية فضيله عظيمه و هي مسّمه، و لكن لا تصير داله على النصّ بإمامته» (٣).

أقول: فلا أقلّ من الدلاله على الأفضليته؛ لأنّ هذه الفضيله غير حاصله لغيره، فهو أفضل الصحابه، و الأفضليته تستلزم الإمامه.

و من هنا نرى الفخر الرازى لا يقدح فى دلاله الآية على أفضليته عليّ على سائر الصحابه، و إنّما يناقش الشيخ الحمصى فى استدلاله بها على أفضليته على سائر الأنبياء، و سيأتى كلامه فى الفصل الخامس.

و تبعه النيسابورى و هذه عبارته: «أى: يدع كلّ منّا و منكم أبناءه و نساءه و يأت هو بنفسه و بمن هو كنفسه إلى المباهله، و إنّما يعلم إتيانه بنفسه من قرينه ذكر النفس و من إحضار من هم أعزّ من النفس، و يعلم إتيان من هو بمنزله النفس

ص: ٤٥٩

١-١) فيض القدير ٤:٤٢١.

٢-٢) الكشّاف: ٥٦٦.

٣-٣) إبطال الباطل - مع إحقاق الحقّ - ٣:٦٣.

من قرينه أنّ الإنسان لا يدعو نفسه. «ثُمَّ نَبَّهْلُ»: ثمّ نتباهل...

و في الآيه دلالة على أن الحسن و الحسين - و هما ابنا البيت - يصحّ أن يقال: إنهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم، لأنّه صلّى الله عليه [و آله] و سلّم وعد أن يدعو أبناءه ثمّ جاء بهما.

و قد تمسك الشيعة قديماً و حديثاً بها في أن عليّاً أفضل من سائر الصحابه؛ لأنها دلّت على أن نفس عليّ مثل نفس محمّد إلّا في ما خصه الدليل.

و كان في الرّى رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصى - و كان متكلم الاثنى عشرية - يزعم أن عليّاً أفضل من سائر الأنبياء سوى محمّد. قال: و ذلك أنه ليس المراد بقوله: «وَأَنْفُسَنَا» نفس محمّد، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، فالمراد غيره، و أجمعوا على أن ذلك الغير كان عليّ بن أبى طالب...

و أوجب بأنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً أفضل من سائر الأنبياء فكذا انعقد الإجماع بينهم - قبل ظهور هذا الانسان - على أنّ النّبىّ أفضل ممّن ليس بنبى. و أجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام ما كان نبياً...

و أمّا فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآيه على ذلك، و لهذا ضمّمهم إلى نفسه، بل قدّمهم في الذكر... (١).

ص: ٤٦٠

إشاره

و تلخص الكلام في الفصل السابق في أنّ الآية المباركه داله على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، إن لم يكن بالنصّ فبالدلاله على العصمه على الأفضليته للأحبيّه و الأقربيه و غيرهما من الوجوه...و لم يكن هناك أى مجال للطعن في سند الحديث أو التلاعب بمتنه...

فلننظر في كلمات المخالفين في مرحله الدلاله:

* أمّا إمام المعتزله، فقد قال:

«دليل آخر لهم: و ربّما تعلقوا بآيه المباهله و أنّها لما نزلت جمع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عَلِيّاً وَ فاطمه وَ الحسن وَ الحسين عليهم السلام و أنّ ذلك يدلّ على أنّه الأفضل، و ذلك يقتضى أنّه بالإمامه أحقّ و لا بدّ من أن يكون هو المراد بقوله «وَ أَنفُسِنَا وَ أَنفُسَكُم» (الآيه). لأنّه عليه السلام لا يدخل تحت قوله تعالى: «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» فيجيب أن يكون داخلاً تحت قوله: «وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُم»، و لا يجوز أن يجعله من نفسه إلّا و يتلوه في الفضل.

و هذا مثل الأوّل في أنّه كلام في التفضيل، و نحن نبيّن أنّ الإمامه قد تكون في من ليس بأفضل.

و فى شيوخنا من ذكر عن أصحاب الآثار أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن فى المباهله.

قال شيخنا أبو هاشم: إنّما خصّ صلى الله عليه وآله وسلم من يقرب منه فى النسب و لم يقصد الإبانة عن الفضل، و دلّ ذلك بأنّه عليه السلام أدخل فيها الحسن و الحسين عليهما السلام مع صغرهما لما اختصا به من قرب النسب.

و قوله: «أَنْفُسِنَا وَ أَنْفُسِ كُمْ» يدلّ على هذا المعنى، لأنّه أراد قرب القرابه، كما يقال فى الرجل يقرب من القوم فى النسب: إنّهُ من أنفسهم.

و لا- ينكر أن يدلّ ذلك على لطف محلّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و شدّه محبته له و فضله، و إنّما أنكرنا أن يدلّ ذلك على أنّه الأفضل أو على الإمامه...» (١).

أقول:

و يتلخص هذا الكلام فى أمور:

الأوّل: إن الإمامه قد تكون فى من ليس بأفضل.

و هذا- فى الواقع- تسليم باستدلال الإماميه بالآيه على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، و كون الإمامه فى من ليس بأفضل لم يرتضه حتّى مثل ابن تيميه!

و الثانى: إنّ عليّاً لم يكن فى المباهله.

و هذا أيضاً دليل على تماميه استدلال الإماميه، و إلّا لم يلتجؤا إلى هذه

ص: ٤٦٢

الدعوى، كما التجأ بعضهم-كالفخر الرازى-فى الجواب عن حديث الغدير، بأن علياً لم يكن فى حجّه الوداع !

و الثالث: إنّه لم يكن القصد إلى الإبانة عن الفضل، بل أراد قرب القرابه.

و هذا باطل، لأنّه لو أراد ذلك فقط، لأخرج غيرهم من أقرائه كالعباس، و هذا ما تنبه إليه ابن تيميه فأجاب بأنّ العباس لم يكن من السابقين الأوّلين، فاعترف-من حيث يدرى أو لا يدرى-بالحقّ.

هذا، و لا يخفى أن معتمد الأشاعره فى المناقشه هو هذا الوجه الأخير، و بهذا يظهر أنّ القوم عيال على المعتزله، و كم له من نظير !!

* و قال ابن تيميه

* و قال ابن تيميه (١):

«أمّا أخذه علياً و فاطمه و الحسن و الحسين فى المباهله، فحديث صحيح، رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص. قال فى حديث طويل: «لما نزلت هذه الآيه: «فَقُلْ لِلْعَالَمِينَ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» دعا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم علياً و فاطمه و حسناً و حسيناً، فقال:

اللهم هؤلاء أهلى».

و لكن لا دلالة فى ذلك على الإمامه و لا على الأفضليته.

و قوله: (قد جعل الله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و الاتّحاد محال، فبقى المساواه له، و له الولاية العامه، فكذا لمساويه).

قلنا: لا نسلم أنّه لم يبق إلّا المساواه، و لا دليل على ذلك، بل حمله على

ص: ٤٦٣

(١- ١) أوردنا كلامه بطوله، ليظهر أنّ غيره تبع له. و لئلا يظن ظانّ أنّا تركنا منه شيئاً له تأثير فى البحث !

ذلك ممتنع؛ لأن أحداً لا يساوى رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم، لا علياً و لا غيره.

و هذا اللفظ فى لغة العرب لا يقتضى المساواه، قال تعالى فى قصه الإفك:

﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا﴾ و قد قال تعالى فى قصه بنى إسرائيل: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَرِّكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّكُمْ﴾ أى: يقتل بعضكم بعضاً، و لم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين، و لا أن يكون من عبد العجل مساوياً لمن لم يعبد.

و كذلك قد قيل فى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أى: لا يقتل بعضكم بعضاً، و إن كانوا غير متساوين.

و قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أى: لا يلمز بعضكم بعضاً فيطعن عليه و يعيبه، و هذا نهى لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن و العيب، مع أنهم غير متساوين لا فى الأحكام و لا فى الفضيله، و لا الظالم كالمظلوم، و لا الإمام كالمأموم.

و من هذا الباب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أى: يقتل بعضكم بعضاً.

و إذا كان اللفظ فى قوله: ﴿وَأَنْفُسِنَا وَأَنْفُسِكُمْ﴾ كاللفظ فى قوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ .. «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا» و نحو ذلك، مع أن التساوى هنا ليس بواجب، بل ممتنع، فكذلك هناك و أشد.

بل هذا اللفظ يدل على المجانسه و المشابهه، و التجانس و المشابهه يكون بالاشتراك فى بعض الأمور، كالاشتراك فى الإيمان، فالمؤمنون إخوة فى الإيمان، و هو المراد بقوله: ﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

خَيْرًا» و قوله: «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ».

و قد يكون بالاشتراك في الدين، و إن كان فيهم المنافق، كاشتراك المسلمين في الإسلام الظاهر، و إن كان مع ذلك الإشتراك في النسب فهو أوكد، و قوم موسى كانوا «أَنْفُسَنَا» بهذا الاعتبار.

قوله تعالى: «تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» أى: رجالنا و رجالكم، أى: الرجال الذين هم من جنسنا في الدين و النسب، و الرجال الذين هم من جنسكم، و المراد التجانس في القرابة فقط؛ لأنه قال: «أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» فذكر الأولاد و ذكر النساء و الرجال، فعلم أنه أراد الأقربين إلينا من الذكور و الإناث من الأولاد و العصبه؛ و لهذا دعا الحسن و الحسين من الأبناء، و دعا فاطمه من النساء، و دعا علياً من رجاله، و لم يكن عنده أحد أقرب إليه نسباً من هؤلاء، و هم الذين أدار عليهم الكساء.

و المباهله إنما تحصل بالأقربين إليه، و إنما فلو باهل بالأبعدين في النسب و إن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود، فإن المراد أنهم يدعون الأقربين كما يدعو هو الأقرب إليه.

و النفوس تحنو على أقاربها ما لا تحنو على غيرهم، و كانوا يعلمون أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و يعلمون أنهم إن باهلوه نزلت البهله عليهم و على أقاربهم، و اجتمع خوفهم على أنفسهم و على أقاربهم، فكان ذلك أبلغ في امتناعهم و إلا فالإنسان قد يختار أن يهلك و يحيا ابنه، و الشيخ الكبير قد يختار الموت إذا بقي أقاربه في نعمه و مال، و هذا موجود كثير، فطلب منهم المباهله بالأبناء و النساء و الرجال و الأقربين من الجانيين، فلهذا دعا هؤلاء.

و آيه المباهله نزلت سنه عشر، لما قدم وفد نجران، و لم يكن النبي صَلَّى

اللَّهِ عَلَيْهِ [و آله] و سَلَّمَ قَدْ بَقِيَ مِنْ أَعْمَامِهِ إِلَّا الْعَبَّاسُ، وَ الْعَبَّاسُ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَ لَا كَانَ لَهُ بِهِ اخْتِصَاصٌ كَعَلِيِّ.

وَ أَمَّا بَنُو عَمِّهِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِثْلُ عَلِيِّ، وَ كَانَ جَعْفَرٌ قَدْ قَتَلَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَبَاهِلَةَ كَانَتْ لَمَّا قَدِمَ وَفَدَ نَجْرَانَ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ، وَ جَعْفَرٌ قَتَلَ بِمَوْتِهِ سَنَةَ ثَمَانٍ، فَتَعَيَّنَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

□
وَ كَوْنُهُ تَعَيَّنَ لِلْمَبَاهِلَةَ إِذْ لَيْسَ فِي الْأَقْرَابِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، لَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ مَسَاوِيًّا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] وَ سَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ وَ لَا أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مُطْلَقًا، بَلْ لَهُ بِالْمَبَاهِلَةَ نَوْعٌ فَضِيلُهُ، وَ هِيَ مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ فَاطِمَةَ وَ حَسَنٍ وَ حُسَيْنٍ، لَيْسَتْ مِنْ خِصَائِصِ الْإِمَامَةِ، فَإِنَّ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ لَا تَثْبُتُ لِلنِّسَاءِ، وَ لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مِنْ بَاهِلٍ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، كَمَا لَمْ يُوجِبْ أَنْ تَكُونَ فَاطِمَةُ وَ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ.

وَ أَمَّا قَوْلُ الرَّافِضِيِّ: لَوْ كَانَ غَيْرُ هَؤُلَاءِ مَسَاوِيًّا لَهُمْ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُمْ فِي اسْتِجَابَةِ الدَّعَاءِ لِأَمْرِهِ تَعَالَى بِأَخْذِهِمْ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ.

□
فَيُقَالُ فِي الْجَوَابِ: لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ إِجَابَةَ الدَّعَاءِ، فَإِنَّ دَعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و آله] وَ سَلَّمَ وَحْدَهُ كَافٍ، وَ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِمَنْ يَدْعُوهُ مَعَهُ أَنْ يَسْتَجَابَ دَعَاؤُهُ لِدَعَا الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ وَ دَعَا بِهِمْ، كَمَا كَانَ يَسْتَسْقَى بِهِمْ وَ كَمَا كَانَ يَسْتَفْتَحُ بِصَعَالِيكَ الْمُهَاجِرِينَ، وَ كَانَ يَقُولُ: وَ فَهَلْ تَنْصَرُونَ وَ تَرْزُقُونَ إِلَّا بضعفائكم؟! بدعائهم و صلواتهم و إخلاصهم!

وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَ إِنْ كَانُوا مُجَابِينَ، فَكَثْرَةُ الدَّعَاءِ أُبْلَغُ فِي الْإِجَابَةِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ دَعْوُهُ مِنْ دَعَا إِجَابَةَ دَعَائِهِ، بَلْ لِأَجْلِ الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ الْأَهْلِ

و نحن نعلم بالإضطرار أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم لو دعا أبا بكر و عمر و عثمان و طلحه و الزبير و ابن مسعود و ابى بن كعب و معاذ بن جبل و غيرهم للمباهله، لكانوا أعظم الناس استجابةً لأمره، و كان دعاء هؤلاء و غيرهم أبلغ في إجابته الدعاء، لكن لم يأمره الله سبحانه بأخذهم معه، لأنّ ذلك لا يحصل به المقصود.

فإنّ المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً، كأبنائهم و نسائهم و رجالهم اللّذين هم أقرب الناس إليهم، فلو دعا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم قوماً أجنباً لأتى أولئك بأجنب، و لم يكن يشتدّ عليه نزول البهله بأولئك الأجنب، كما يشتدّ عليهم نزولها بالأقربين إليهم، فإنّ طبع البشر يخاف على أقربيه ما لا يخاف على الأجنب، فأمر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم أن يدعو قرابته و أن يدعو أولئك قرابتهم.

و الناس عند المقابلة تقول كلّ طائفه للأخرى: ارهنوا عندنا أبناءكم و نساءكم، فلو رهنتم إحدى الطائفتين أجنبياً لم يرض أولئك، كما أنّه لو دعا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلّم الأجنب لم يرض أولئك المقابلون له، و لا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند الله إذا قابل بهم لمن يقابله بأهله.

فقد تبين أن الآية لا دلالة فيها أصلاً على مطلوب الرافضيّ.

لكنّه -و أمثاله ممّن في قلبه زيغ- كالنصارى اللّذين يتعلّقون بالألفاظ المجمله و يدعون النصوص الصريحه، ثمّ قدحه في خيار الأئمّه بزعمه الكاذب، حيث زعم أنّ المراد بالأنفس المساوون، و هو خلاف المستعمل في لغة العرب.

و ممّا يبيّن ذلك أنّ قوله: «نساءنا» لا يختصّ بفاطمه، بل من دعاه من

بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمه، فإن رقيه و أم كلثوم و زينب كن قد توفين قبل ذلك.

فكذلك «أَنْفُسِنَا» ليس مختصاً بعليّ، بل هذه صيغه جمع كما أنّ «نِسَاءَنَا» صيغه جمع، وكذلك «أَبْنَاؤُنَا» صيغه جمع، وإّما دعا حسناً و حسيناً لأنّه لم يكن ممّن ينسب إليه بالبنوّه سواهما، فإن إبراهيم إن كان موجوداً إذ ذاك فهو طفل لا يدعى، فإن إبراهيم هو ابن ماريه القبطيه التي أهداها له المقوقس صاحب مصر، و أهدى له البغله و ماريه و سيرين، فأعطى سيرين لحسان بن ثابت، و تسرى ماريه فولدت له إبراهيم، و عاش بضعه عشر شهراً و مات، فقال النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم: إنّ له مرضعاً في الجنّه تتم رضاعه، و كان إهداء المقوقس بعد الحدييّه بل بعد حين» (١).

أقول:

كان هذا نصّ كلام ابن تيميه في مسأله المباهله، و قد جاء فيه:

١- الاعتراف بصحّه الحديث.

و فيه ردّ على المشكّكين في صحّته و ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

٢- الاعتراف باختصاص القضيّه بالأربعه الأطهار.

و فيه ردّ على المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، المنحرفين للحديث بنقص «عليّ» منهم أو زياده غيرهم عليهم !!

ص: ٤٦٨

١- (١) منهاج السنّه ١٢٢: ٧-١٣٠.

٣- الاعتراف بأنهم هم الذين أدار عليهم الكساء.

و فيه ردّ على من زعم دخول غيرهم في آية التطهير، بل فيه دلالة على تناقض ابن تيمية، لزعمه في موضع من منهاجه-دخول الأزواج أخذاً بالسياق، كما تقدّم في مبحث تلك الآية.

٤- الاعتراف بأنّ في المباهلة نوع فضيله لعلّي.

و فيه ردّ على من يحاول إنكار ذلك.

ثم إنّ ابن تيمية ينكر دلالة الحديث على الإمامه مطلقاً، بكلام مضطرب مشتمل على التهافت، و على جواب-قال الدهلوي عنه:-
هو من كلام النواصب !!

﴿فأول شيء قاله هو: إنّ أحداً لا يساوي رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم.﴾

و نحن أيضاً نقول: إنّ أحداً لا يساويه لو لا الآية و الأحاديث القطعية الواردة عنه، كقوله صلى الله عليه و آله و سلّم: «عليّ منّي و أنا من عليّ، و هو وليكم بعدى» (١) و قوله-في قصه سورة البراءة-: «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي» (٢).

و قوله صلى الله عليه و آله و سلّم-لوفد ثقيف-: «لتسلمنّ أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي أو قال: مثل نفسي-ليضربنّ أعناقكم و ليسينّ ذراريكم، و ليأخذنّ

ص: ٤٦٩

١- (١) هذا حديث الولاية، و هو من أصحّ الأحاديث و أثبتها، و قد بحثنا عنه سنداً و دلالةً في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار».

٢- (٢) هذا حديث الولاية، و هو من أصحّ الأحاديث و أثبتها، و قد بحثنا عنه سنداً و دلالةً في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار».

أموالكم» قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلّا يومئذٍ، فجعلت أنصب صدرى رجاء أن يقول: هو هذا.

فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده وقال: «هو هذا، هو هذا» (١).

□
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً إياه منزله نفسه: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف له أبو بكر وعمر وغيرهما، كلّ يقول: أنا هو؟ قال: لا؛ ثمّ قال: «ولكن خاصف النعل» وكان قد أعطى عليّاً نعله يخصفها (٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث، وقد سبق ذكر بعضها أيضاً.

□
فإذا كان هذا قول الله وكلام الرسول، فماذا نفعل نحن؟!!

*ثمّ إنّه أنكر دلالة لفظ «الأنفس» على «المساواة» في لغة العرب، فقال بأنّ المراد منه في الآيه هو من يتصل بالقرايه، واستشهد لذلك بآيات من القرآن.

لكن ما ذا يقول ابن تيمية في الآيات التي وقع فيها المقابلة بين «النفوس» و«الأقرباء» كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا» (٣) وقوله تعالى: «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ» (٤) فكذلك آيه المباهله.

غير أنّ «النفوس» في الآيتين المذكورتين مستعمله في نفس الإنسان على وجه الحقيقة، أمّا في آيه المباهله فيه مستعمله - لتعذر الحقيقة - على وجه

ص: ٤٧٠

١- (١) راجع: الاستيعاب ٣: ١١١٠، ترجمه أمير المؤمنين.

٢- (٢) أخرجه أحمد ٤: ١٠٨٩٦/٤٢٠، والحاكم ٣: ١٢٢، والنسائي في الخصائص: ١٥٦/٢١٩، وابن عبد البر وابن حجر وابن الأثير، أسد الغابه ٣: ٦١١، بترجمته. وكذا غيرهم.

٣- (٣) سورة التحريم ٦: ٦٦.

٤- (٤) سورة الزمر ٣٩: ١٥، وسورة الشورى ٤٥: ٤٢.

المجاز لمن نزل بمنزله النفس، وهو عليّ عليه السلام، للحديث القطعي الوارد في القضية.

*ثم إنّه أكّد كون أخذ الأربعة الأطهار عليهم السلام لمجرد القرابه، بإنكار الإستعانه بهم في الدعاء، فقال: «لم يكن المقصود إجابته الدعاء فإنّ دعاء النبيّ وحده كافٍ!!»

□
لكنّه اجتهاد في مقابله النصّ، فقد روى القوم أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم قال لهم: «إذا أنا دعوت فأمنوا» (١)، و أنّه قد عرف أسقف نجران ذلك حيث قال:

□ □
«إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها» أو: «لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها» (٢).

*ثم قال ابن تيميّه: «لم يكن المقصود دعوته من دعاه لإجابته دعائه، بل لأجل المقابله بين الأهل والأهل... فإنّ المقصود أنّ أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً كأبنائهم ونسائهم ورجالهم...».

و هذا كلام النواصب... كما نصّ عليه الدهلوي في عبارته.

و حاصل كلامه: أنّه إنّما دعاهم لكونهم أقرباء فقط، على ما كان عليه المتعارف في المباهله، فلا مزيه لمن دعاه أبداً، فلا دلاله في الآيه على مطلوب الشيعة أصلاً، لكنّهم كالتصاري...!!

لكنّه يعلم بوجود الكثيرين من أقربائه-من الرجال والنساء-و على رأسهم عمّه العباس، فلو كان التعبير بالنفس لمجرد القرابه لدعا العباس و أولاده

ص: ٤٧١

١-١) تقدّم ذكر بعض مصادره.

٢-٢) الكشاف ٥٦٥: ١، الرازي ٨٥: ٨، البيضاوي: ٧٦ و غيرهم، بتفسير الآيه.

وغيرهم من بنى هاشم!

فيناقض نفسه و يرجع إلى الاعتراف بمزيه لمن دعاهم، و أنّ المقام ليس مقام مجرد القرابه...!! انظر إلى كلامه:

«و لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و آله] و سلم قد بقي من أعمامه إلّا العباس، و العباس لم يكن من السابقين الأولين، و لا كان له به اختصاص كعلّي، و أمّا بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي... فتعين عليّ رضي الله عنه. و كونه تعين للمباهله إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه لا يوجب... بل له بالمباهله نوع فضيله...».

إذن!! لا- بدّ في المباهله من أن يكون المباهل به صاحب مقام يمتاز به عن غيره، و يقدمه على من سواه، و قد ثبت ذلك لعلّي عليه السلام بحيث ناسب أن يأمر الله رسوله بأن يعبر عنه لأجله بأنّه نفسه، و هذا هو المقصود من الاستدلال بالآيه المباركه، و به يثبت المطلوب.

فانظر كيف اضطربت كلمات الرجل و ناقض نفسه !!

*غير أنّه بعد الإعتراف بالفضيله تأتي نفسه السكوت عليها، و إذ لا يمكنه دعوى مشاركه زيد و عمر و بكر...!! معه فيها كما زعم ذلك في غير موضع من كتابه فيقول:

«و هي مشتركه بينه و بين فاطمه و حسن و حسين...».

و هكذا قال- في موضع من كتابه- حول آيه التطهير لّمّا لم يجد بدّاً من الإعتراف باختصاصها بأهل البيت...

لكنّه غفل أو تغافل أنّ هذه المشاركه لا تضرّ باستدلال الشيعه بل تنفع، إذ تكون الآيه من جمله الدلائل القطعيه على أفضليته بضعه النبي فاطمه و ولديه

الحسين عليهم السلام من سائر الصحابه عدا أمير المؤمنين عليه السلام- كما دلّ على ذلك الحديث: «فاطمه بضعه مني...» وقد بينا ذلك سابقاً- فعلى هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم بالآيه المباركه و الحديث القطعى الوارد فى شأن نزولها.

*و قال أبو حيان:

« نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ. »

أى: يدع كل منّا و منكم أبناءه و نساءه و نفسه إلى المباهله. و ظاهر هذا أنّ الدعاء و المباهله بين المخاطب ب(قل) و بين من حاجه. و فسّر على هذا الوجه (الأبناء) بالحسن و الحسين، و بنسائه فاطمه، و الأنفس بعلى. قال الشعبى. و يدلّ على أنّ ذلك مختصّ بالنبيّ مع من حاجه ما ثبت فى صحيح مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص، قال: لما نزلت هذه الآيه «تَعَالَوْا نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» دعا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم فاطمه و حسناً و حسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلى.

و قال قوم: المباهله كانت عليه و على المسلمين، بدليل ظاهر قوله «نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» على الجمع، و لما دعاهم دعا بأهل الذين فى حوزته، و لو عزم نصارى نجران على المباهله و جاءوا لها لأمر النبيّ صلى الله عليه [و آله] و سلم المسلمين أن يخرجوا بأهاليهم لمباهلته.

و قيل: المراد ب «أَنْفُسَنَا» الإخوان. قال ابن قتيبه. قال تعالى: «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» أى: إخوانكم.

و قيل: أهل دينه. قاله أبو سليمان الدمشقى.

وقيل: الأزواج.

وقيل: أراد القرابه القريبه. ذكرهما علي بن أحمد النيسابورى.

...قال أبو بكر الرازى: وفي الآيه دليل على أنّ الحسن و الحسين إنا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم.

وقال أبو أحمد بن علان: كانا إذ ذاك مكلفين، لأنّ المباهله عنده لا تصحّ إلّا من مكلف.

وقد طوّل المفسّرون بما رووا في قصّه المباهله، و مضمونها: أنّه دعاهم إلى المباهله و خرج بالحسن و الحسين و فاطمه و عليّ إلى الميعاد، و أنّهم كفّوا عن ذلك و رضوا بالإقامه على دينهم، و أن يؤدّوا الجزيه، و أخبرهم أحبارهم أنّهم إن باهلوا عدّبوا و أخبر هو صلى الله عليه [و آله] و سلم أنّهم إن باهلوا عدّبوا، و فى ترك النصارى الملاعنه لعلمهم بنبوّته شاهد عظيم على صحّه نبوته.

قال الزمخشري: فإن قلت...» (1).

أقول:

لعلّ تقديمه حديث مسلم عن سعدٍ فى أنّ المراد من «أنفُسِنَا» هو عليّ عليه السلام... يدلّ على ارتضائه لهذا المعنى... لكنّ الحديث جاء فى الكتاب محرّفاً بحذف «عليّ»!!

وليته لم يذكر الأقاويل الأخرى، فإنّها كلها هواجس نفسانيه و إلقاءات شيطانيه، لا يجوز إيرادها بتفسير الآيات القرآنيه.

ص: ٤٧٤

لكن يظهر منه الإعتماد على هذه الأقوال !! حين ينفي بها الإجماع على أن المراد من «أَنْفُسَنَا» هو عليّ عليه السلام، ليبتل استدلال الشيخ الحمصي بالآيه على أفضليه الإمام على سائر الأنبياء، كما سيأتي.

*وقال القاضي الإيجي و شارحه الجرجاني:

«و لهم-أى للشيعة و من وافقهم فيه أى فى بيان أفضليه عليّ - مسلكان:

الأول: ما يدلّ عليه-أى على كونه أفضل-إجمالاً، و هو وجوه:الأول:

آيه المباهله، و هى قوله تعالى: «تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ». وجه الاحتجاج: إنّ قوله تعالى: «أَنْفُسَنَا» لم يرد به نفس النبيّ، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به عليّ، دلّت عليه الأخبار الصحيحه و الروايات الثابته عند أهل النقل إنّه عليه السلام دعا عليّاً إلى ذلك المقام، و ليس نفس عليّ نفس محمّد حقيقه، فالمراد المساواه فى الفضل و الكمال، فترك العمل به فى فضيله النبوه و بقى حجّه فى الباقي، فيساوى النبيّ فى كلّ فضيله سوى النبوه، فيكون فضل من الأمه.

و قد يمنع: إن المراد ب «أَنْفُسَنَا» عليّ وحده، بل جميع قراباته و خدمه النازلون عرفاً منزله نفسه عليه السلام داخلون فيه، تدلّ عليه صيغه الجمع» (1).

ص: ٤٧٥

لا يخفى اعترافهما بدلاله الآيه على الأفضليته، و يكون عليّ في المباهله، «دلّت عليه الأخبار الصحيحه و الروايات الثابته عند أهل النقل» و بدلاله «أَنْفُسَنَا» عليّ «المساواه».

غير أنّهما زعما دخول غيره معه في ذلك، لكنّهما قالاه «و قد يمنع» و كأنّهما ملتفتان إلى بطلان ما زعماه، خصوصاً كون المراد «خدمه» بالاضافه إلى «جميع قراباته»، فإنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يخرج معه حتّى عمّه، فكيف يكون المراد «جميع قراباته و خدمه»؟!؟

* و قال ابن روزبهان:

«كان عادة أرباب المباهله أن يجمعوا أهل بيتهم و قراباتهم لتشمل البهله سائر أصحابهم، فجمع رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أولاده و نساءه، و المراد بالأنفس هاهنا: الرجال، كأنّه أمر بأن يجمع نساءه و أولاده و رجال أهل بيته، فكان النساء فاطمه و الأولاد الحسن و الحسين و الرجال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم و عليّ.

و أمّا دعوى المساواه التي ذكرها فهي باطله قطعاً، و بطلانها من ضرورات الدين، لأنّ غير النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم من الأئمّه لا يساوي النبيّ أصلاً، و من ادعى هذا فهو خارج عن الدّين، و كيف يمكن المساواه و النبيّ نبيّ مرسل خاتم الأنبياء أفضل أولى العزم، و هذه الصفات كلّها مفقوده في عليّ. نعم، لأمر المؤمنين عليّ في هذه الآيه فضيله عظيمه و هي مسلّمه، و لكن لا تصير دالّة على النصّ بإمامته» (١).

أقول:

و فى كلامه مطالب ثلاثه:

الأول: إن ما صنعه النبى صلى الله عليه [و آله] و سلم إنما كان جرياً على عادة أرباب المباهله... □

و هذا كلام النواصب فى الجواب عن هذه الآيه، كما نصّ عليه صاحب «التحفة الاثنا عشرية» و يرد عليه ما تقدّم من أنه لو كان كذلك فلما ذا لم يخرج العباس و بنيه و أمثالهم من الأقرباء؟ لكنّ فعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم دليل على أنّ للمقام خصوصية و لمن دعاهم مراتب عند الله تعالى، و ليس جرياً على عادة العرب فى مباهله البعض مع البعض.

و الثانى: إنّ غير النبى من الأمة لا يساوى النبى أصلاً.

و قد تقدّم الجواب عنه عند الكلام مع ابن تيمية.

و الثالث: إنّ لأمير المؤمنين فى هذه الآيه فضيله عظيمه، و هى مسلمه.

قلت: هى للأربعة كلّهم لكنّ علياً أفضلهم، فهو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. □ □

قوله: لكن لا تصير دالّة على النصّ بإمامته.

قلت: إنّ الآيه تدلّ على المساواه بينه و بين النبى فى الكمالات الذاتيه، و لا أقلّ من كونها دالّة على فضيله عظيمه-باعترافه-غير حاصله لخصومه، فهو الأفضل، فهو الإمام دون غيره بعد رسول الله.

***و قال عبد العزيز الدهلوى ما تعريبه:**

«و منها آيه المباهله، و طريق تمسك الشيعة بهذه الآيه هو أنّه لمّا نزلت

ص: ٤٧٧

«فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ..» خرج رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سلم من بيته معه عليّ و فاطمه و حسن و حسين، فالمراد من «أَبْنَاءَنَا» الحسن و الحسين، و من «أَنْفُسَنَا» الأمير، و إذا صار نفس الرسول - و ظاهر أنّ المعنى الحقيقي لكونه نفسه محال - فالمراد هو المساوى، و من كان مساوياً لنبىّ عصره كان بالضرورة أفضل و أولى بالتصرّف من غيره؛ لأنّ المساوى للأفضل الأولى بالتصرّف، أفضل و أولى بالتصرّف، فيكون إماماً، إذ لا معنى للإمام إلّا الأفضل الأولى بالتصرّف.

هذا بيان وجه الإستدلال، و لا يخفى أنّه بهذا التقريب غير موجود فى كلام أكثر علماء الشيعة، فهذه الرسالة الحقّ عليهم من جهه تقريرها و تهذيبها لأكثر أدلتهم، و من شكّ فى ذلك فليُنظر إلى كتبهم ليجد كلماتهم مشتتة مضطربة قاصره عن إفاده مقصدهم.

و هذه الآية فى الأصل من جملة دلائل أهل السنّه فى مقابله النواصب، و ذلك لأنّ أخذ النبىّ صَلَّى الله عليه [وآله] و سلم الأمير و أولئك الأجله معه، و تخصيصهم بذلك دون غيرهم يحتاج إلى مرجح، و هو لا يخلو عن أمرين:

فإمّا لكونهم أعزّه عليه، و حينئذ يكون إخراجهم للمباهله - و فيها بحسب الظاهر خطر المهلكه، موجباً لقوّه و ثوق المخالفين بصدق نبوّته و صحّه ما يخبر به عن عيسى و خلقته، إذ العاقل ما لم يكن جازماً بصدق دعواه لا يعرض أعزّته إلى الهلاك و الاستئصال.

و هذا الوجه مختار أكثر أهل السنيّه و الشيعة، و هو الذى ارتضاه عبد الله المشهدى فى إظهار الحقّ، فدلتّ الآية على كون هؤلاء الأشخاص أعزّه على رسول الله، و الأنبياء مبرّأون عن الحبّ و البغض النفسائين، فليس ذلك إلّا

لدينهم و تقواهم و صلاحهم، فبطل مذهب النواصب القائلين بخلاف ذلك.

و إما لكى يشار كونه فى الدعاء على كفار نجران، و يعينونه بالتأمين على دعائه عليهم فيستجاب بسرعه، كما يقول أكثر الشيعة و ذكره عبد الله المشهدى أيضاً، فتدل الآيه-بناءً عليه كذلك- على علو مرتبتهم فى الدين و ثبوت استجابته دعائهم عند الله.

و فى هذا أيضاً ردّ على النواصب.

و قد قدح النواصب فى كلا- الوجهين و قالوا بأن إخراجهم لم يكن لشي منهنما و إنما كان لإلزام الخصم بما هو مسلم الثبوت عنده، إذ كان مسلماً عند المخالفين- و هم الكفار- أن البهله لا- تعتبر إلا بحضور الأولاد و الختن و الحلف على هلاكهم، فلذا أخرج النبى أولاده و صهره معه ليلزمهم بذلك.

و ظاهر أن الأقارب و الأولاد- كيفما كانوا- يكونون أعزّ على الإنسان فى اعتقاد الناس و إن لم يكونوا كذلك عند الإنسان نفسه، يدلّ على ذلك أنه لو كان هذا النوع من المباهله حقاً عنده صلى الله عليه [و آله] و سلم لكان سائغاً فى الشريعة، و الحال أنه ممنوع فيها. فظهر أن ما صنعه إنما كان إسكاتاً للخصم.

و على هذا القياس يسقط الوجه الثانى أيضاً، فإنّ هلاك وفد نجران لم يكن من أهمّ المهمات، فقد مرّت عليه حوادث كانت أشدّ و أشقّ عليه من هذه القضيّه و لم يستعن فى شيء منها فى الدعاء بهؤلاء، على أن من المتفق عليه استجابته دعاء النبى فى مقابلته مع الكفار، و إلا يلزم تكذيبه و نقض الغرض من بعثته.

□
فهذا كلام النواصب، و قد أبطله- بفضل الله تعالى- أهل السنيّه بما لا مزيد عليه كما هو مقرّر فى محله و لا نتعرض له خوفاً من الإطاله.

و على الجملة فإنّ آيه المباهله هى فى الأصل ردّ على النواصب، لكنّ

الشيعة يتمسكون بها في مقابله أهل السنّه، و في تمسّكهم بها وجوه من الأشكال:

أمّا أولاً: فلاّنا لا- نسلم أنّ المراد ب «أَنفُسِنَا» هو الأمير، بل المراد نفسه الشريفه، و قول علمائهم في إبطال هذا الاحتمال بأنّ الشخص لا يدعو نفسه، غير مسموع، إذ قد شاع و ذاع في القديم و الحديث «دعته نفسه إلى كذا» و «دعوت نفسي إلى كذا» «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتِيلَ أَخِيهِ» و «أمرت نفسي» و «شاورت نفسي» إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحه الواقعه في كلام البلغاء. فيكون حاصل «ندع أنفسنا»: نحضر أنفسنا.

و أيضاً: فلو قررنا الأمير من قبل النبي مصداقاً لقوله «أَنفُسِنَا» فمن نقره من قبل الكفار مع أنّهم مشتركون في صيغه «ندع». إذ لا معنى لدعوه النبي إياهم و أبناءهم بعد قوله: «تَعَالَوْا».

فظهر أنّ الأمير داخل في «أَبْنَاءَنَا» - كما أنّ الحسين غير داخلين في الأبناء حقيقهً و كان دخولهما حكماً- لأن العرف يعدّ الختن ابناً، من غير ريبه في ذلك.

و أيضاً: فقد جاء لفظ النفس بمعنى القريب و الشريك في الدين و المله و من ذلك قوله تعالى: «تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ» أي: أهل دينهم.. «وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ» .. «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» فلمّا كان للأمير اتصال بالنبي صلّى الله عليه [و آله] و سلّم في النسب و القرابه و المصاهره و اتّحاد في الدين و المله، و قد كثرت معاشرته و الألفه معه حتّى قال:

«علّي منّي و أنا من علّي» كان التعبير عنه بالنفس غير بعيد، فلا تلزم المساواه كما لا تلزم في الآيات المذكوره.

و أمّا ثانياً: فلو كان المراد مساواته في جميع الصفات، يلزم الاشتراك في النبوه و الخاتميه و البعثه إلى كافه الخلق، و الاختصاص بزياده النكاح فوق الأربع، و الدرجه الرفيعه في القيامه، و الشفاعة الكبرى و المقام المحمود، و نزول الوحي، و غير ذلك من الأحكام المختصه بالنبي، و هو باطل بالإجماع.

و لو كان المراد المساواه في البعض، لم يحصل الغرض، لأنّ المساواه في بعض صفات الأفضل و الأولى بالتصرف، لا تجعل صاحبها أفضل و أولى بالتصرف، و هو ظاهراً جديداً.

و أيضاً: فإنّ الآيه لو دلّت على إمامه الأمير لزم كونه إماماً في زمن النبي و هو باطل بالإتفاق، فإن قيّد بوقتٍ دون وقت -مع أنّه لا دليل عليه في اللفظ- لم يكن مفيداً للمدعى؛ لأنّ أهل السنّه أيضاً يثبتون إمامته في وقت من الأوقات» (١).

أقول:

و في كلامه مطالب:

١- دعوى أنّ التقريب الذي ذكره للاستدلال بالآيه غير وارد في أكثر كتب الشيعة، قال: «و كذلك الأدلّه الأخرى غالباً...».

و أنت ترى كذب هذه الدعوى بمراجعتك لوجه الاستدلال في بحثنا هذا،

ص: ٤٨١

١ - ١) التحفه الاثنا عشرية: ٢٠٥-٢٠٧. و قد ذكرنا كلامه بطوله لئلا يظنّ ظانّ أنّا أسقطنا منه شيئاً ممّا له دخل في البحث مع الشيعة حول الآيه المباركه.

إذ تجد عبارته المذكوره في كتب أصحابنا إمّا باللفظ و إمّا بما يؤدّي معناه؛ فلا تطيل.

٢- نسبه المناقشه في دلالة الآيه المباركه بما ذكره، إلى النواصب، و أن أهل السنّه يدافعون عن أهل البيت في قبال أولئك...

و قد وجدنا ما عزاه إلى النواصب في كلام ابن تيميه و ابن روزبهان، في ردّهما على العلامه الحلّي، فالحمد لله الذي كشف عن حقيقه حالهم بما أجراه على لسانهم...

٣- عدم التسليم بأنّ المراد من «أَنْفُسِنَا» هو «علّي» بل المعنى: «نحضر أنفسنا»، و استشهد- في الردّ على قول الإماميه بأنّ الشخص لا يدعو نفسه- بعبارات شائعه في كلام العرب في القديم و الحديث كما قال.

و نحن لا- نناقشه في المعاني المجازيه لتلك العبارات، و نكتفي بالقول- مضافاً إلى اعتراف غير واحد من أئمه القوم بأنّ الإنسان الداعي إنّما يدعو غيره لا نفسه (١)- بأنّ الأحاديث القطعيه عند الفريقين دلّت على أنّ المراد من «أَنْفُسِنَا» هو عليّ عليه السلام، فما ذكره يرجع في الحقيقه إلى عدم التسليم بتلك الأحاديث و تكذيب روايتها و مخرّجها، و هذا ما لا يمكنه الالتزام به.

٤- إدخال عليّ عليه السلام في «أَبْنَاءَنَا» !!..

و فيه: أنّه مخالف للنصوص.

و لا- يخفى أنّه محاوله لإخراج الآيه عن الدلاله على كون عليّ نفس النبي لعلمه بالدلاله حينئذٍ على المساواه، و إلّا فإدخاله في «أَبْنَاءَنَا» أيضاً اعتراف

ص: ٤٨٢

١- (١) لاحظ: شيخ زاده على البيضاوي ١/٦٣٤.

و استشهاده بالآيات مردود بما عرفت في الكلام مع ابن تيمية.

على أنه اعترف بحديث «علي مني و أنا من علي» و هو مما لا يعترف به ابن تيمية و سائر النواصب.

٥-ردّ علي المساواه بأنه: إن كان المراد المساواه في جميع الصفات، يلزم المساواه بين علي و النبي في النبوه و الرساله و الخاتميّه و البعثه إلى الخلق كافه و نزول الوحي... و إن كان المراد المساواه في بعض الصفات فلا يفيد المدعى...

قلنا: المراد هو الأول، إلّا النبوه، و الأمور التي ذكرها من الخاتميّه و البعثه... كلّها من شؤون النبوه...

□
فلا يه داله على حصول جميع الكمالات الموجوده في النبي في شخص علي، عدا النبوه، و قد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال لعلي: «يا علي! ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لك مثله، و لا سألت الله شيئاً إلّا أعطانيه، غير إنه قيل لي: أنه لا نبي بعدك» (١).

٦-و بذلك يظهر أنه عليه السلام كان واجداً لحقيقه الإمامه - و هو وجوب الطاعه المطلقه، و الأولويه التامه بالنسبه للأئمّه - في حياه النبي صلى الله عليه و آله و سلم، إلّا أنه كان تابعاً للنبي مطيعاً له إطاعه و انقياداً لم يحدثنا التاريخ به عن غيره على الإطلاق.

ص: ٤٨٣

١ - ١) أخرجه جماعه، منهم النسائي في الخصائص: ١٤٧/١٩٧ و ١٤٨/١٩٨، المناقب للخوارزمي: ١١٧/١١٠، تاريخ مدينه دمشق ٤٢: ٣١٠.

فسقط قوله أخيراً: «فإن الآيه لو دلت على إمامه الأمير...».

*والأوسى:

انتحل كلام الدهلوى، بلا زيادة أو نقصان، كبعض الموارد الأخرى، و جوابه جوابه، فلا نكزر.

*وقال الشيخ محمد عبده:

«الروايات متفقہ علی أن النبى صلی الله علیه [و آله] و سلم اختار للمباهله علياً و فاطمه و ولديها، و يحملون كلمه «نِسَاءَنَا» على فاطمه، و كلمه «أَنْفُسَنَا» على علي فقط.

و مصادر هذه الروايات الشيعة، و مقصدهم منها معروف، و قد اجتهدوا فى ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنيته، و لكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآيه، فإن كلمه «نِسَاءَنَا» لا يقولها العربى و يريد بها بنته، لا سيما إذا كان له أزواج، و لا يفهم هذا من لغتهم، و أبعد من ذلك أن يراد ب «أَنْفُسَنَا» على -عليه الرضوان-.

ثم إن وفد نجران الذين قالوا إن الآيه نزلت فيهم لم يكن معهم نساؤهم و أولادهم» (١).

أقول:

و فى هذا الكلام إقرار، و ادعاء، و مناقشه عن عناد.

أمّا الإقرار، فقوله: «إن الروايات متفقہ...» فالحمد لله على أن بلغت

ص: ٤٨٤

الروايات فى القضية من الكثره و القوه حدًا لا يجد مثل هذا الرجل بدًا من أن يعترف بالواقع و الحقيقه.

لكنه لما رأى أن هذا الإقرار يستلزم الالتزام بنتيجه الآيه المباركه و الروايات الوارده فيها و هذا ما لا تطيقه نفسه !! عاد فزعم أمرًا لا يرضيه عاقل فضلًا عن فاضل!

أمّا الإدعاء، فقال: «مصادر هذه الروايات الشيعة... وقد اجتهدوا فى ترويجها..».

لكنه يعلم -كغيره- بكذب هذه الدعوى، فمصادر هذه الروايات القطعيه - وقد عرفت بعضها - ليست شيعيّه. و لما كانت دلالتها واضحه «و المقصد منها معروف»، عمد إلى المناقشه بحسب اللغه، و زعم أن العربى لا يتكلم هكذا.

و ما قاله محض استبعاد و لا وجه له إلا العناد! لأننا لا نحتمل أن يكون هذا الرجل جاهلاً بأن لفظ «النساء» يطلق على غير الأزواج كما فى القرآن الكريم و غيره، أو يكون جاهلاً بأن أحداً لم يدع استعمال اللفظ المذكور فى خصوص «فاطمه» و أن أحداً لم يدع استعمال «أَنْفُسَنَا» فى «على» عليه السلام.

إنّ هذا الرجل يعلم بأن الروايات صحيحه و وارده من طرق القوم أنفسهم، و الاستدلال قائم على أساسها، إذ أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم جعل علياً فقط المصداق ل «أَنْفُسَنَا» و فاطمه فقط المصداق ل «نِسَاءَنَا» و قد كان له أقرباء كثيرون و أصحاب لا يحصون... كما كان له أزواج عدّه، و النساء فى عشيرته و قومه كثره.

فلا بدّ أن يكون ذلك مقتضياً لتفضيل علىّ عليه السلام على غيره من أفراد الأئمه، و هذا هو المقصود.

تكميل:

و أما تفضيله-بالآيه-على سائر الأنبياء عليهم السلام-كما عن الشيخ محمود بن الحسن الحمصي-فهذا هو الذى انتقده الفخر الرازى، وتبعه النيسابورى، و أبو حيان الأندلسى:

□
*قال الرازى-بعد أن ذكر موجز القصه، و دلالة الآيه على أن الحسنين إنا رسول الله:-

□
«كان فى الرى رجل يقال له:محمود بن الحسن الحمصى، و كان معلّم الاثنى عشرية (1)و كان يزعم أنّ علياً رضى الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد عليه السلام، قال:و الذى يدلّ عليه قوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» و ليس المراد بقوله «وَ أَنْفُسَنَا» نفس محمد صلى الله عليه [و آله] و سلّم، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيره، و أجمعوا على أنّ ذلك الغير كان على ابن أبى طالب رضى الله عنه فدلت الآيه على أنّ نفس على هي نفس محمد، و لا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، و ذلك يقتضى الاستواء فى جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم فى حقّ النبوه و فى حقّ الفضل، لقيام الدلائل على أنّ محمداً عليه السلام كان نبياً و ما كان على كذلك، و لانعقاد الإجماع على أنّ محمداً عليه السلام كان أفضل من على، فيبقى فيما وراءه معمولاً به.

ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمداً عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء

ص: ٤٨٦

١ - ١) و هو صاحب كتاب «المنقذ من التقليد»، و فى بعض المصادر أن الفخر الرازى قرأ عليه، توفى فى أوائل القرن السابع، كما فى ترجمته بمقدمه كتابه المذكور، طبعه مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين فى الحوزه العلميه-قم.

عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثم قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية: الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرى آدم في علمه، و نوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيئته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

فالحديث دلّ على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدلّ على أن عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلّى الله عليه [وآله] و سلّم.

و أما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً و حديثاً- يستدلّون بهذه الآية على أن عليّاً رضي الله عنه أفضل من سائر الصحابة، وذلك لأن الآية لَمَّا دلّت على أن نفس علي مثل نفس محمّد عليه السلام إلما في ما خصّ به الدليل، و كان نفس محمّد أفضل من الصحابة، فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل أيضاً من سائر الصحابة.

هذا تقدير كلام الشيعة.

و الجواب: إنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً عليه السلام أفضل من عليّ، فكذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان- على أنّ النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ، و أجمعوا على أنّ عليّاً ما كان نبياً، فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص في حقّ محمّد صلّى الله عليه [وآله] و سلّم، فكذلك مخصوص في حقّ سائر الأنبياء عليهم السلام. انتهى (1).

*و كذا قال النيسابوري، و هو ملخّص كلام الرازي، على عادته، و قد تقدّم نصّ ما قال.

ص: ٤٨٧

*وقال أبو حيان، بعد أن ذكر كلام الزمخشري في الآيه المباركه: «و من أغرب الاستدلال ما استدلّ به محمّد (١) بن عليّ الحمصيّ...» فذكر الاستدلال، ثمّ قال: «و أجاب الرازي: بأنّ الإجماع منعقد على أنّ النبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلّم أفضل ممّن ليس بنبيّ، و عليّ لم يكن نبياً، فلزم القطع بأنّه مخصوص في حقّ جميع الأنبياء».

قال: «و قال الرازي: استدلال الحمصيّ فاسد من وجوه:

منها قوله: (إنّ الإنسان لا- يدعو نفسه) بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه، تقول العرب: دعوت نفسي إلى كذا فلم تجبني. و هذا يسميه أبو عليّ بالتجريد.

و منها قوله: (و أجمعوا على أنّ الذي هو غيره هو عليّ) ليس بصحيح، بدليل الأقوال التي سيقّت في المعنى بقوله: «و أنّفسنا».

و منها قوله: (فيكون نفسه مثل نفسه) و لا يلزم من المماثلة أن تكون في جميع الأشياء بل تكفي المماثلة في شيء ما، هذا الذي عليه أهل اللغة، لا- الذي يقوله المتكلّمون من أنّ المماثلة تكون في جميع صفات النفس، هذا اصطلاح منهم لا لغه، فعلى هذا تكفي المماثلة في صفه واحده، و هي كونه من بني هاشم، و العرب تقول: هذا من أنفسنا، أي: من قبيلتنا.

و أمّا الحديث الذي استدلّ به فموضوع لا أصل له» (٢).

أقول:

و يبدو أنّ الرازي هنا و كذا النيسابوري أكثر إنصافاً للحقّ من أبي حيان؛

ص: ٤٨٨

١-١) كذا، و الصحيح: محمود.

٢-٢) البحر المحيط ١٩٠: ٣.

لأنهما لم يناقشا أصلاً في دلالة الآية المباركة و الحديث القطعي على أفضليته على غيره من أصحابه.

أمّا في الاستدلال بها على أفضليته على سائر الأنبياء فلم يناقشا بشي من مقدماته إلّا أنّهما أجابا بدعوى الإجماع من جميع المسلمين قبل ظهور الشيخ الحمصي -على أنّ الأنبياء أفضل من غيرهم.

و حينئذٍ، يكفي في ردّهما نفي هذا الإجماع، فإنّ الإماميه -قبل الشيخ الحمصي و بعده- قائلون بأفضليته على و الأئمّه من ولده، على جميع الأنبياء عدا نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم، و يستدلّون لذلك بوجوه من الكتاب و السنّه، أمّا من الكتاب فالآيه المباركه، و أمّا من السنّه فالحديث الذي ذكره الحمصي...

و قد عرفت أنّ الرازي و النيسابوري لم يناقشا فيهما.

و من متقدمي الإماميه القائلين بأفضليته أمير المؤمنين على سائر الأنبياء هو:

الشيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣، و له في ذلك رساله، استدلّ فيها بآيه المباهله، و استهلّ كلامه بقوله: «فاستدلّ به من حكم لأمر المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه بأنّه أفضل من سالف الأنبياء عليهم السلام و كافّه الناس سوى نبيّ الهدى محمّد عليه و آله السلام بأن قال...» و هو صريح في أنّ هذا قول المتقدمين عليه (١).

فظهر سقوط جواب الرازي و من تبعه.

لكن أبا حيان نسب إلى الرازي القول بفساد استدلال الحمصي من وجوه - و لعله نقل هذا من بعض مصنفات الرازي غير التفسير - فذكر ثلاثه وجوه:

ص: ٤٨٩

١- ١) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر أصحابه. رساله مطبوعه في المجلد السابع من موسوعه مصنفات الشيخ المفيد.

أمّا الأوّل: فبطلانه ظاهر من غضون بحثنا، على أنّ الرازي قرّره و لم يشكّل عليه، فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقّاً فقد ناقض نفسه.

و أمّا الثاني: فكذلك، لأنها أقوال لا يعبأ بها، إذ الموجود في صحيح مسلم، و جامع الترمذى، و خصائص النسائي، و مسند أحمد، و مستدرک الحاكم... و غيرها... أن الذى هو غيره هو علىّ لا- سواه... و هذا هو القول المتفق عليه بين العامّة و الخاصّة، و هم قد ادّعوا الإجماع- من السلف و الخلف- على أن صحيحى البخارى و مسلم أصحّ الكتب بعد القرآن، و منهم من ذهب إلى أن صحيح مسلم هو الأصحّ منهما.

و أمّا الثالث: فيكفى في الردّ عليه ما ذكره الرازي في تقرير كلام الشيعة في الاستدلال بالآية المباركة، حيث قال: «و ذلك يقتضى الاستواء من جميع الوجوه...» فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقّاً فقد ناقض نفسه.

على أنه إذا كان «تكفى المماثلة في صفه واحده، و هي كونه من بنى هاشم» فلما ذا التخصيص بعلىّ منهم دون غيره؟!!

بقى حكمه بوضع الحديث الذى استدللّ به الحمصى، و هذا حكم لا- يصدر إلّا من جاهل بالأحاديث و الآثار، أو من معاند متعصّب؛ لأنّه حديث متفق عليه بين المسلمين، و من رواته من أهل السنيّة: عبد الرزاق بن همام، و أحمد بن حنبل، و أبو حاتم الرازي، و الحاكم النيسابورى، و ابن مردويه، و السبيهى، و أبو نعيم، و المحب الطبرى، و ابن الصبّاغ المالكى، و ابن المغازلى الشافعى... (1).

□
هذا تمام الكلام على آية المباهله. و بالله التوفيق.

ص: ٤٩٠

١- ١) و قد بحثنا عن أسانيده و أوضحنا وجوه دلالاته في أحد أجزاء كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار» و سيقدم للطبع إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩